



منهج " الأعلام الشنتمري " في شرح ديوان الحماسة
" لأبي تمام "

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

إشراف الأستاذ:

أ. د/ سالم سعدون

إعداد الطالبة:

شريفة أكساس

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
1	نعيمية بن علية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة	رئيسا
2	سالم سعدون	أستاذ التعليم العالي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة	مشرفا ومقررا
3	مصطفى درواش	أستاذ التعليم العالي	جامعة مولود معمري - تيزي وزو	ممتحنا
4	رشيدة بودالية	أستاذ محاضر "أ"	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة	ممتحنا
5	بوعلام رزيق	أستاذ محاضر "أ"	جامعة محمد البشير الابراهيمي - برج بوعرييج	ممتحنا
6	عبد الدايم عبد الرحمان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة	ممتحنا

تاريخ المناقشة: 23 جوان 2022

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

عربون الوفاء والتقدير... أبي وأمي

شريك حياتي... زوجي

سندي في الحياة... إخوتي وأخواتي

فلذتي كبدي ابني... وائل وولاء الدين

رمز الصداقة والإخلاص... زملائي في الدراسة.

شريفة

شكر وعرّفان

إلى المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ

الدكتور سالم سعدون، كلمات الثناء لا توفيك

حقك، فشكرا لك على عطائك.

مقدمة

مقدمة:

لقد نشطت منذ عهد مبكر حركة أدبية متّصلة الحلقات في المغرب والمشرق، عُنيت بشرح الكتب المختلفة في فنون متنوعة، من أهمّها الشروح على كتاب الله العظيم، وأحاديث الرسول "صلى الله عليه وسلم" وخطب الصحابة ثم تبعتها جهود جمع الشعر العربي القديم الذي حظي بحركة شرح واسعة النطاق في المشرق أولاً، و منه انتقلت المتون الشعرية، وبعض الشروح إلى الأندلس، واكتسبت من الشهرة ما جعلها مثالا يُحتذى في شرح المتون الشعرية، وأصبحت مادة تستقطب الطلبة إلى حلقات الشيوخ والعلماء. و لأهميتها و قيمتها العلمية انفرد بها بعضهم، ليكون منها شروحا أندلسية خاصّة. و سنشير في هذا البحث إلى دراسة حركة شرح الأندلسيين للشعر المشرقي، ممّا يدخل على وجه من الوجوه في موضوعنا، لأنّه يفيد في تبين معالم الذوق النقدي الأندلسي، ويكشف عن بعض اتجاهات الدارسين هناك واهتماماتهم الأدبية واللغوية. كما يبرز الخصوصيات الجمالية للشروح الشعرية التي تمتاز بالخصوبة والتنوع .

إضافة إلى أنّ هذه الشروح تُبين لنا مناهج الشّراح واختلاف توجهاتهم الفكرية، وتعدد آليات القراءة عندهم، الأمر الذي أكسب النصّ المشروح أبعادا جمالية جعلت موضوعا يتحرّى فيه القارئ مواطن الجمال.

هذا بالنسبة للسياق العام للبحث، أمّا فيما يتعلق بموضوع بحثنا فيتحدّد في استقصاء "منهج "الأعلم الشنتمري" في شرح ديوان الحماسة "لأبي تمام" .

إنّ المتأمل في اهتمام العلماء بحماسة "أبي تمام" قديما وحديثا يجد أنّ هذا الاهتمام يعود إلى أنّها تحوي مقطوعات شعرية لكثير من الشعراء المُقلّين والمغمورين وأنّ الشعر صُنّفَ فيها حسب المعاني والأغراض، لذا ذهب هؤلاء العلماء يعمقون البحث في الكشف عن أسرار هذه المقطوعات وما ينبثق عنها من روايات ولغة ومعانٍ وبلاغة ونقد وأخبار .

وتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على أحد هؤلاء العلماء الشّراح لحماسة "أبي تمام"، وهو "الأعلم الشنتمري"، ودراسة الطريقة التي كان يتبعها أثناء الشرح ومن ثم المقارنة بينه و بين بعض الشراح بغية التعرف على القيمة التي اكتسبها النصّ بعد الشرح.

وقد تأسست الدراسة على إشكالية مركزية مفادها: كيف شرح "الأعلم الشنتمري" ديوان الحماسة لأبي تمام؟ .

و قد تفرعت عن هذه الإشكالية المركزية أسئلة فرعية هي:

- ما معنى الشرح، التفسير والتأويل؟ وهل هناك حدود فاصلة بينها؟ وما هي نقاط التقاطع بينها؟.

- ما هي أهم المنعطفات والتحوّلات التاريخية في مسيرة شرح الشعر وتفسيره؟ وهل أثر ذلك على شرح حماسة لأبي تمام؟ .

- لماذا احتلت حماسة "أبي تمام" منزلة كبرى لدى العلماء والأدباء، ونالت من الشرح ما لم تتله الشروح الأخرى؟.

- كيف كان "أبو تمام" يختار ما يختار من الأشعار وما هو الأساس الذي اعتمده في ذلك؟.

- ما هي العناصر التي يتكون منها الشرح عند الأعلام؟.

- هل هناك فرق بين الشراح المشاركة "كالمرزوقي" و"التبريزي" والشراح المغاربة"كالأعلم" في شرح حماسة "أبي تمام"؟.

- هل هناك في الحماسة شيء لم يُتناول بالدرس والتحليل وستقف عنده الدراسات الحديثة؟.

و لقد حظيت المادة الشعرية في حماسة "أبي تمام" باهتمام بالغ من قبل العلماء الشراح الذين تضافرت جهودهم على شرحها منذ منتصف القرن الثالث. ولم يكن هذا الاهتمام من العلماء -خاصة الأوائل منهم- وليد محاكاة فحسب، بل كان بسبب قيمة اختيار الحماسة، الذي أجمع السابقون من العلماء واللاحقون منهم على أنه الغاية في بابيه، فهو طراز فريد أو نسيج وحده، فصاحبه عالم بالعربية وشاعر عظيم يعدّ زعيم مدرسة في شعرنا العربي، يعرف كيف يختار من القطع الشعرية أبداعها ومن القصائد أروعها.

ولا غرو أن نجد العلماء وطالبي الأدب يختلفون فيه في كل زمان ومكان دراسة وشرحا، أو قراءة وتعلّما ابتداء من "أبي محمد القاسم الديمرتي" وإلى "سيد علي المرصفي"،

هذا فضلا عن عناية علماء اللغة به حيث عدّوه وثيقة يستشهدون بأشعاره على اللغة وشرحها.

و نجد شرح "الأعلم" ،في سلسلة هؤلاء الشراح، مصدرا مُهمًا في شرح شعر "أبي تمام" لدى علماء الغرب الإسلامي، ويدلّ على مستوى العناية التي أولاها هؤلاء الشراح لشعر "أبي تمام" خاصة وأنّهم ينفردون بالرواية التي تضمّ القصائد التي كتبها الشاعر بخط يده، وإن كانت نسخ هذه الرواية متوفرة في الإسكوريال والخزانة الحسنية بالرباط، فإنّ نسخ شرح "الأعلم" لهذا الشعر قد ضاعت ولم يبق منها إلاّ تلك النسخة الوحيدة التي عثر عليها وحققها "محمد بن شريفة" بخزانة القرويين والتي تُعدّ اكتشافا نفيسا.

و اعتمد هذا البحث على النسخة التي حققها علي المفضل حمودان بعنوان:

"شرح حماسة أبي تمام "تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفوائد" في شرح الحماسة، تأليف "أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم النحويّ الشنتمريّ"، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، 1413هـ - 1992م.

وتسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نوجزها فيما يلي:

- 1: التعرف على مذهب "أبي تمام" في الشعر ، و منهجه في اختيار الحماسة.
- 2: حصر شروح حماسة "أبي تمام" قدر الإمكان، والكشف عن منهج بعض الشراح بدءا "بأبي بكر الصولي" وصولا إلى "الأعلم الشنتمري".
- 3: محاولة توضيح الأسس التي اعتمدها "الأعلم الشنتمري" في شرحه لحماسة "أبي تمام".
- 4: تقصي الطريقة التي وصل بها ديوان الحماسة "لأبي تمام" إلى الأندلس، ومن ثمّ عقد مقارنة بين "المرزوقي" و"التبريزي" وبين "الأعلم الشنتمري" في شرحهم لحماسة "أبي تمام".

و تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تحاول:

أولا: إبراز مكانة وخصوصية شرح حماسة "أبي تمام" للأعلم الشنتمري، وقد أعلى مؤلفه فيه من شأن اللفظ والمعنى أثناء شرحه للأبيات.

ثانياً: مناقشة موضوع شرح الشعر عند القدماء من خلال مؤلفاتهم للكشف عن مكونات تحليل الشعر عندهم.

ثالثاً: محاولة الوصول إلى استخلاص خصوصيات يتميز بها شرح "الأعلم" لم يسبق إليها. إن طبيعة الموضوع والأهداف التي تروم الدراسة تحقيقها، قد فرضت على البحث أن يسلك منهاجاً يجمع بين الوصف والتحليل والمقارنة ثم التفسير كلما اقتضى الأمر ذلك.

من خلال الوصف سنسعى إلى تتبع خصائص منهج الشرح عند الشراح خاصة "الأعلم الشنتمري" وتبيان مرتكزات منهج كل واحد منها، وقد نتج عن ذلك أن كل شارح يقرأ نص الحماسة حسب ما جادت به قريحته من آليات القراءة والتأويل، فآلية الوصف تقتضي أن نقف عند عناصر الشرح في منهج كل شارح، للنظر في ما إذا شكّل العنصر ظاهرة عند الشارح أم أنه يرد عنده عرضاً، فإن شكّل ظاهرة اعتبر ذلك مرتكزاً من مرتكزات المنهج عند الشارح، ومن ثمة خاصية من خصائص الشرح عنده.

أما التحليل، فهي عملية تواكب الوصف، حيث سنعمل على تحليل عناصر الشرح والوقوف عند كيفية توظيفها عند الشراح ثم هل سيشكل هذا العنصر ميزة جمالية من جماليات الشرح أم يظل آلية تقود إلى ما هو جمالي؟

وبخصوص الموازنة فسنلجأ إلى الموازنة بين مناهج الشراح والنظر في أوجه الائتلاف والاختلاف بينها.

أما التفسير فهو يواكب التحليل وما تخلص إليه المقارنة من نتائج.

و لقد سبق هذا الموضوع دراسات حاولنا الاستفادة منها، ورغم تباين منطلقاتها و مناهجها إلا أنها أثرت الموضوع في كثير من جوانبه أمدتنا بآليات منهجية ساعدتنا في فهم و شرح الكثير مما استغلقت من حماسة "أبي تمام" ونذكر من هذه الدراسات:

- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي "دراسة نقدية في تجربته الشعرية"، بحث مقدّم لنيل

درجة الدكتوراه في اللغة العربية، من إعداد الباحث: حجازي حسين مهدي، جامعة

الخرطوم، كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية".

- المباحث اللغوية والنحوية في كتابي (المخترع في إذاعة سرائر النحو) و(شرح ديوان أبي تمام) للأعلم الشنتمري (ت476هـ). رسالة قدّمها عدنان أحمد رشيد إلى مجلس كلية التربية الأساسية في جامعة ديالي، وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص (اللغة والنحو).
 - مستويات القراءة الشارحة لديوان "أبي تمام" حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي، من إعداد الطالب بن لحسن عبد الرحمان، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات، 2014-2015.
 - حماسة أبي تمام وشروحها، "دراسة وتحليل" للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيان، طبع بدار إحياء الكتب العربية، (وهذه الدراسة هي القسم الثاني من رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر تحت عنوان) تحقيق حماسة أبي تمام ودراسة لشروحها).
 - شروح حماسة أبي تمام "دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها"، للدكتور محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، الطبعة الأولى، الدوحة، 2011.
 - شروح الشعر الجاهلي، "مناهج الشراح"، للدكتور أحمد جمال العمري، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، 1981.
 - شرح الشعر عند العرب "من الأصول إلى القرن 20/14م (دراسة سانكرونية)، للدكتور أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.
- توزعت خطة البحث التي تشكلت من فصلين، وُطنت بمدخل، تناولنا في المبحث الأول منه تحديد بعض المفاهيم كالشرح، التفسير والتأويل، ثم البحث عن العلاقة التي تجمعها والفرق بينها، وذلك بالعودة إلى الجذور اللغوية والاصطلاحية لكلّ منها. في حين جاء المبحث الثاني مُتتبعاً نشأة الشروح الشعرية وتطورها في الشعر العربي، وذلك عبر الحقب الزمنية المختلفة، ابتداء من العصر الجاهلي، عصر الطبع والسليقة مروراً بعصر صدر الإسلام، الذي شهد أكبر حدث تاريخي وهو نزول القرآن

الكريم ، ثمّ العصر الأموي، و بعده العصر العباسي الذي ازدهرت فيه الحياة في مختلف النواحي خاصة الأدبية، وصولاً إلى العصر الأندلسي الذي تأثر كثيراً بالمشاركة.

أمّا الفصل الأول، فقد سطرنا له العنوان التالي: **نشأة شروح حماسة "أبي تمام" وتطورها**. إذ حاولنا قدر الإمكان الإلمام بحياة "أبي تمام" الرجل، ومن ثم تجربته الشعرية. ومن ثمّ الحديث عن ديوانه المشهور الذائع الصيت بـ "الحماسة"، إذ عرضنا فيه أسباب التأليف، والمنهج الذي اعتمده في اختيار المقطوعات وفي تقسيم الأبواب، والمعيّار الذي اعتمده في ذلك. و سبب تسمية هذا المجموع الشعري باسم الحماسة دون غيره من الأسماء. ليأتي الحديث عن تتبّع خط مسار شرح هذه الحماسة بدءاً "بأبي بكر الصّولي"، وهو فيما يبدو أوّل شارح لديوانه ثم شرح "المرزوقي"، وبعده "ابن جني"، و"أبو هلال العسكري" و "التبريزي"، وصولاً إلى الشرح المنسوب إلى "أبي العلاء المعري". ثم خصّصنا حيزاً للحديث عن هذه الحماسة في الأندلس و كيفية وصولها، والبحث عن سند روايتها، ومن ثمّ كيف تناولها الشيوخ في حلقات تدريسيهم، وكيف تلقاها القراء آنذاك. ومن هم أشهر الشّراح الذين وضعوا بصمتهم على هذا الأثر المشرقيّ الهام.

في حين تركّز الجهد في الفصل الثاني في التعرف على "منهج الأعلام الشنتمري في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام"، لكن قبل ذلك أشرنا إلى "الأعلام الشنتمري" في ظلّ دولة بني عباد ملوك إشبيلية، وذلك بالوقوف عند مولده ونشأته، والثقافة التي تلقاها من شيوخه ولقّنها لتلامذته، ومن ثمّ المؤلفات التي تركها الرجل والتي لا يستطيع دارس الأدب أن يستغني عنها خاصة في مجال النحو. ليأتي العمل في المبحث الموالي، وهي الدوافع التي جعلت "الأعلام" يشرح حماسة "أبي تمام" دون غيرها من الدواوين، ثم نتناول بالدراسة المنهج العام للشرح عنده في مختلف الشروح التي قدّمها، كشرحه لكتاب سيوييه، وشرحه للشعراء الستة، أو ما يعرف بأصحاب المعلقات وغيرها من الشروح. وأخيراً الوقوف عند المصادر التي أعانتها على شرحه لحماسة أبي تمام. أمّا عناصر الشرح عند "الأعلام" في شرحه لحماسة "أبي تمام"، على العموم إنّها لا تخرج عن ترتيب الموضوعات ومن ثمّ التعريف بالشعراء، ومن عادته أن يفتتح الشرح بكلمة يقول. أمّا في وقوفه عند شرح الكلمات

المختلفة والغامضة، فإنه يستعين بمختلف الصيغ اللغوية من اشتقاق وأضداد وتقديم النظير. كما لم ينس الجانب النحوي الذي كان حاضرا، لكن بلمسات شفاقة تلامس بعض كلمات وتراكيب النص. هذا وكان "الأعلم" اقتصاديا في تناول المعنى فلا غرابة في تقديمه ولا إسراف في استعماله، ومن أجل تحقيق ذلك استعان بكل ما جادت به قريحته من مختلف الشواهد، وهذا دليل على ثراء ملكته في مجال الأدب. وحتى يبتعد عن تهمة السرقة يقف عند رواية بعض الألفاظ وتصحيحها. ومن ثم الإشارة في بعض الأحيان إلى الأجود منها لكن دون تعليل. أما فيما يخص زخرف الكلام أو الخروج من الحقيقة إلى الخيال، كان حاضرا في شرح "الأعلم" لكن بالمقدار الذي يخدم النص فقط. وفي الأخير ننوّه إلى الأهمية التي اكتسبها شرح "الأعلم" لحماسة أبي تمام، سواء كان ذلك على المستوى التاريخي أو الأدبي.

ومن أجل الخروج من عباءة كل ما سبق بفائدة، نقدّم مقارنة بين شرح "الأعلم" للحماسة بشرح عالمين من شراح أبي تمام "هما" المرزوقي والتبريزي. أما "المرزوقي" باعتبار شرحه من أوفى الشروح وأكثرها تفصيلاً بعباراته الرصينة المتميزة، و"التبريزي" باعتبار شرحه من الشروح المتأخرة، والتي جمعت بين شروح سابقة، وحاولت الانتخاب منها.

في حين جاءت الخاتمة مبرزة أهم نتائج البحث.

هذا، وقد اعتمدنا جملة من المصادر والمراجع اقتباسا وإحالة نذكر منها:

- الأعلم النحويّ الثننتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، شرح حماسة أبي تمام" تجلّي غرر المعاني، عن مثل صور الغواني، والتحلّي بالقلائد، من جوهر الفرائد، في شرح الحماسة، تح: علي المفضل حمودان، ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه عزّت العطار الحسيني، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب" من الأصول إلى القرن 20/14م(دراسة سانكرونية)، عبد الرحيم عسيان، حماسة أبي

تمام وشروحها "دراسة وتحليل"، عمر فروخ، أبو تمام "شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله"، دراسة تحليلية، محمد ابن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام "دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها"، محمد نجيب البهبهيتي، أبو تمام الطائي، حياته وحياة شعره.

هكذا بنيت تصور موضوع البحث ومنهج الدراسة فيه، فما حالفتني فيه من توفيق فبعون من الله، وما كان فيه من نقص فمن تقصيري، فحسبي أنني حاولت أن أدرس موضوعاً خصباً في تاريخ تراثنا الأدبي يتصل بهامة من هامات الشعر العربي "أبو تمام الطائي"، وعلم من أعلام شرح الشعر "الأعلم الشنتمري".

مدخل : تحديد المفاهيم ونشأة الشروح الشعريّة وتطورها.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم:

- 1- بين الشرح والتفسير
- 2- بين التفسير والتأويل
- 3- بين الشرح والتفسير والتأويل

المبحث الثاني: نشأة الشروح الشعرية وتطورها:

- 1- في العصر الجاهلي
- 2- في صدر الإسلام
- 3- في العصر الأموي
- 4- في العصر العباسي
- 5- في الأندلس

المبحث الأول: تحديد المفاهيم: الشرح، التفسير، التأويل:

قبل الخوض في الحديث عن الشروح الشعرية، والحاجة إلى ظهورها، والحديث عن ديوان الحماسة وصاحبه، وصنيعه فيه وعن الشراح الذين تناولوه بالدرس والتحليل، أثرنا الحديث عن إشكال العلاقة بين المفاهيم الثلاث التالية: الشرح، التفسير، التأويل. إذ بسبب غياب الدراسة العلمية استعملت هذه المصطلحات وكأنها مرادفات، لكن في الحقيقة لكل مصطلح مجاله الخاص الذي ينتمي إليه، وعليه نتساءل: ما معنى الشرح، والتفسير والتأويل؟ وهل هناك حدود فاصلة بينها؟ وما هي نقاط التقاطع بينها؟.

لا يمكن النظر في مفهوم الشرح بمعزل عن مفاهيم أخرى مشدودة إليه بأكثر من سبب، وهي التفسير والتأويل. وهذه المفاهيم تمّ تسخيرها في مجالات معرفية متنوعة ومن زوايا نظر متباينة، فإنّ العودة إلى جذورها الاشتقاقية من شأنها أن يكشف عمّا يجمعها في إطار الحقل التصوري الواحد(1).

1- بين الشرح والتفسير:

الشرح	التفسير
وَالشَّرْحُ: الكَشْفُ، يُقَالُ: شَرَحَ فُلَانٌ أَمْرَهُ، أَيْ أَوْضَحَهُ، وَشَرَحَ مَسْأَلَةً مُشْكَلَةً: بَيَّنَّهَا، وَشَرَحَ الشَّيْءَ يَشْرَحُهُ شَرْحًا، وَشَرَحَهُ: فَتَّحَهُ وَيَبِيَّهُ وَكَشَفَهُ. وَكُلُّ مَا فُتِحَ مِنْ الْجَوَاهِرِ فَقَدْ شُرِحَ أَيْضًا. تَقُولُ: شَرَحْتُ	الْفَسْرُ: الْبَيَانُ، فَسَرَ الشَّيْءُ يُفْسِرُهُ، بِالْكَسْرِ، وَيُفْسِرُهُ، بِالضَّمِّ، فَسَرًا وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ، وَالتَّفْسِيرُ مِثْلُهُ... وَالْفَسْرُ: كَشَفُ الْمُعْطَى، وَالتَّفْسِيرُ كَشَفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ

(1) - قدّم الدكتور "أحمد الوديني" دراسة تناولت مشكلة تداخل المصطلحات، شرح تفسير، تأويل، وأضاف مصطلح آخر وهو "التحليل"، إذ أشار إلى أنّ بين هذه المصطلحات متصورات جامعة تؤلف بينها على نحو يجعلها تضطلع فيه بنفس الوظيفة الدلالية وإن تعددت العلامات وتباينت. ثم إنّ عمله يقوم بالبحث في تطور هذه المصطلحات عبر الفضاءات LES ESPACES، ومن ثم التعامل مع آثار الشراح وفق العقيدة البنيوية بطريقة سانكرونية أي على أساس أنّها آثار مزامنة مع ذواتها عبر رصد الفضاء والحيّز. ينظر: أحمد الوديني، شرح الشعر عند العرب "من الأصول إلى القرن 20/14م (دراسة سانكرونية)"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.

<p>المُشْكِل...» (3) . والتفسيرُ: منه المادي كشفُ المُغْطَى، ومنه المَعْنَوِي: كشفُ المرادِ من كلِّ شيءٍ يُعرَفُ به تفسيرُ الشيءِ فهو تفسيرته (4).</p>	<p>الغَامِضَ إِذَا فَسَّرْتَهُ (...) والشَّرْحُ الفَتْحُ، والشَّرْحُ البَيَانُ، والشَّرْحُ الفَهْمُ...» (1). وقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: « الشين والراء والحاء أُصَيِّلٌ يدلُّ على الفتح والبيان. من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحًا، إِذَا بَيَّنَّته» (2)</p>
--	--

الجامع بينهما: الكشفُ، البيانُ والفتحُ.

من هنا يمكننا أن نصل إلى أن:

- التفسير يطلق على الشروح التي تكتب على المؤلفات العلمية، وهو يرادف الشرح، وتدل كلمة "تفسير" بصفة خاصة في العلوم الإسلامية على تفسير القرآن، وعلى علم التفسير نفسه، الذي يعرف باسم "علم القرآن والتفسير".
- وشرح الشعر وهو المصطلح الذي يطلق على الدواوين، فيقولون «ديوان كذا، شرح فلان». مثل: ديوان زهير بشرح ثعلب (5)، وديوان النابغة بشرح ابن السكيت (6).

(1) - ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله عبد الكبير، محمد أحمد حسب الله، وآخرون، مج 4، دار المعارف، مصر، دت، ص 2228. مادة "شرح".

(2) - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 3، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979، ص 269.

(3) - المرجع نفسه، المجلد الخامس، ص 3412. مادة "فسر".

(4) - إبراهيم محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ج 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 36.

(5) - ينظر: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه أبي العباس ثعلب، قدم له ووضع له هوامشه وفهارسه، حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004.

(6) - ينظر: ديوان النابغة الذبياني، صنعه ابن السكيت، تح: شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، 1968.

ويكفي في شرح الشعر، بأنه الموضَّح لألفاظه ومعانيه، لذلك يرى القدماء أن تفسير القرآن وشرح الشعر لا بدّ أن يشملاً أقداراً من علوم أخرى يُحتاج إليها في فهم القرآن أو الشعر كاللغة والصرف والنحو والبيان إلى غير ذلك من العلوم.

والحق أنّ أغلب هذه المعاني معانٍ مشتركة، وفي الوقت نفسه لكلّ منها دلالاته الخاصة التي تُميّزُه عن المعاني الأخرى، إلاّ أنّ الشرح ارتبط كثيراً بالتفسير، ولعلّ هذه المفردة هي التي تؤدي المعنى على أحسن وجه، فالمعاني الأخرى تحوي معنى الشرح لكنها لا تشملها (1).

وبسبب هذا الارتباط الوثيق بين الشرح والتفسير وجدنا من يسمي شرحه بالفَسْرُ مثل ما فعل "ابن جني" عندما عنون شرحه لشعر المتنبي "بالفَسْرُ (2)".

2- بين التفسير والتأويل:

هناك إشكال طرحه القدامى يتعلّق بتداخل مصطلح التفسير بمصطلح التأويل (3). فلمدّة طويلة جرى الخلط بين المفهومين، لأنّ معنى التأويل في الثقافة العربية يتّصلُ بعلاقة جدلية بمصطلح التفسير الذي يُمثّل بالنسبة للأوّل الحضور أو الغياب، و« ذلك في دائرة علائقية تستدعي إحداهما الأخرى في حدودية الارتباط بحقل الأصول الدينية في تفسير

(1) - ينظر: تحريشي محمد، النقد الأدبي في شروح الشعر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة حلب، سوريا، 1989، ص22.

(2) - ينظر: ابن جني، الفَسْرُ "شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي"، تح: رضا رجب، دار الينايع، دمشق، 2004.

(3) - بمعنى إذا أطلق "لفظ التفسير" أريد " لفظ التأويل" ولفظ المعنى"، وهذا ما جاء في قول "ابن الأعرابي" (ت231هـ): "التفسير والتأويل والمعنى واحد". ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج12، ص407. فإذا قال مفسّر: " معنى هذه الآية كذا" ، أو "قال" تأويل هذه الآية كذا" فإنّ المراد بهاتين العبارتين: تفسيرها. وقد جاء في "مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الصفهاني، تح: صفوان داودي(ص591): " المعنى: هو إظهار ما تضمنه اللفظ، من قولهم: عنت الأرض بالنبات، أنبتته حسناً، وعنت القربة: أظهرت ماءها... والمعنى يقارن التفسير، وإن كان بينهما فرق".

وتأويل نص القرآن الكريم» (1) . وفي ضوء ذلك فإنّ دلالتيهما مقيدتان بإجراءات هذا الحقل -الديني- بصورة مباشرة، إذ شاع في تراثنا القديم أنّ مصطلح التفسير نشأ مع تفسير القرآن الكريم، فكان لدينا نوعان من التفسير:

الأول: التفسير بالمأثور ، وكان يُقصد من ورائه الوصول إلى معنى النصّ عن طريق جمع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد على فهم النص فهماً موضوعياً أي كما فهمه المعاصرون لنزول القرآن من خلال المعطيات اللغوية التي يتضمّنهما النص وتفهمها الجماعة.

والثاني: التفسير بالرأي أو (التأويل)، وقد نُظِرَ إليه على أساس أنّه تفسير " غير موضوعي"، لأنّ المُفسّر لا يبدأ من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية، وإنّما يتجاوزها بموقفه الراهن، مُحاولاً أن يجد في النص المدروس سنداً لذلك الموقف (2) .

من هنا فرّق العلماء بين التأويل والتفسير على النحو التالي:

يقول "ابن تيمية" « إنّ التّأويل في لفظ السلف له معنيان : أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التّأويل عند هؤلاء متقارباً أو مترادفاً مع التفسير، والمعنى الثاني في لفظ السلف هو الثالث من مسمّى التّأويل مطلقاً هو المراد بالكلام نفسه، فإنّ الكلام إذا كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإذا كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به» (3) . يكشف "ابن تيمية" أنّ بين المعنى الأول والثاني عند السلف بؤناً، وذلك لأنّ التّأويل في المعنى الأوّل هو من باب العلم والكلام كالتفسير والإيضاح ويكون وجوده في القلب واللّسان فهو له الوجود الذهني واللفظي والرسمي، أمّا

(1)- محمود خليف خضير الحياتي، التأويلية مقارنة وتطبيق " قراءة في شعر فاضل العزاوي، دار غيداء للنشر، الأردن، 2013، ص15.

(2)- ينظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص15.

(3)- محمود خليف خضير الحياتي، التأويلية مقارنة وتطبيق(مرجع سابق) ، ص21.

التأويل في المعنى الثاني فهو الأمور الموجودة في الخارج نفسها، سواء كانت ماضية أم مستقبلية.

ولعلّ هذه النواة الدلالية و التي جمعت بين التفسير والتأويل بوصفهما مرادفين فرضتهما التداخلات والتجاوزات في المنبع والأصل اللغوي الذي تلتقي فيه بعض مرادفات المعاني المعجمية معاً مما أفضى إلى ظاهرة الاضطراب الاصطلاحي في العودة إلى المنبع وحصرهم في فعل دلالي واحد، مما أدى بـ"أبي فارس" إلى القول بأنّ « التأويل والمعنى والتفسير واحد» (1) .

أما "الراغب الأصفهاني"، فإنه يرى أنّ التفسير أعمّ من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل في غيرها والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ (2).

إنّ مواطن الاتفاق بين المفهومين، هو أنّ كليهما يسعى إلى الكشف عن معنى النص وقصدية المؤلف، فإذا كان « المُفسِّر يقع على عاتقه عبء تفهّم النص وإفهامه من خلال البحث عما تعنيه الكلمات أو ظاهر اللفظ، فإنّ المؤوِّل لا يكتفي بذلك بل يسعى إلى تجاوز قصدية المؤلف إلى البحث عما وراء ظاهر الكلمات» (3) . ومن هنا فإنّ من المعاني اللصيقة بالتأويل الكشف عن الخبيء والغامض، وهذا هو المفهوم من اقتران التأويل بالأحلام ، ولعلّه بسبب ذلك شاع في تراثنا أنّ التفسير للعامّة، بينما التأويل للخاصّة، وأنّ التفسير للظاهر ولكن التأويل للباطن.

لكن، رغم الاتفاق بين العنصرين، إلا أنّ الفصل بينهما فصلاً حاداً صعب، كون العلاقة بينهما جدلية، إذ من غير المعقول أن تخلو كتب التفسير بالمأثور من بعض

(1) - محمود خليف خضير الحياني، التأويلية مقارنة وتطبيق قراءة في شعر فاضل العزاوي" ، ص22.

(2) - ينظر: الراغب الأصفهاني، مقدمة التفسير، مطبعة الجمالية، مصر، 1969، ص456.

(3) - بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، دت، ص201.

الاجتهادات بالرأي التي ترقى إلى مستوى التأويل، كما أنه من غير الممكن أن يتجاهل المفسر بالرأي أو المؤول الحقائق التاريخية واللغوية المتصلة بالنص الذي يقوم بتأويله. ومن هنا فقد ينطوي التفسير على قدر من التأويل والعكس صحيح.

واليوم أصبح التمييز بينهما بطريقة مختلفة، فمهمة التفسير هي عرض وإبراز التأويل الموجود فقط في النص، في حين أن التأويل مهمته تكمن في عرض وإبراز التأويل الحالي لتأويل النص، وبذلك يكون « التأويل هو تأويل التأويل أو تأويل مضاعف»⁽¹⁾.

وما يمكننا أن نسجله فيما يخص هذا العنصر - علاقة التفسير بالتأويل - هو أن رسم حدود استعمال التفسير والتأويل في علاقة مترابطة لا تتخلى إحداها عن الأخرى في تركيب تأويلي، يتجلى لنا في أن المفسر يقف عند حدود علوم القرآن معتمداً في معرفته الأولى على الرواية متبوعاً جهود علماء اللغة لأن لها علاقة مع النص القرآني الذي تتناوله من جوانبه المختلفة، المقترنة بالنص الذي يمثل المرحلة الأولى والتأويل يمثل مرحلة ثانية تلج أبعاداً عميقة وباطنية تحتاج إلى حركة الذهن أو العقل إزاء النص. ومهما كان الأمر، فإن التفسير يبقى آلية من الآليات في المنظومة التأويلية التي تتحدّد بالانطلاق من النص ثم التفسير ثم التأويل في مقارنة تفسيرية تساعد التأويل على ضبط حدوده المنسجمة مع حدود النص.

3- بين الشرح والتفسير والتأويل:

على الرغم من أن دلالات هذه الألفاظ "شرح، تفسير، تأويل" واحدة عند هؤلاء العلماء، إلا أنها خرجت من معناها المشترك حين دخلت مجال الدراسة العلمية، فاقترصر

(1)- نور الدين علوش، الترجمات حول الهرمنيوطيقا، مجلة دراسات فلسفية، العدد 10، الجزائر، 2014، ص273.

التأويل والتفسير على الدراسة القرآنية (*)، والشرح على الشعر إلا فيما ندر، وأصبح لكل واحد منها اصطلاح خاص به.

فالشرح هو "التعليق على مصنف درس من جهة علوم مختلفة، ثم تأتي بعد ذلك الحاشية، وقد كتبت الشروح على معظم الرسائل المشهورة أو الأشعار العربية، مثال ذلك شرح المعلقات (شرح عربي)، وشرح الموطأ (فقه)، وشرح الألفية (نحو)، وشرح مقامات الحريري (فقه اللغة). وعلى هذا فالشرح: توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة (1). ومن هنا اكتسب الشرح معناه الخصوصي.

أما التفسير فقد ارتبط بشرح للقرآن الكريم، "فقد استعملت كلمة خاصة لشروح القرآن هي التفسير" (2). وفي ذلك يقول ابن جزي (ت 741هـ) (**): «معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح عما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه» (3).

وهذا الاختصاص لم يأت اعتباراً، فلكل اصطلاح مجاله الذي يتقاطع فيه مع المجال الثاني، لكن لا يتحد معه، على الرغم من اتحادهما في أصل المعنى اللغوي. فالتفسير شرح لغوي أو مذهبي لنص ما وبوجه خاص للنصوص الدينية (4). أي أنه اختص بالتفسير الدينية، لكن من حيث مدلوله يُطلق أيضاً على عملية الشرح الشعري.

(*) - من هنا نجد "إمام المفسرين" ابن جرير الطبري (ت 309هـ): قد استخدم مصطلح التأويل بمعنى التفسير، ويتجلى ذلك في كتابه "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". كما أنه أطلق على أهل التفسير: أهل التأويل، وترجم لكل مقطع من الآيات بقوله "القول في تأويل قوله تعالى".

(1) - ينظر: يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، 1984، ص 351.

(2) - ينظر: محمد تحريشي، النقد الأدبي في شروح الشعر العربي، ص 31.

** - هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه مالكي، مشارك في عدة علوم: الأصول والحديث والتفسير، وله فيه كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل". ينظر: عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر" قدم له الشيخ حسن خالد، ج 2، مؤسسة نويهض للأليف والنشر والترجمة، ط 3، بيروت، 1988، ص 481.

(3) - ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 6.

(4) - ينظر: يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص 501.

ولكي تتضح الرؤية أكثر، فقد عالج "المعجم الوسيط" هذه المواد كالاتي: فَسَّرَ الشَّيْءَ: وَضَّحَهُ. و آياتِ القرآن الكريم: شَرَحَهَا وَوَضَّحَ ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرارٍ وأحكامٍ...والتفسيرُ: الشرحُ والبيانُ (1). والشرحُ: شرحُ الكلامِ: أَوْضَحَهُ وَفَسَّرَهُ (2). والتأويلُ: من أوَّلَ الكلامِ: فسره وردّه إلى الغاية المرجوة منه(3).سُئِلَ "أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال: التأويلُ والمعنى والتفسيرُ واحدٌ، قال أبو منصور يُقال: أُلْتُ الشَّيْءَ أُوْلُهُ إذا جَمَعْتَهُ وَأَصْلَحْتَهُ، فَكَانَ التَّأْوِيلُ: جَمْعُ مَعَانِي أَلْفَاظٍ أَشْكَلَتْ بِلَفْظٍ وَاضِحٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ (4). من هنا كان الفرق بين الشرح والتفسير والتأويل، فالتفسير يختص بدراسة وضع الألفاظ والتأويل يهتم بباطنها، ويصعب القيام بهاتين المهمتين لما تتطلبانه من ثقافة واسعة حتى يستطيع الإنسان إدراك جزء من الحقيقة . أما الشرح فإنه يجمع بين بيان وضع اللفظ وبين تفسير باطن اللفظ، أي التفسير والتأويل .

مما سبق نصل إلى القول بأنّ الشرح لفظ عام، وهو مصطلح ذو شقين، التفسير والتأويل، وقد يتداخل الشقان أثناء عملية الشرح، وقد يضطر إلى التعامل مع التفسير على أنه مرادف للشرح أثناء البحث.

وواضح تماما فيما يصل بين هذه المصطلحات المذكورة من متصورات جامعة، ما يقر بشكل جلي أنّ هذه المفاهيم الثلاثة وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ فإنها متقاربة من جهة المعنى ومتحددة فيه.ولعلّ هذا ما جعل صاحب اللسان يسخر بعضها لتعريف البعض الآخر، فقد حدّد الشرح بالتفسير: "شرحت الغامض إذا فسّرتة"، وحدّد التفسير بالتأويل أكثر من مرة:"التأويلُ والتفسيرُ والمعنى واحد...التأويلُ والتأويلُ تفسيرُ الكلام...التأويلُ تفسيرُ ما يؤوّل

(1)- ينظر:مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر،2004، ص688. مادة فسر.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 477. مادة شرح.

(3)- ينظر: المرجع نفسه ، ص33. مادة أول.

(4)- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص172. مادة أول.

إليه الشيء". وهذا التداخل الدلالي الذي يصل حدّ التطابق في بعض الأحيان ينهض دليلاً واضحاً على تساقط كل الحدود الفاصلة بين هذه المصطلحات. (1)

هكذا، ومن خلال التداخل الدلالي بين هذه المصطلحات فإنّ "أحمد الودرني" يرى أنّه إذا كان الشرح هو التفسير في بعض وجوهه، وكان التفسير هو التأويل من وجوهه، فإنّ الشرح يصبح ضرباً من التأويل، وجميع هذه المصطلحات تتواصل على محور واحد هو الفهم لأجل تحقيق غاية إدراك قَصْدِ كاتب ما من خلال ما يقوله أو يكتبه (2).

هذا ما يخص تحديد المفاهيم، أمّا ما يخص تطوّر حركة شرح الشعر في التراث العربي، سنقف عند أهمّ المنعطقات والتحوّلات التاريخية في مسيرة شرح الشعر وتفسيره، حتى استقرّ على هيئته التي قدّمها "الصولي" في شرحه لديوان "أبي تمام"، ولا شك أنّ هذه الحركة ليست متوقّفة عند مرحلة معينة بل نراها تتطور مع تقدّم الزمان، حتى اكتملت فيها صورة الشرح الأدبي الناضج، الذي كان لشُراح ديوان الحماسة إسهام كبير فيه.

المبحث الثاني: نشأة الشروح الشعرية في التراث العربي:

1- في العصر الجاهلي:

كان العرب في العصر الجاهلي غير محتاجين لمن يُفسّر لهم الشعر وبيّنه لهم، ولم تكن القبائل تجد فيما يقوله شعراؤها فيه غموضاً، لأنّ الشاعر ابن بيئتهم، يشاركونهم اللغة، والثقافة، والدين، ناهيك عن الظروف الاجتماعية والنفسية التي كانت تدفعه لقول الشعر. فإذا قال شعراً، فلم يكن هناك فاصل زمني أو مكاني يحجب عنهم ما يوحى إليه شكلاً أو مضموناً. ومن ثمّ ندرّ أن يحتاج الشاعر في تلك الفترة إلى شرح شعره.

ومن جملة الأمثلة التي ساقها النقاد من العصر الجاهلي، والتي وردت فيها الملاحظات والتي تحتاج إلى شرح، أنّ "امرئ القيس" في تجواله، رأى منظر صيد أثر فيه، وحرك مشاعره، وانفعلت به قريحته، فأوحى إليه هذا المنظر تشبيهاً جديداً، جاء مغايراً لما

(1) - ينظر: أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب، ص 24.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

دأب عليه سامعوه، فغلق على بعضهم فهمه، فسئل عن معنى قول "كرك لأمين على نابلي" في قوله (1):

نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةٌ كَرَكٌ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ

يقول "الأعلم" في شرح هذا البيت: «سلكى: طعنة مستقيمة أمام الوجه ومخلوجة: مائلة إلى يمين أو شمال: ولفتك: عطفك وردك، ويروى كرك، وهو بمعناه وسهم لأم: عليه ريش لؤام وهو الملتئم الذي تكون فيه بطن الريشة إلى ظهر الأخرى، وهو أجود السهام، والظهار: يكون ظهر الريشة فيه إلى ظهر الأخرى. والنابل الذي يرمى بالنبل يقول: نطعنهم بسرعة، فتجئ الطعنة مستقيمة حيال الوجه تارة، وتذهب يميناً أو يساراً تارة أخرى، وهي المخلوجة: والشطر الثاني يجوز أن يكون ميبنا لهيئة الطعن أي كردك سهمين على من يرمى بهما، فإذا ألقيتهما له لم يقعا مستويين، وربما استوى أحدهما وتعوج الآخر ويجوز أن يكون مبيناً لسرعة الطعن، إذ شبهه بمن يدفع الريش إلى صاحب النبل في السرعة والخفة لأن الغراء الذي يلزق به الريش إذا يرد لم يلزق الريش، وهذا يقتضي السرعة» (2).

قال "العجاج": «حدثني عمي وكانت من بني دارم، قالت: سألت امرئ القيس، وهو يشرب مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك "كرك لأمين" قال: مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت شيئا أسرع منه ولا أحسن، فشبهت به. واللؤام أن تكون الريشة بطنها على ظهر الأخرى، وهذا محمود في ريش السهام. واللغاب بعكس اللؤام وهو أن يكون ظهر الواحدة إلى ظهر الأخرى، ويسمى ذلك الظهار أيضا» (3)

(1) - ينظر: امرؤ القيس: الديوان، شرحه: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2004، ص141.

(2) - الأعلم الشننمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين "اختيارات من الشعر الجاهلي" (المختار من شعر امرئ القيس، وعلقمة بن عبدة، والنابعة وزهير، وطرفة وعنترة العبسي)، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، ج1، ملتزم الطبع والنشر، ط3، مصر، 1963، ص98.

(3) - امرؤ القيس، الديوان، شرحه: عبد الرحمان المصطاوي، ص134. وجاء في كتاب "المعاني الكبير، لابن قتيبة، ص911 ما يلي: «سألت أبا عمرو بن العلاء عن هذا البيت فقال: ذهب من كان يعرف هذا، وهو مما درس معناه، وسألت "ابن السجستاني فقال: كرك سهمين على رام رمى بهما لأنك تردهما إلى ورائك". و"لأمين" سهمين =

إنّ هذه القصة تشير إلى نوعية تساؤل المعاصرين للشاعر، فالسائلة لم تسأل عن معنى الألفاظ مثلاً، لكن أشكل عليها معنى التركيب "كرك لأمين" وهي صورة حركية كانت في خيال الشاعر. فالسائلة وغيرها من الناس سألو الشاعر أو راويته عن هذا البيت. فقد كان للرواة في تلك الفترة دور بارز في فهم ما استغلق من الشعر، فكانوا أشبه بوسيلة نقل بواسطتهم تُنقل الشعر في الجاهلية، كانوا يلقون لمحات خاطفة لتوضيح مقصد الشاعر أو لتقويمه مثل ما حدث في المنتديات الأدبية التي كانت تقام في سوق عكاظ، ذي المجنة...(*) وهذه اللمحات جاءت بنت لحظتها وشفّت حاجة مُستفسرها، وقد تكون عميقة تكشف عن تمكّن الشارح الفني أو بسطة عابرة مُبيّنة لمعنى لم يكن واضحاً في ذهن السامع.

وقد أورد لنا ابن قتيبة "أنّ "عبيدا" كان يصحب "الأعشى ميمون بن قيس" يروي شعره، وحين يستغلق عليه بعض ألفاظه يسأله عنها، روي أنه سأله مرة عن معنى استغلق عليه في قوله:»

وَمَدَامَةَ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَبِلٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ، سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا
فأجابه: شربتها حمراء وبئتها بيضاء. والجريال: اللون» (1)

واحدهما لأم، أي كرك سهمين على رمى بهما تعيدهما عليه، فذلك نطعنهم ثم نعود عليهم كما يعاد السهمان على الرامي، أي يفندهم ثم يعودهم..

(*)-كانت عكاظ سوقاً تجارية يُباع فيها ويُشترى طريف الأشياء، يأتيها العرب من كل فج، كانت مجمعا لقبائل العرب يفدون إليها للصلح أو التعاهد أو التفاخر، كما كانت موعدا للخطباء والدعاة، وكانت فوق ذلك كله بيئة من بيئات النقد الأدبي يلتقي الشعراء فيها كل عام، فمما روي أنّ النابغة الذبياني كانت تضرب له فيها قبة حمراء من جلد فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فمما حدث أنّ الأعشى أنشد النابغة مرة، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم شعراء من بعده، ثم أنشدته الخنساء قصيدتها في رثاء أخيها صخر:

وإنَّ صَخْرًا لَنَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ

فأعجب النابغة بالقصيدة، وقال لها لو لا أنّ أبا بصير - يعني الأعشى - أنشدني، لقلت أنك أشعر الجن والإنس. ينظر: طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب" من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري"، ص 18.

(1) - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج 1، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 260.

وعليه من هنا نقول، إن استفسار الراوي لا يخرج عما سبق، فهو يستفهم عن المراد وعن الصورة، ولم يكن يجهل اللفظ بذاته. فراوية الشاعر كان يهتم إلى جانب حفظ الشعر وروايته بإدراك مقاصد الشعر حتى يتسنى له فهمه وشرحه وتقديمه للناس، وهو جزء من العملية التعليمية التي كان يتلقاها من الشاعر الذي كرس حياته لملازمته.

إذن كان شرح الشعر في هذه الفترة يتمثل في شرح كلمة أو صورة طريفة أبداع فيها الشاعر فأتى بجديد غير مألوف.

2- في صدر الإسلام:

لا تزال العرب تتطرق على سجيبتها، ففي عصر صدر الإسلام، كانت الحاجة إلى شرح الشعر مثل سابقتها لم تتجاوز في مطالها سوى تفسير كلمة أو وقوف على خبر يتصل بالشعر ذاته أو قائله. ومن ذلك ما روي عن النبي (ص) أنه سمع يوم بدر "عدي بن أبي الزغباء" وهو يرتجز»

أَنَا عَدِيٌّ وَالسَّحْلُ أَمْشِي بِهَا مَشْيَ الْفَحْلِ

فلما انجلت الغزوة بانتصار المسلمين ناداه الرسول "ص" وسأله: وما السحل؟ قال:

الدرع، فقال ص: "نعم العدي عدي أبي الزغباء" (1).

وأشده نابغة بني جعدة النبي "ص" شعرا" فأعجب به:»

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال النبي "ص": "فأين المظهر يا أبا ليلى؟ فقلت: "الجنة"، فقال: "قل إن شاء الله"،

فقلت "إن شاء الله". (2).

وبعد أن اكتمل نزول القرآن الكريم والتحم المسلمين به عربا وغير عرب احتاج الناس إلى معرفة معاني آياته وتبيان ألفاظه ودلالاتها، وكان في هذا الاحتياج مؤشرا واضحا للعناية بالشعر والإفادة منه في تفسير لغة القرآن ومعانيه، وهذا واضح في قول رأس المفسرين "عبد

(1)- الواقدي: مغازي رسول الله، مطبعة السعادة، مصر، 1948. ص60،

(2)- الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس، ج5، دار صادر، ط3، بيروت، 2008، ص8-9.

الله بن عباس" (رضي الله عنه): «إِذَا قَرَأْتُمْ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَمْ تَعْرِفُوهُ فَاطْلُبُوهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ، فَإِنَّ الشَّعْرَ دِيْوَانُ الْعَرَبِ» (1).

وكان "ابن عباس" عارفا بالشعر وما يتصل به من أخبار يفسره في دقة متناهية وإحاطة تامة، سأله أعرابي ذات يوم عن ذي الحلم الوارد في بيت "المتلمس"»
لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَا **وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا**
 فأجابه" ذاك عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثمائة سنة فكبر فألزموه السابع من ولده، فكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت بينه وبينه أن تقرع العصا حتى يعاوده عقله، وذلك قول المتلمس اليشكري من بكر بن وائل: «لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَا» (2).

ومما يذكر أن "عمر بن الخطاب" سأل عن معنى التَخَوُّفِ في قوله تعالى: **أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ** (3) فقام شيخ من هذيل يقول: هذه لغتي، ومعنى التَخَوُّفِ التَّنْقِصُ. فطلب منه "عمر" شاهدا على ذلك فأنشده:
تَخَوُّفَ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا **كَمَا تَخَوُّفَ عُودِ النَّبْعَةِ السَّفْنُ**
 فرضي عمر بتفسيره (4).

(1) - ابن رشيقي القيرواني، العمدة في صناعة الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للطباعة والنشر، ط5، سوريا، 1981، ص30.

(2) - السجستاني، المعمرين من العرب وطُرفٍ من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، تعليق: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، 1950، ص45.

(3) - سورة النحل، الآية 47.

(4) - ينظر: عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي: تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص545-546. وقد استغل حماد الراوية هذه الحادثة في تفسير هذا البيت دون إسناد وكأنه صاحب التفسير، وإنما هو في الحقيقة منقول عن الرواة بشاهده القرآني. وذكر الأصفهاني في أغانيه، أن الهيثم بن عدي قال: قلت لحماد الراوية يوما: ألق علي ما شئت من الشعر أفسره لك، فضحك وقال لي: ما معنى قول ابن مزاحم الثمالي:

تَخَوُّفَ السَّيْرِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفَ عُودِ النَّبْعَةِ السَّفْنُ؟

وقد رافقت هذه العناية الناتجة عن الحاجة إلى فهم القرآن عناية أخرى من القبائل بعد الفتوحات واستقرار بعضها في الأمصار الجديدة، قال "ابن سلام": «فلما راجعت العرب رواية الشعر، وذكّر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قومٌ إذا قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحّفوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم» (1).

لا يهمننا هنا ما أثاره "ابن سلام" من قضية تتصل بوضع الشعر ونحله، ولكن الذي يهمننا أنّ حركة مراجعة الشعر قد قامت من هذه العشائر، وأنّه من الطبيعي أن تصحب هذه المراجعة حركة لشرح الوقائع التي قيل فيها الشعر والأخبار التي تتصل به والشخصيات التي تدور حولها بل وشرح ألفاظ لغته ومعانيه.

هذا وقد نشأت حركة للشرح بعناية رواة الشعر منذ القرن الأوّل، الذين وقفوا على مقاصد الشعراء في ألفاظهم وتراكيبهم وبيان ما ينطوي عليه شعرهم من حسن أو قبح أو أخبار أو أنساب، واستفاد منهم في ذلك من جاء بعدهم من الرواة والعلماء في القرن الثاني وآية ذلك أنّ "روية بن العجاج" وهو شاعر رجاز كان راوية أخذ عنه بعض العلماء والرواة رواية الشعر الجاهلي وما قد يستتبعه ذلك من توضيح بعض الألفاظ والحكم على الشعر، وهذا "يونس بن حبيب" أخذ عن روية تفسير (صفر الوطاب) في قول امرئ القيس: (2)

وأفْلَتَهِنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ صَفِرَ الْوِطَابُ

= فلم أدر ما أقول، فقال حماد: تخوف: تنقص، قال الله تعالى "أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوّفٍ" أي على تنقص. قال الهيثم: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حمّاد. ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص56.
(1) - ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكب العلمية، لبنان، 2001، ص39.
(2) - ينظر: امرؤ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط5، مصر، 1958، ص138. (علباء هذا قتل أبا امرئ القيس، وهو جلباء بن الحارث الكاهلي وقوله "وأفْلَتَهِنَّ" يعني الخيل، والجريض: الذي يغص بريقه عند الموت، وقوله "صفر الوطاب"، أي هلك فخلا جسمه من روجهما يخلو الوطاب من اللبن. وقيل: المعنى أنه يقتل فتصفر وطابه، أي تخلو ويذهب لبنها فلا يكون له لبن، لأنه إذا مات فلا شيء له من ماله، كما قال الأعشى:

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشِرٍ أَقْتَالَ . ينظر: الأعشى: ديوانه، ص13. والرفد هنا بمعنى القدر بما فيه.

وكان يونس يأخذ عنه الغريب فقال له رؤبة: « حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل

، وأزوقها لك، أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك» (1) .

هكذا كان حال شرح الشعر في حقبة الثانية، عرف بعض التطور، وإن ظلّ شرحاً بسيطاً، لا يتعدى: تفسير لفظة مفردة أو توضيح اسم علم أو تحديد مكان أو بيان خبر يقوله الراوي أثناء روايته للشعر على أنه جزء من الرواية غير مقصود لذاته. كانت في مجموعها تفسيرات مقتضبة بسيطة تتم أثناء عملية الرواية، تفترض في سامعها العلم ببقية العناصر التي يتضمنها النص الشعري.

3- في العصر الأموي:

إذا كان الرواة في القرن الأول لم يخرج مَسَلَكهم في شرح الشعر عن بيان معاني بعض الألفاظ الغريبة، وما يتصل بالشعر من أخبار وأنساب، فإنّ العلماء والرواة في القرن الثاني لم يبتعدوا كثيراً عن ذلك المسلك سوى ما قد نجده من التوسع في بعض القضايا اللغوية، والأخبار مع بعض اللّمحات التي تُفصح عن مقصد الشاعر أو تشير إلى بعض العيوب المتصلة بشعره، من حيث الألفاظ والمعاني (2).

يتصدّر هؤلاء الرواة "عمرو بن العلاء" الذي عُنِيَ بجمع أشعار العرب مع بعض الإيضاح والتفسير، ونهج نهجه وسلك سبيله "أبو الخطاب الأخفش" (ت177هـ)، و"خلف الأحمر" (ت180هـ)، و"حماد الراوية" (ت151هـ) و"المفضل الضبي" (ت171هـ). وغيرهم من الذين ألحقوا بما دونوه من الشعر واللغة كثيراً من الملاحظات والمعلومات التي صادفتهم أثناء تجوالهم في البوادي.

ومن النماذج التي تدلّ على جهد "عمرو بن العلاء" في عملية شرح الشعر، ما قاله

حين سأله "أبو عبيدة" عن معنى قول "الحارث بن حلزة":

(1) - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج2، ص595.

(2) - ينظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، ط4، مصر، 1969، ص252.

إِنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا وَفِي قَوْلِهِمْ إِخْفَاءُ
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْدَ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ

قال: ذهب والله الذين كانوا يحسنونه، ولكننا نرى معناه: إِنَّ إِخْوَانَنَا يَضِيفُونَ إِلَيْنَا ذَنْبَ كُلِّ مَنْ أَذْنَبَ إِلَيْهِمْ مِمَّنْ نَزَلَ الصَّحْرَاءَ، وَضَرَبَ عَيْرًا، وَيَجْعَلُونَهُمْ مَوَالِي، لَنَا وَالْمَوَالِي الْأَوْلِيَاءُ وَبَنُو الْعَمِّ (1).

ومصادر الأدب واللغة مليئة بالشواهد التي توضح جهود هؤلاء العلماء في مجال شرح النص الشعري.

غير أن في جيل "أبي عمرو بن العلاء" جدت ظاهرة في الشرح لم تكن مألوفة، وهي أن يكون الشرح تحت كل بيت، بينما كان المؤلف هو الإتيان بمجموعة من الأبيات ثم التعليق عليها. ومن المرجح أن "أبا الخطاب الأخفش الأكبر" هو أول من سار على هذا النهج، فحسب السيوطي: فهو «أول من فسّر الشّعْر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسّروها» (2).

صحيح أن رواية الشعر وتدوينه كانت الغاية لدى هؤلاء العلماء، ولم يكن شرح الشعر من غايتهم، غير أن من المؤكد أن رواية الشعر قد ارتبطت بشرحه ذلك لأنّ شرح الشعر كان جزءاً من الرواية مُفسِّراً ومُكمِّلاً، هذا ما أكدّه أحمد جمال العمري حين أشار إلى أنّ صلة الشعر برواياته لم تنقطع، وكذلك صلة الشعر بشرّاحه لم تنقطع أيضاً، حين قال: «كان الشرح في بدايته جزءاً لا يتجزأ من عصب الرواية، فلم يكن حتى هذا العهد - عهد هؤلاء العلماء الأوائل - قد استقلّ فن الشرح ووضحت سماته، وأصبح علماً قائماً لذاته، له مقوماته وخصائصه الفنية والعلمية، وإنما كان الشرح غير مقصود لذاته بل يأتي عرضاً،

(1) - ينظر: ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير" في أبيات المعاني"، صححه: سالم الكرنكوي، ج5، دار النهضة الحديثة، لبنان، 1953، ص855.

(2) - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر، ط2، 1979، ص74. لقد رأى "عبد عزام" أنّ "الأخفش" لم يقصد أن يكون للشعر شرح بمعناه المعروف، وإنما فعل ذلك لغلبة ما يتناوله من قضايا اللغة والنحو، فاضطرّ إلى أن يقطع الشعر بالوقوف عند كل بيت، فاستمرت هذه عادة الشعراء بعده. ينظر: التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ج1، ص13.

تأييدا لرواية، وتسجيلا لحدث وتوضيحا لغرض، وتفسيرا للفظ، وكل ذلك في نطاق الرواية الأدبية الخالصة، وكان هذا الشرح من صميمها، وجزء متم لها لا تستقيم إلا به»(1).

وإذا كان الشرح غير مقصود لذاته لدى هؤلاء العلماء فإنه بحق قد خطا على أيديهم خطوة أدت إلى توسع في عناصره ، فقد كان قبل الإسلام وبعده يقف عند تفسير الألفاظ أو توضيح صورة من صورته، أو إيراد خبر يتصل به فهو عند هؤلاء لم يقف عند الألفاظ، وإنما تجاوز ذلك إلى مجمل المعنى للبيت، كما برز فيه ذكر مناسبات الشعر التاريخية وأخبار أصحابه، بل تجاوز ذلك كله إلى البحث في عيوبه، والحكم على الشعراء والمفاضلة بينه. والأمثلة على جميع ذلك كثيرة ومتعددة.

فمما ذكر عن بعض التفسيرات الأولية "خلف الأحمر" والتي تتصل بالألفاظ، ما قيل: «...حدثنا محمد بن سلام" ، قال: كنا عند "أبي عمرو بن العلاء" ومعنا خلف الأحمر، فقرأ عليه رجل:

قالت أثيلة ماله بغي قد ابيضت شواته

فقال له أبو عمرو: عظمت عليك الرأ فظننتها واوا ، وإنما هو سراته، أي عاليته.

فقال لي خلف بالفارسية: أصاب الرجل، ووهم أبو عمرو . وشواته:جلدة رأسه»(2).

أما "المفضل الضبي" فله بعض المحاولات في شرح الألفاظ ، من ذلك قوله في تفسير بيت لقيط بن المنذر»:

أنك لو غطيت أرجاء هوة مغمسة لا يستبان ثرابها

قال: أرجاء البئر نواحيها، والهوة:البئر، مغمسة: خفية مظلمة»(3) .

هذا من حيث تفسير الألفاظ.

(1)- أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص207.

(2) - العسكري بن سعيد أبو أحمد الحسن بن عبد الله، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تح: عبد العزيز أحمد، ملتزم الطبع والنشر (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر)، القاهرة، 1963، ص74.

(3)- المفضل الضبي، أمثال العرب، ويليهِ "أسرار الحكماء" لياقوت المستعصي، ويليهِ أيضا " الأمثال الحكمية من كلام بعض مشاهير الفلاسفة الأولين"، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1300، ص9.

أما إذا انتقلنا إلى عنصر آخر من عناصر شرح الشعر عند هذا الجيل الأول من العلماء الرواة، وهو شرح المعنى، سنجد شرحا إجماليا مختصرا قد لا يفيد فائدة كبيرة، وإن كان يؤدي الغرض القريب من فهم البيت دون التعرض لأجزائه وعناصره.

يقول "المفضل الضبي" في بيت شداد بن معاوية العبسي:»:

قَتَلْتُ سَرَائِكُمْ وَحَسَلْتُ مِنْهُمْ حَسِيلًا مِثْلَ مَا حُسِلَ الْوَبَارُ

الحسيل: الرديء، يقول: أنفيت شراركم وقتلت خياركم، وأبقيت رذالكم»(1).

ويقول "عمرو بن العلاء" في تفسير بيت المثقب العبدى:

يُصِيحُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعَهُ إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

يقول: "إذا سمع صوتا أعال أذنه، وتسمع لما يصيح طالب الضالة لمعرفها»(2).

هذا من حيث شرح المعنى.

أما في تقويم الشعر، فإننا نجد هؤلاء العلماء يحاولون إبراز أنواع عيوبه والمفاضلة بين الشعراء وأحيانا بين القصائد، ف"ابن سلام" يذكر قول يونس أن « عيوب الشعر أربعة: الزحاف ، السناد، الإيطاء والأكفاء وهو الإقواء، والزحاف أهونها، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء فينكره السامع ويتقل على اللسان وهو في ذلك جائز والأجزاء مختلفة فمنها ما نقصانها أخفى ومنها ما نقصانها أشيع»(3).

أما الحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم أو بين قصائدهم فقد ضمت المصادر الكثير من آرائهم في هذا الشأن ، "فأبو عمرو بن العلاء" كان يرى في شعر "الأعشى العلو والانحدار"، قال عنه: «... مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره، ويقول نظيره في الإسلام جريز، ونظير النابغة الأخطل ونظير زهير الفرزدق»(4).

(1) - المفضل الضبي، أمثال العرب ، ص97.

(2) - ابن قتيبة، المعاني الكبير، ص253.

(3) - الجمحي، طبقات الشعراء، ص45.

(4) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ناهيك عن ذلك، قد يقتصر شرح هذا الجيل الأول على تصحيح رواية أو ذكر رواية أخرى*، خاصة إذا كان الأمر يتصل بتحديد مكان أو موضع. يقول المفضل في شرح قول قيس بن زهير:»:

تَظَلُّ جِيَادُهُ يَجْمُرُنَ حَوْلِي بِذَاتِ الرَّمْتِ كَالْحَدِّ الْغَوَادِي
كَأَنِّي إِذَا نُخْتُ إِلَى بِنِّ قُرْطٍ عَقَلْتُ إِلَيَّ يَمَامَةً أَوْ نِضَادٍ

ويروى إلى يللم أو نضاد وهما جبلان»(1).

هكذا هم العلماء الرواة الأوائل، لم يقفوا في تفسيراتهم عند حد الأخذ والنقل والرواية عن مصادرهم من الأعراب في البوادي فحسب، بل لقد بذلوا الجهد الكثير في محاولة التعرف من أجل الوصول إلى المعنى، اعتمادا على المحصول اللغوي والشعري (**). ثم إن اختلاف الرواية يعدُّ ركنا هاما في كل عمل له صلة بالشعر العربي القديم إن ما حققه العلماء الرواة الأوائل في عنايتهم بجمع الشعر وروايته وتدوينه عناصر مختلفة تتصل بشرح الشعر ونقده، كان مرتكزا صلبا اعتمد عليه تلاميذهم ومن بعدهم في المضيِّ بشرح الشعر إلى ميدان أرحب ومجال أوسع مما كان عليه في زمن هؤلاء الأوائل.

* - إن موضوع اختلاف الرواية يعدُّ ركنا هاما في كل عمل له صلة بالشعر العربي القديم، إذ أن بعض الرواة وعلماء العربية كانوا يغيرون اللفظ أو العبارة في البيت لأسباب مختلفة خاصة في الحالة التي يحتمل فيها اللفظ أو البيت أكثر من معنى. وأكثر المجالات التي تجلّى فيها الاهتمام بهذا الموضوع هو "الشرح" وهو أمر طبيعي لأن الشارح لا يجد أمام تعدد الروايات من سبيل سوى المقارنة بينها ويكون ذلك بشرحها وبيان تأثير كل واحد منها في معنى البيت أو في المعنى العام للقصيدة لذلك لا يخلو شرح من شروح الشعر من هذا العمل. ينظر: وناس بن مصباح، ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية، ص44-45.

(1) - المفضل الضبي، أمثال العرب، ص32

(**) - روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: بقيت سنتين أسأل عن فَرْجَةٍ وفَرْجَةٍ، حتى سمعت رجلا ينشد، ونحن في الطواف وكنت هاربا من الحجاج:

ربما تجرّعُ النفوسُ من الأَمِّ ر له فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

فقلت: ما الخبر؟.. فقال: مات الحجاج، فكنت بقوله "فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ" أفرح مني بموت الحجاج. ينظر: العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف، ص213.

4- في العصر العباسي:

كان تلاميذ هؤلاء الرواة يتمتعون بجانب كبير من الثقة في جمع وتدوين ما سجله شيوخهم الأوائل، فساروا على نهجهم في تأويل الشعر، وتفسير عباراته، وروايته وإعراب كلماته، فهاهو "ابن أبي إسحاق" حين تصدى لشرح الشعر في مجالسه، قوله: «إنما نُفتي فيما استتر من معاني الشعر، وأشكَل من غريبه، وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا، أو اجتهدنا فيها آراءنا» (1).

إن هذه العبارة تدلّ دلالة قاطعة على أنّ "ابن أبي إسحاق" استقى هذا الشرح من رواة سابقين، أمّوه بملاحظاتهم حول ألفاظ الشعر ومعانيه، إلى جانب ما يتّصل بذلك من أحداث وأنساب.

كان هؤلاء التلاميذ أكثر تحصيلاً، وأوسع نشاطاً من أساتذتهم، نتيجة اكتساب خبرة وثقافة السابقين، الذين مهدوا لهم السبيل، ودلّوهم على مواطن اللغة والشعر، وكان هؤلاء التلاميذ قد برزت مواهبهم العلمية في مجالات مختلفة من شعر وأخبار ونقد. لذا جاء نشاطهم امتداداً واستكمالاً لنشاط جيل الرواد تدعيماً وتمحيصاً.

ونذكر من هؤلاء التلاميذ الذين كان لهم باع طويل في باب الشرح:

- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، المعروف عند أغلب العلماء، بأنّه كان مبرزاً في الغريب والأخبار والأنساب، قال عنه المبرد: «كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب» (2). وقال عنه "ابن قتيبة": «كان الغريب أغلب عليه، وأيام العرب وأخبارها» (3). بمعنى أنه كان يحسن رواية الأخبار والنسب والغريب، ولم يكن يحسن شرح الشعر وفهمه.

(1)- القفطي، انبأ الرواة على أنبأ النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986، ص106.

(2)- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان محمد ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط3، الأردن، 1985، ص70.

(3)- الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2705.

- الأصمعي (ت216هـ)، كان أعلم أصحابه بالشعر، وقد قال فيه الأخفش "« لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي» (1). ويقال عنه بأنه كان أعلم من أبي عبيدة بالنحو، وكان أبو عبيدة أعلم منه بالأنساب والأخبار.
- ابن الأعرابي (ت231هـ) كان من أكابر أئمة اللغة، وكان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب.
- أبو زيد الأنصاري (ت215هـ)، وأبو عمرو الشيباني (ت213هـ)،... وغيرهم كثير.

هؤلاء هم عصب اللغة ورواية الشعر والأخبار من هذا الجيل. المسيطرون على الحياة العلمية واللغوية في عصرهم. ومن خلال التراجم التي وصلت إلينا عنهم نستنتج أمرين:

- 1- كانوا يتفوقون في المسائل العامة مثل:
 - الاهتمام برواية الشعر واللغة.
 - التميز في الأذواق، خاصة الذوق الشعري، فكلمهم محبوبون للشعر القديم.
 - الميول العلمية، فهم جميعا رواة أخبار وأنساب ونوادير ولغة وشعر.
- 2- وكانوا يختلفون في بعض الجزئيات:
 - يختلفون في القدرة على الجمع والاستيعاب، "قأبو عبيدة" كان أجمعهم للأخبار والأنساب والغريب. و"الأصمعي" كان أحفظهم للأشعار وأدقهم في اللغة. أما "ابن الأعرابي" فقد كان أوسعهم علما باللغة.

فما اختلفوا فيه رواية الألفاظ، وهذا الاختلاف يتبعه اختلاف في الشرح وتغيير لمفهوم الشعر ومقصود الشاعر. ومن أمثلة ذلك، أن "الأصمعي" روى بيت الحطيئة:

وَعَزَّرْتَنِي وَرَعَمْتَ أَنْ ك لَاتَنِي بِالضَيْفِ تَامُرُ

(1)- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص76.

قال أبو عمرو الشيباني: ما معنى قولك: "لاتني بالضيف تامر" قال: لاتني من الونى، أي لا نُقَصِّر تَأْمِرَ بِإِنزَالِ الضَّيْفِ وإِكْرَامِهِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: أَدَّهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ (1).

قال أبو عمرو: تفسيرك للتصحييف أغلط علي من تصحييفك، إنما هو:

وَعَرَزْتَنِي وَرَعَمْتَ أَنْ كِ لَابِنٌ بِالضَّيْفِ تَامِرُ

يريد كثير اللبّن والتّمّر (2).

ومما اختلفوا فيه حول المعنى، قول امرئ القيس (3):

وَهَلْ يَعْمنُ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ

قال الأصمعي: اللفظ على مذهب: أنت يا طلل ، فقد تفرّق أهلك وذهبوا، فكيف تتعم؟ والمعنى: كيف أنعم أنا؟ كأنه يعني: أهل الطلل. قال: والمُخَلَّدُ: الطَّوِيلُ العَمْرِ، الرَضِيُّ البَالِ، ومُخَلَّدٌ: إذا لم يشب. وقال غيره: المُخَلَّدُ: المُقَرَّبُ، والقُرْطُ: الخَلْدَةُ، من قوله تعالى: يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ

﴿٧﴾ (4) يعني مُقَرَّبُونَ، ولو كان يصفهم بالخلود لما ذكر الولدان دون أهل الجنة". (5)

"فالأصمعي" في تفسيره، حاول أن يستخلص المعنى حسب مفهومه ومعرفته بمذهب الشاعر ومنحاه الأدبي وظروفه المعيشية وتجاربه الذاتية. أمّا غيره، فقد أبوا إلا أن يفسره

(1) - سورة طه، الآية 42.

(2) - ينظر: العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحييف والتحريف، ح: عبد العزيز أحمد، ملتزم الطبع والنشر (مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر)، القاهرة، 1963، ص 95.

(3) - ينظر: امرؤ القيس، شرح الديوان، ويليه أخبار المراقسة وأشعارهم وأخبار النوايح وأثارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، جمعه وحققه: حسن السندوبي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1990، ص 180.

(4) - سورة الواقعة ، الآية 17.

(5) - ينظر: العسكري، شرح ما يقع فيه التصحييف والتحريف، ص 225.

تفسيرا لغويا حسب مدلول الألفاظ حتى لو بعد هذا التفسير عن المعنى الذي قصده الشاعر (1).

سَلَّم هؤلاء التلاميذ بدورهم الأمانة إلى تلاميذهم، في وقت وصل فيه تدوين الشعر إلى ذروته، ومحصل الشروح إلى قمتها، فتسلّم علماء هذا الجيل ذخيرة ضخمة من الشعر، ومحصولا وافرا من الدواوين الشعرية، فأدركوا أنّ المنهج العلمي السليم، يقتضي دراسة كل ما خفّه الرواة والعلماء السابقون، دراسة موضوعية مستفيضة، وتحليله تحليلا منهجيا. يبرز سماته، ويوضح ملامحه وعناصره المتعددة من لغة ونحو ونقد وأخبار وأنساب.

من هؤلاء التلاميذ نذكر: أبو نصر الباهلي (ت234هـ)، ومحمد بن حبيب (ت245هـ)، الرياشي (ت257هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت254هـ)، وابن السكيت (ت246هـ)، والمازني (ت249هـ)، وغيرهم.

إنّ هاتين الطبقتين من التلاميذ قد استطاعتا أن تخطوا بشرح الشعر خطوات واسعة شملت مختلف عناصره من رواية ولغة ونحو ونقد، ويمكن أن نُحدّد عملهما في شرح الشعر في الجوانب التالية:

أ- اعتماد الطبقة الثانية على أعمال الطبقة الأولى ونقل آرائها في الشعر وروايته وتفسيره. غير أنّها لم تقف عند حدّ النقل فقط، بل كانت تدلي برأيها في أقوال شيوخها وإسداء ما فاتها من نقص، ففي مجال الرواية نجد مثلا أنّ أبا عمرو بن العلاء "كان يروي من قصيدة زهير" التي مطلعها "صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلَةٌ" سبعة وثلاثين بيتا، فجاء كل من "الأصمعي" و"أبي عبيدة" فأضافا إلى روايته سبعة أبيات (2).

ويُروى أنّ أبا عمرو بن العلاء روى بيت امرئ القيس (3):

تَأْوَبِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَسَا أَحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا

(1) - ينظر: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرّيف، ص226.

(2) - ينظر: الأعلام الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، "شرح شعر زهير"، ص296.

(3) - ينظر: امرؤ القيس، الديوان، شرحه عبد الرحمان المصطاوي ص112.

قال أبو زيد: « هذا تصحيف، لأنّ المتأوّب لا يكون مُعَلَّسًا في حال واحدة، لأنّ غلَسَ، إنما هو أتى في آخر الليل. وتأوّب: جاء في آخر النهار. وإنما هو: (فَعَلَسًا) أي اشْتَدَّ وِبَرِحَ»(1).

من هنا نستطيع أن نستشفّ الأهمية الكبرى والجهد الكبير الذي بذله العلماء في سبيل تصحيح رواية النصوص، لتأكدهم من أنّ صحة الرواية يتوقف عليها صحّة الفهم والشرح.

هذا في مجال الرواية ، أما في مجال تفسير اللّغة فإنّ للتلاميذ إضافات على الشيوخ، بل وخلافات لما فسّروه "فأبو عمرو بن العلاء" فسّر لفظة "أخذ" الواردة في بيت طرفة:(2)

وَأَرْوَعُ نَبَّاضٌ أَحَدٌ مَلْمَلَمٌ كَمِرْدَاةٍ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمِّدٍ

بقوله: «الأخذ هو الخفيف»، فجاء ابن الأعرابي فقال "هو الذكي الخفيف»(3).

كما اعتمد علماء الطبقة الثانية على شيوخهم من علماء الطبقة الأولى وأفادوا من علمهم في الرواية وتفسير الشعر، اعتمد أيضا علماء الطبقة الثالثة على أساتذتهم من علماء الطبقة الثانية ، "قابن السكيت" و"أبو حاتم السجستاني" و"الرياشي" كثيرا ما كانوا يعتمدون على "الأصمعي" في تفسير اللغة والشعر والرواية ولكنهم كانوا مثل أساتذتهم يضيفون ويناقشون ويخالفون ما أخذوه عن سابقهم. فهذا مثلا "أبو حاتم" يروي عن "الأصمعي" قول النابغة:(4)

مَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ، وَدِينُهُمْ قَوْمِي، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

(1) - العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص109-110.

(2) - ينظر: طرفة بن العبد، الديوان، اعتنى به عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2003، ص31.

(3) - التبريزي، شرح القصائد العشر، تح: فخر الدين قباوة، ص118.

(4) - النابغة الذبياني، الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2005، ص16.

وقد نقل "العسكري" في شرح ما يقع فيه التصحيف عن "ابن دريد" أنه قال: سمعت أبا حاتم يقول: رواية الأصمعي (مُجَلِّثُهُم بِالْجِيمِ)، قال: وهو الكتاب، كتاب النصارى. (1).
وقد يعتمد هؤلاء التلاميذ على أساتذتهم حين ينقلون آراءهم كما هي، وأحيانا دون إسناد، أو نسبة، وكأنها آراؤهم وتفاسيرهم ففي شرح بيت الأعشى:

وما أَيْبَلِيَّ عَلَى هَيْكَلٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

قال "المازني": هو منسوب إلى أيبيل، ولم يجئ به على الصحة، يعني صاحب أيبيل، وهو عصا الناقوس، والأيبيل أيضا الذي يضرب بالناقوس. (2)

لكن اتكاء هؤلاء التلاميذ على أساتذتهم لم يمنع من أن يكون بينهم نوع من التبادل العلمي والثقافي، كأن يتبادل الأستاذ مع تلميذه الآراء والشروح، ها هو "المازني" تلميذ "الأصمعي"، يلزمه ليتعلم منه معاني الشعر واللغة (*). لكن ذلك لم يمنع من أن يستفيد "الأصمعي" من خبرة تلميذه النحوية، أو لعله كان يختبر نكاهه في معرفة موضع إعراب كلمة وردت في بيت "الأعشى":»

لَمَحْفُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوَفَّقُ

الإشكال في تأنيث "المحقوقه" قال المازني: سألني الأصمعي عنها: لم أثن محقوقه؟ قلت: لأنه موضع مصدر مؤنث، معناه استجابتك لصوته، وأن تستجيبى هو استجابتك». (3)

وما امتاز به هؤلاء التلاميذ من أن شروحهم وصلت إلينا في أغلب الأحيان ناضجة مكتملة، بمعنى أنهم هضموا نتاج أفكار السابقين، ومعلوماتهم ومجهوداتهم، فجاءتنا شروح

(1)- ينظر: العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، 257.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 293.

(*)- يقول المازني: قال لي الأخفش (الأوسط): أتلزم الأصمعي؟ قلت: ما أفارقه. قال: أتتلم منه النحو؟ قلت: لا، ولكن أتتلم منه المعاني واللغة والشعر. ينظر: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص 77.

(3)- العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص 306.

هذا الجيل كاملة، وصارت أشبه بالمعاجم اللغوية، بما تضمنه من مواد اللغة وعناصرها واشتقاقاتها ومعاني ألفاظها.

من ذلك تفسير الباهلي للفظـة "سرب" التي وردت في بيت "الأخـنـس بن شهاب":

أرى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ

يقول أبو نصر: "سَرَبَ الفحلُ سُروباً إذا مضى وسار في الأرض وذهب حيث شاء، ويقال: انسَرَبَ الثعلبُ في الجحر إذا دخل سَرَبَهُ، ويقال: فلان آمن في سربه أي في نفسه،... والسرب: الإبل، يقال: جاء سرب بني فلان إذا جاءت إبلهم، ويقال: أذهبُ فلا أُنْده سربك، أي لا حاجة لي فيك أي لا أرد إبلك لتذهب حيث شئت، ويقال للمرأة عند الطلاق: اذهبي فلا أُنْده سَرَبِكِ" فكانت تطلق بهذه الكلمة، وهو من قولهم: حَبْلُكَ على عَاتِقِكَ... وسارب وسارح سواء. (1)

من هنا يتضح لنا أنّ هؤلاء العلماء التفتوا إلى البيت الشعري كلّه، وليس إلى جزء أو لفظة فيه، وفسّروا الأبيات تفسيراً كاملاً وحددوا معانيها بدقة، خاصّة بعد أن اكتملت لديهم عناصر الشرح من مصادرها المختلفة، واستوعبوا كل ما وضع أمامهم من تفسيرات. ب- إذا كان علماء الطبقة الثانية قد حققوا في شرح الشعر خطوات واسعة، فإنهم أيضاً قد اتصفوا في هذا الشأن بشيء من التخصص فكلّ واحد منهم كانت له اهتمامات خاصة في ناحية من نواحي علم الشعر، فمنهم من كان يميل إلى الغريب ويقصر عليه جلاً اهتمامه، وذلك مثل "الأصمعي" ومنهم من كان يهتمّ بقضايا النحو ومشكلاته مثل "الأخفش" أو من كان يستغرق جهده في الأخبار والأيام والأنساب مثل "أبي عبيدة معمر بن المثنى". ولم يكن فيهم من كان يعالج النص معالجة أدبيّة أو يشرحه شرحاً أدبيّاً لأنهم كانوا يجعلون من النص مجالاً لخدمة العلوم المختلفة من لغة ونحو وأخبار وأيام وأنساب وهذا ما عناه بجلاء أبو عثمان الجاحظ (ت256هـ) حين قال: « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا

(1)- ينظر: المفضل محمد بن الضبي، ديوان المفضليات، شرح: محمد بن بشار الأتباري، مطبعة الآباء، بيروت، 1920، ص421.

يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يحسن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات»(1).

ج- وثالث هذه الجوانب في شرح الشعر وتطوره أنه « بدأ عند علماء الطبقة الأولى والثانية وتلاميذهم، ذا مقصد تثقيفي، ثم تحول عند الأجيال التي تلت هؤلاء وقبيل بدء شرح الحماسة من مقصده هذا إلى مقصد تعليمي ، وبذلك توسعت دائرته كثيرا، فأصبح يدل على شيء غير قليل من التعمق في دراسة اللغة وتحليلها تحليلًا يشمل جميع أجزائها مع مناقشة معانيها المختلفة في تعابيرها المختلفة وكذلك دراسة مستقصية للنحو ومشكلاته وطرح آراء العلماء فيه ومناقشتها من خلال النظرة المذهبية التي تتحكم في مسار الشارح. هذا فضلا عن شرحهم للمعاني وما فيها من تأويلات قال بها من سبقهم من العلماء أو تأويلات مبتدعة اجتهدوا فيها، محاولين في كل ذلك أن يدعموا ما يرونه في المعاني وتأويلاتها بالقرآن الكريم أو الحديث الشريف أو المثل السائر أو الشعر الموروث، ومن ثم بدأنا نرى أن شرح البيت الواحد قد صار يضم مادة وفيرة من العلم في فروع المختلفة».(2)

إنّ في كلام الجاحظ" (طلبت علم الشعر...) السابق ما يدلّ على قيام جماعة من الأدباء باتجاه مغاير في شرح الشعر لما سار عليه علماء الطبقة الأولى والثانية وتلاميذهم، وهو اتجاه يمكن أن نسميه بالشرح الأدبي الذي يعالج المعاني ومقاصد الشاعر فيها، ويجعل جلّ همه في هذا المدار لا يتجاوزه إلى اللغة وما فيها من اشتقاقات أو النحو وما يثار فيه من مشكلات، ولعلّ أوضح مثال لذلك ما نجده عند "أبي أحمد العسكري" وهو أديب كاتب في شرحه لبيتي "نابغة بني ذبيان" في قصيدته المسماة "بالمجردة" وهما(3):

تَجَلُّوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيَّكَةً بَرَدًا أُسِفَّ لِنَائِهِ بِالْإِنْمِدِّ

(1)- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ص105.

(2)- محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص70.

(3) - ينظر: النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ص94، 95.

كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةَ غَيْبِ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

فقد قال: «أراد تجلو بشفتيها إذا تكلمت أو ضحكت، وشبه شفتيها بقادمتي حمامة لرقتها و"أسف لثائته بالإثمد" كانوا يجعلون الكحل في أصول الأسنان ليشرق السواد مع البياض، وكان ذلك مما يستحسنونه، ولاسيما إذا كانت اللثة بيضاء غير حمراء، فكرهوا أن تكون اللثة بيضاء كالأسنان فغيروها بذلك، ثم قال "كالأقحوان" رجع إلى وصف الثغر، فوصفه بالأقحوان لبياض نوره وطيبه، و"جفت أعاليه وأسفله ند" شبهه بالأقحوان في هذه الحال، وذلك أن الأقحوان إذا كان في غيب مطر، ولم تطلع عليه الشمس، فهو ملتف مجتمع غير منبسط، وكذلك كل الأنوار يكره أن يشبه الثغر به في هذه الحال، فيكون كالمترابك بعضه على بعض، فشبهه بالأقحوان إذا أصابته الشمس فقال: "جفت أعاليه" يريد انبسطت وذهب تجدها، وقال "أسفله ند" فاحترز من أن يكون جف وذوي كله»(1).

واضح من هذا الشرح أن صاحبه يجعل إبراز المعاني هدفه وبيّن مقصد الشاعر في كل معنى صاغه وينظر إلى الواقع الذي عاشه الشاعر وصوّره كما رآه، وهو بهذا يعدّ أدبيا بحثا، يبعد عن الإغراق في اللغة وجزئياتها والنحو وقضاياها.

وقد ساهم العلماء السابقون ومن جاء بعدهم من علماء أواخر القرن الثالث في حركة شروح الشعر بجمع جهود السابقين وتنسيقها وتحليل بعض ما جاء فيها من أقوال وآراء، فظهرت بعض الدواوين والمختارات الشعرية التي تحمل في طياتها عددا من الشروح والروايات المختلفة، المتميزة بإسناد الأقوال إلى ذويها من العلماء بكلّ أمانة ونزاهة، والتي تتمثل في صنيع السكري(ت275هـ) الذي توفر على شرح دواوين كثيرة سردها "ابن النديم" في كتابه "الفهرست"(2) لكن فُقد جُلُّها، ووصلنا بعضها مثل شرح أشعار الهذليين، وشرح

(1) - العسكري، المصون في الأدب، تح: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، الكويت، 1984، ص87.

(2) - ينظر: ابن النديم، الفهرست، تح: رضا تجدد، ج4، ص178. لقد استقصى "ابن النديم" دواوين الشعراء التي صنعها العلماء السابقون، ثم أعقبهم أبو سعيد السكري، يختار من جملة رواياتها وشروحها ما يراه جديرا بالاختيار =

ديوان جران العود، وديوان امرئ القيس، يقول ابن النديم: « وصنعه من جميع الروايات أبو سعيد السكري فجود» (1).

وعن صنيع "السكري" لديوان الشاعر الجاهلي "جران العود النميري" (*): يقول: وأول ما يلقانا من الديوان إسناده، وقد ورد على النحو التالي: « قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري البصري: " قرأت على أبي جعفر محمد ابن حبيب، قال أبو جعفر قال: جران العود النميري، قال أبو عمرو : وكان جران العود والرحال خدنين تبعين، ثم إنهما تزوج كل واحد منهما، فلما اجتمعا لم يحمدا ما لقياه، فقال جران العود...» (2) .

إذا "أبو سعيد السكري"، أخذ الديوان عن شيخه "أبي جعفر محمد بن حبيب"، أحد علماء الجيل السابق، المشهود لهم بخصوصية التأليف وسعة العلم بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل.

وإلى جانب "السكري" نجد أمثال "ابن قتيبة" (ت276هـ) صاحب الشعر والشعراء والمبرد صاحب الكامل(ت285هـ) وثعلب(ت291هـ) الذي صنع بعض الدواوين والشروح للأعشى و"النابغتين وطفيل والطرماح"، ووصلنا له شرح ديوان "زهير بن أبي سلمى"، وشرح "لامية العرب" التي نظمها "الشنفرى" (3).

=والتسجيل، فبلغ عدد هذه الدواوين قرابة ستة وخمسين شاعرا، وبلغ عدد دواوين القبائل التي عملها السكري ستة وعشرين ديوانا.

(1) - ابن النديم، الفهرست، تح: رضا تجدد، ج 4، ص 178.

(*)-جران العود النميري، شاعر جاهلي، بإقرار الأدباء والباحثين العرب، إلا أن ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" ص450 ذكره دون تحديد قريب، وقد زعم الأستاذ "كرنكو" أنه من الأمويين، وأنه عاصر عبد الله بن مروان. ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص116). هو شاعر نميري من بني نمير، واختلفوا في نسبه واسمه، فقيل: اسمه "المستورد" وقيل "عامر بن الحارث بن كلفة"، ولقب "بجران العود" لقوله يخاطب امرأته:

خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ . ينظر: جران العود النميري، الديوان، رواية أبي سعيد السكري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931، المقدمة، ص (د).

(2) - جران العود النميري، الديوان، ص1.

(3) - ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص108.

وكان الغالب على شروح هؤلاء العلماء التوسّع، ومحاولة التتبع وجمع آراء السابقين والحرص على إيضاح المشكل وتعليقه وتفسير الغامض مع شيء من حسن العرض والتأليف.

وفي بداية القرن الرابع نشطت الحركة العلمية والثقافية في مختلف المجالات، وانتشرت الحلقات التعليمية لشروح الشعر ومناقشة مسائله، وهذا النشاط يتمثل في عناية الشراح بالنواحي الأدبية والنقدية والبلاغية أثناء تحليلاتهم للنص الشعري، ومن هؤلاء أبو محمد الأنباري (ت304هـ) يُعنى في شرح المفضليات بالقضايا اللغوية والأخبار التاريخية، ثم جاء بعده ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت328هـ) ليهتم أكثر في شرح القصائد السبع الطوال باللغة والنحو. وجمع أبو بكر الصولي (ت335هـ) بين المعاني والتاريخ. وهو الأمر الذي جعل "بلاشير" يقول « بأن الظهور الفعلي للشروح الشعرية إنما كان في مطلع القرن الرابع الهجري»⁽¹⁾. ذلك أن الشروح في تلك الفترة لم تقف عند حد التفسير اللغوي والإعراب النحوي فحسب، بل تجاوزته إلى عرض مختلف الروايات، وشرح المعنى بصور متعددة، واهتمت بتوضيح بعض الصور الشعرية، مع بعض الإشارات النقدية، والموازنات والمقارنات، هذا بالإضافة إلى الطريقة المنهجية التي سلكها بعض الشراح في ترتيب القصائد المشروحة على حروف المعجم، كما فعل "الصولي" فيما جمع من دواوين الشعراء. إذ وجّه اهتمامه في شرح ديوان "أبي تمام" إلى إيضاح المعاني والتاريخ. وفي هذا، يقول "ابن الأنباري" في تفسير بيت امرئ القيس⁽²⁾:

فَتَوْضِحَ فَاَلْمَقْرَأَةُ لَمْ يُعْفَ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

(1) - بلاشير، تاريخ الأدب العربي، تر: ابراهيم الكيلاني، ج1، ص123. وقد وافقه في الرأي "محمد عزلم" الذي يقول بأن ليس هناك شرح قبل القرن الرابع، وأن كل الشروح التي سجلها العلماء السابقون ما هي إلا تقييدات وتعليقات كانت على هوامش بعض النسخ دونها بعض العلماء ثم انتقلت هذه الهوامش إلى المتن بعد ذلك. ينظر مقدمته على ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، ص14. ويخالفهما في الرأي ما ذهب إليه فخر الدين قباوة، من أن الشروح الأدبية ظهرت في منتصف القرن الثالث (تحقيق المفضليات، ص23).

(2) - ينظر: الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1969، ص20.

- بدأ بتفسير اللفظين: توضح والمقراة: موضعان. ويقال: المقراة غدِير يجتمع فيه الماء".

- انتقل إلى موضع اللفظين من الإعراب، فقال: "وموضعها(المقراة) خَفُضٌ على النسق(أي العطف) على الدَّخُولِ فَحَوْمَل، إِلَّا أَنَّ تَوْضِيحَ نَصَبٍ لِأَنَّهُ لَا يُجْرَى(لا ينصرف) للتعريف، والتاء الزائدة في أوله، وما لا يُجْرَى لا يدخله تنوين ولا خفض"

- ثم انتقل إلى تفسير معنى "لم يعف رسمها" أخذه عن الأصمعي فقال: قال الأصمعي: معناه لم يدرس لما نسجته من الجنوب والشمال، فهو باق، فنحن نحزن، ولو عفا لاسترحنا". واستشهد على ذلك المعنى بقول ابن الأحمر:

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلِينَا فَلَا يَرْمِينِ عَن شَرْنِ حَزِينَا

- ثم شرح هذا الشاهد شرحاً إجمالياً، وذكر تصريف بعض الألفاظ ومعانيها المختلفة حسب وضعها في الكلام، وحدد اتفاق بعض اللغات على اللفظ ومعناه فقال: "معناه لا يرمين عن تحرف وتشرن، يقال: شَرَّنَ فلانٌ ثم رمى، أي تحرف في أحد شقيه، وذلك أشد لرقبه ونزته، وشَرَّنَ وشَرَّنَ لغتان معناهما واحد.

- ثم يذكر لنا المعنى الإجمالي للبيت، يقول: "ومعنى البيت: لبيتها قد بليت حتى لا نرمي قلوبنا بالأحزان والأوجاع"

- ثم يذكر المعاني الإجمالية المحتملة التي استقاها من العلماء، فيقدم لنا منها ما يلي:

1- ذهب الأصمعي إلى أن الريح أقبلت وأدبرت على هذه المواضع حتى عفتها وأبقت منها الأثر أو الرسم.

2- وقال قوم: المعنى لم يعف رسمها للريح وحدها، إنما عفا للمطر والريح وغير ذلك من الدهور به، وهو دارس في المعنى.

3- وقال آخرون: لم يعف رسمها لاختلاف هاتين الريحين، ولو دامت عليه واحدة لَعَفَا، لأن الريح الواحدة تسفى على الرسم فيدرس، وإذا اعتورته ريحان فسفت عليه إحداهما فغطته ثم هبت الأخرى كشفت عن الرسم ما سفت الأولى . والحجة في ذلك قول ذي الرمة(1):

مِنْ دِمْنَةٍ نَسَفَتْ عَنْهَا الصَّبَا سَفْعًا كَمَا تُنَشَّرُ بَعْدَ الطَّيَّةِ الْكُتْبُ
سَيِّلاً مِنَ الدَّعْصِ أَغَشَّتْهُ مَعَارِفُهَا نَكْبَاءُ تَسْحَبُ أَعْلَاهُ فَيُنْسَجِبُ

هذه هي الصفة الغالبة على شروح هذا الجيل، لا يتركون جزئية من النص إلا وفسروها، ووضحوها.

وهناك ظاهرة بارزة في عمل هذا الجيل، هي تحديد المنهج في تصنيع دواوينهم. ذلك أنّ هدف السابقين، ومنتهى غايتهم أن ينهضوا بشرح الشعر، وتذليل صعوباته، وتبيين غامضه، سواء اعتمدوا على آراء السابقين أو اجتهدوا، أو نقلوا من الدواوين التي صنعها أساتذتهم ومعاصروهم، ولم نجد منهم من يحدد خط عمله أو منهجه.

لقد اتضحت هذه الظاهرة عند هؤلاء وضوحاً جلياً، فنرى منهم من يحدد في بداية عمله الخطة التي اتبعها، والمنهج الذي سلكه والأسس التي سار عليها في إخراج هذا المصنف. "قابن الأنباري" يحدد منهجه في تصنيع شرحه على المفضليات بقوله: «أملئ عَيْنَا عَامِرُ بْنُ عِمْرَانَ أَبُو عِكْرِمَةَ الضَّبِّيُّ هَذِهِ الْقَصَائِدَ الْمُخْتَارَةَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدِ الضَّبِّيِّ إِمْلَاءً مَجْلِسًا مَجْلِسًا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا.»(2)

هذه هي الخطوة الأولى من خطوات منهجه، ثم ينتقل إلى الخطوة الثانية التي اتبعها بعد أن انتهى من مرحلة الإملاء. يقول: «قال أبو محمد: وَكُنْتُ أَسْأَلُ أَبَا عَمْرٍو بُنْدَارَ الْكَرْخِيِّ، وَأَبَا بَكْرَ الْعَبْدِيِّ وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ رُسْتَمَ وَالطُّوسِيَّ وَعَيْرَهُمْ عَنِ الشَّيْءِ

(1) - ينظر: ذو الرمة، الديوان، شرحه، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2006، ص11. (الدمنة: آثار الناس الباقية. نسفت: كشفت. السُفْع: الطرايق من الرمل. النشر: ضد الطي. الدعص: الرمل المجتمع. أغشته: غطته. نكبأ: من النكب. الميل: الريح بين ريحين).

(2) - المفضل الضبي، ديوان المفضليات، شرحه: الأنباري، ص1.

بعد الشئء منها فيزيديوني على رواية أبي عكرمة البيت والتفسير وأنا أذكر ذلك في موضعه إنشاء الله». (1)

ثم يحدد الخطوة الأخيرة في هذا المنهج، فيقول: «فلما فرغنا منها صرنا إلى أبي جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه من أولها إلى آخرها شعرها وغريبها فأكثر على أبي عكرمة أشياء أنا مبيتها في مواضعها ومسنداً إلى أبي جعفر ما فسّر وروى في موضعه إن شاء الله». (2)

هكذا أخرج "الأنباري" المفضليات، جامعا ناقلا راويا، لكل مجهودات هؤلاء العلماء، فخرجت إلينا هذه المفضليات بصورتها النهائية. وكان هذا العمل إرھاصا لمنهج جديد يقوم على الجمع واللم، والتكميل والتقويم، بدأه "الأنباري" ووصل الغاية العظمى عند "الخطيب التبريزي" (*).

إنّ أهم ما ميّز مجهود هذا الجيل وما بعده، هو ارتباط تصنيع الدواوين عندهم بعنصرين هامين هما: عنصر التبويب، وعنصر الترتيب.

أمّا التبويب، فيقصد به تبويب القصائد والمقطعات حسب الموضوعات، ونحسب أنّ "أبا تمام" أوّل من التفنت إلى هذا الأمر، حيث قام بتبويب مقطعات الحماسة حسب موضوعها (3)، وتابعه في ذلك كلّ من سلكوا سبيله وانتهجوا نهجه في تصنيف الحماسات، كذلك جمع "ابن قتيبة" الأشعار التي قيلت في الخمر والميسر، وصنّفها في كتاب "الميسر والقдах" (4).

(1) - المفضل الضبي، ديوان المفضليات، شرحه: الأنباري، ص1.

(2) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(*)-لقد أطلق فخر الدين قباوة على المنهج الذي انتهجه التبريزي "المنهج التكاملي" ينظر: تحقيقه المفضليات للتبريزي.

(3)- ينظر: أحمد أمين، تصديره لديوان أبي تمام بشرح المرزوقي، ص3.

(4)- نشر هذا الكتاب بتصحيح وتعليق محب الدين الخطيب، وطبع بالمطبعة السلفية، سنة 1343هـ.

أما عنصر الترتيب، فالمقصود به ترتيب القصائد أبجديا حسب حروف المعجم العربي، وتكاد تجزم المصادر القديمة والحديثة أن أول من قام بهذه العملية الفنية هو "أبو بكر الصولي"، حيث قام بتصنيع كثير من دواوين الشعراء وترتيبها، حسب ما ذكر "ابن النديم". (1)

أما الظاهرة البارزة التي أسهمت في تطوّر حركة الشروح في القرن الرابع الهجري، فقد دفعت إليها الخصومة النقدية حول الشعر الجديد، حيث ظهرت عناية بعض الشراح بالشعر المحدث، حيث جمعوا دواوينهم وتناولوها بالدرس والتحليل، وحاولوا توضيحها للناس بشرح غامضها وفك مستغلقها، فكان ديوان "أبي تمام" وديوان "المتنبي" أكثر الدواوين حظوة، وأكثرها عناية من قبل القدماء، فقد شارفت الشروح على "ديوان المتنبي" على ستين شرحا (2)، افتتحها أبو الفتح عثمان بن جني بكتابه "الفسر" (*) ثم توالى بعد ذلك الشروح. أما ديوان "أبي تمام" فهو أيضا قد حظي بشروح وافرة، منها شرح "الصولي"، "ابن جني"، "المرزوقي"... ولنا إشارة إلى هذه الشروح في المباحث اللاحقة من هذا البحث.

والسبب الذي جعل الشراح يستأثرون شعر "أبي تمام" و"المتنبي"، «استغلاق معانيهما واستبهام تراكيبيهما، وميلهما عن الطبع إلى التكلف، وعدولهما عن العفو إلى المستكهر» (3). فهما مولعان بالمعاني الدقيقة، والحكم اللطيفة الغامضة، وقد نسب إلى المتنبي أنه قال: «أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحري» (4). وفيه إشارة إلى امتزاج

(1) - ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص150، 288.

(2) - ينظر: كوركيس وميخائيل عواد، راند الدراسة عن المتنبي، دار الرشيد بغداد، 1979، ص81.

(*) - فسر ابن جني ديوان المتنبي بطريقتين:

- الأولى سماها "الفسر" وجعلها مقصورة على شرح معاني الألفاظ.

- والثانية سماها "معاني أبيات المتنبي" ضمنها ما يحتويه شعر المتنبي من أفكار. (ينظر: يوهان فك:

العربية، ص177-178.

(3) - ينظر: أبو البركات أحمد بن المستوفي، النظام في شرح شعر أبي تمام والمتنبي، تح: خلف رشيد نعمان، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ص192.

(4) - ابن الأثير، المثل السائر، تح: محي الدين عبد الحميد، ج2، ص348.

الدلالات العميقة في شعرهما بالفلسفة والحكمة، حتى صار كثير من الأبيات لا يفهم من أول وهلة، وإنما يتطلب فكرا ومعرفة واسعة كي يفهم معناه، ويكشف عن مكنونه، وكان بعضها متعدد الدلالات بحيث لا يمكن القطع فيه بدلالة واحدة، فاختلف الشراح في فهم مثل هذا النوع من الشعر وفي تقويمه، وذهبوا فيه مذاهب مختلفة، واشتدت خصومتهم حوله، فتعاقبت فيه التأليف والشروح.

إنّ الشرح عند هذا الجيل، تطوّر كثيرا وتغيّرت ملامحه، واختلفت عناصره عن ذي قبل*، خاصة بعد أن خرجت دواوين الشعراء المحدثين إلى حيز الوجود تحاكي دواوين الجاهليين وتنافسها، فاحتاج الأمر إلى تفسيرها أسوة بتفسير الشعر القديم، وذلك لإبراز معانيها وعناصر الجمال فيها، عندئذ ارتبط هذا الشرح بجانب توضيح الألفاظ، وتفسير المعاني، وتطور الأساليب وعرض صور البيان وإبراز أثر الثقافة فيها وإظهار عنصر الابتكار والتجديد، كما احتاج الأمر إلى توضيح البناء الداخلي للشعر.

وسرعان ما اختلفت الأمور بين هؤلاء العلماء، وتطوّرت الشروح شكلا وموضوعا، بعد أن كان الأمر يتعلق بشرح الأدب، أي تفسيره وإلقاء الضوء عليه، وتناول عناصره المختلفة بالتحليل والسرد، والاستشهاد عليها، وتوضيح أغراضه. نشأ نوع من الأدب، يمكن أن نطلق عليه أدب الشروح، مقابلا لشرح الأدب، ونعني بهذا الأدب، أنه لا يتناول الشرح تناولا تقليديا، لغويا أو نحويا أو تاريخيا، أو معنويا، بل يستعرض المعنى بصورة جمالية وبأسلوب أدبي بليغ تظهر فيه شخصية الأديب الشارح ولون ثقافته، وتعمقه في العلم وفهم الشعر وتذوقه، ثم إبداعه في توضيح صورة الشعر في إطار جميل جذاب من الأسلوب الفني التصويري.

وفي أدب الشروح هذا، يأخذ تفسير الشعر طابع الذوق الأدبي، الذي لا يصدر في حكمه عن القواعد والنحو، بل عن مقاييس الأسلوب بوجه خاص.

* - بمعنى أنّ شرح الشعر عند الأجيال السابقة، كان يكتفي فقط بتفسير بعض المفردات، وعبارات الكلام، تفسيرات نحوية ولغوية ذات دلالات، وتحليلها تحليلا اشتقاقيا، مع ذكر أصلها ولهجتها وكثيرا ما يعنون بموضوع الشعر، كأن يقال: مديح، هجاء...مع إضافة المعاني الإجمالية التي يدل عليها جريان تيار هذا الشعر.

يظهر هذا النوع من الشرح عند "أبي بكر الصولي" وهو يشبه نقد الشعر وذلك عندما تناول موضوع "طول الليل وأثره على نفسية العاشق الولهان" وكيف صورّه الشعراء الجاهليون، كلّ بطريقته وأسلوبه، ووفق إحساسه. وذلك عند كل من "النابغة الذبياني" و"امرئ القيس" (1).

يقول النابغة: (2)

كليني لهمّ، يا أميمة، ناصب، وليل أقاسيه، بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت لئس بمنقّض ولئس الذي يرعى النجوم بأيب
وصدر أراح الليل عازب همّه، تضاعف فيه الحزن من كل جانب
وقال امرؤ القيس (3):

وليل كموج البحر أرحى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكأكل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كان نجومه بكّل مغار الفتل شدت بيدبل

يقول "الصولي" مفسراً صورة الليل كما رسمها "النابغة" ووقعها على نفسه: «فأما قول النابغة: وصدر أراح الليل عازب همّه، فإنه جعل صدره مألفاً للهموم، وجعلها كالنعم

(1) - ينظر : المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص31-33.

(2) - ينظر: النابغة الذبياني، الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة ، ط2، بيروت، 2005، ص13. (كليني: دعيني وهمي. ناصب: أي به نصب وهم. بطيء الكواكب: أي أنّ ليله لا ينقضي، وكواكبه لا تغور. يريد أنّ كل راعي غبل وغيرها يؤوب مع الليل إلى أهله، أمّا الذي يرعى النجوم فهو قاعد ينتظر الصبح. العازب: هو الرجل الذي يبيت في المرعى بعيداً عن أهله. يريد أنه كان همّه عازباً بالنهار، لأنه يتعلّل بالنظر والشغل فيقلّ همّه وإذا أمسى انفرد بحاله ولم ير شيئاً يتعلّل به فيردّ عليه الليل همّه).

(3) - ينظر: امرؤ القيس، الديوان، شرحه عبد الرحمان المصطاوي، ص48.

العازبة بالنهار عنه، الرائحة مع الليل إليه، كما تُريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها، وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل، وتبعه الناس»(1).

ثم ينتقل إلى توضيح اللوحة التي رسمها "امرؤ القيس"، مبينا منزلته الرفيعة، وتملكه لمملكة الشعر في عصره، لأنه «بِحِدْقِهِ، وَحُسْنِ طَبْعِهِ، وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ، كَرِهَ أَنْ يَقُولَ: «إِنَّ الِّهِمَّ فِي حَبِّهِ يَخْفُ عَنْهُ فِي نَهَارِهِ، وَيَزِيدُ فِي لَيْلِهِ، فَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ سَوَاءً عَلَيْهِ فِي قَلْقِهِ وَهَمِّهِ، وَجَزَعَهُ وَغَمِّهِ، فَقَالَ:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلِ

فأحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه، وإن كانت العادة غيره والصورة لا توجبه»(2).

ثم ينتقل "الصولي" إلى شاعر آخر أتى بعد امرئ القيس، فرسم صورة أخرى لحاله، أوضح وأجمل وأراه استحالة معناه في المعقول، وأن الصورة تدفعه، والقياس لا يوجبه، والعادة غير جارية به، حتى لو كان الراد عليه من حذاق المتكلمين ما بلغ في كثير نثره ما أتى به في قليل نظمه، وهو الطرمّاح بن حكيم الطائي فإنه ابتداء قصيده، فقال(3):

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا أَصْبِحِي بَيْمَّ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَرْوَحِ

فالطرمّاح أتى بلفظ امرئ القيس ومعناه، ثم عطف محتجا مستدركا، فقال(4):

عَلَى أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةً بِطَرْحِهِمَا طَرْفَيْهِمَا كُلَّ مَطْرَحِ

فأحسن في قوله وأجمل، وأتى بحق لا يُدْفَعُ، وبيّن عن الفرق بين ليله ونهاره(5).

(1) - المرزباني، الموشح، ص42.

(2) - المرجع نفسه، ص43.

(3) - ينظر: الطرمّاح، الديوان، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، ط2، بيروت، 1994، ص93.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) - ينظر: المرزباني، الموشح، ص44.

وأخيراً يوضح لنا "الصولي" لماذا جرى الشعراء على ربط شكواهم ونجواهم بالليل، فيقول: « وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعفِ بلائهم بالليل، وشدة كلفهم، لقلّة المساعد، وفقد المجيب، وتقيد اللّحظ عن أقصى مرامي النظر الذي لا بدّ أن يُؤدّي إلى القلب بتأمله سبباً يخفف عنه، أو يغلب عليه، فينسى ما سواه»(1).

وهناك عوامل ساعدت على اكتمال أدب الشروح عند هؤلاء العلماء، منها استحداث المقدمات الأدبية النقدية (*)، التي تُلقِي الضوء على ما بعدها من أعمال فنية تتصل بالشعر والشاعر معاً، وتُوضِّح مذهبه الفني، ومنهجه في النظم، وتُبيِّن ماهيته بين الشعراء وقيّمته الفنية بالنسبة للسابقين والمعاصرين، وقد تتضمن أخبار الشاعر وعلاقاته، وما قيل حوله من آراء .

وعلى مشارف نهاية القرن الرابع نلمس تطوّرات فنية ومنهجية في تناول الشعر بالشرح، إذ كان معظم الشراح في هذه الفترة من ذوي الثقافات الواسعة المتعددة وانعكس ذلك كلّهُ على شروحهم، فانتُسمت بنصيب وافر من الدقة والعمق. نذكر منهم، الآمدي صاحب الموازنة(ت380هـ) والمرزباني صاحب الموشح(ت384هـ) وأبا عبد الله النمرى(ت385هـ) صاحب تفسير معاني أبيات الحماسة، وابن جني(ت392هـ) صاحب شرح ديوان المتنبي. وعنده نقف عند ظاهرة التخصص في أول معين من الشرح كما هو الشأن في كتابه "التنبيه في شرح مشكلات أبيات الحماسة".

إنّ "ابن جني" جعل جُلَّ شروحه للشعر تكاد تكون مقصورة على الإعراب، أي توضيح المسائل النحوية، والاشتقاقات اللفظية والتحليلات الصرفية.

يقول في تفسير بيت عمرو بن معدي كرب(2):

(1) - المرزباني، الموشح ، ص44.

(*)- من هذه المقدمات نذكر، مقدمات "الصولي" على الدواوين كديوان "أبي تمام"، وديوان "أبي نواس"، مقدمات "ابن جني"، ومقدمات "المرزوقي" على الحماسة والمفضليات.

(2) - ينظر: ابن جني، التنبيه على مشكلات الحماسة، الحماسية29، ص87. وهي في شرح المرزوقي، الحماسية34، ص129. وفي شرح التبريزي، الحماسية35، ص131.

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمَنْزَرٍ - فاعْلَمْ - وإن رُدِّيتَ بُرْدًا

فهو يبدأ الشرح بتوضيح جواب (إن)، ولعل هذه النقطة أول ما لفت نظره فيقول: «جواب إن محذوف، يدل عليه ما يصحبُهُ، وهذا كقولك: (أنت ظالمٌ إن فعلتَ) أي (إن فعلتَ ظلمتَ) فكذاك هذا، فكأنه قال: (إن رُدِّيتَ بُرْدًا فاعْلَمْ أن الجمال في إعداد آلة الحرب لاحتياز المجد، لا فيما تلبسه وتتجملُ به).

ثم يذكر نظيرا له في كتاب سيبويه، ويبيِّن مدى الاتفاق بينهما فيقول: «ونحو منه، بل أشبه به بيت الكتاب:

عَاوِدُ هَرَاةٍ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِيًّا

وذلك أن الواو وما بعدها منصوبة الموضع بعَاوِدُ، كما أنَّها وما بعدها في قوله:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمَنْزَرٍ - فاعْلَمْ - وإن رُدِّيتَ بُرْدًا

منصوبة الموضع بما قبلها. (1).

ثم ينتقل ابن جني إلى شرح الشاهد الذي ذكره فيقول:

«فأما قولك (إن فعلتَ) من قولك (أنت ظالمٌ إن فعلتَ) فلا موضع لها من الإعراب، وإنما هي كقولك مبتدأ: إن فعلتَ ظلمتَ، فكما أنَّ (إن فعلتَ) من قولك (إن فعلتَ ظلمتَ) لا موضع لها، فكذاك هي في قولك (أنت ظالمٌ إن فعلتَ)» (2).

وما نكاد نصل إلى القرن الخامس إلا وجدنا خلاله وثبات واسعة المدى لشراح الشعر، إذ أخذوا في استكمال ما قصر سابقوهم في شرحه أو تركوه بدون شرح ولمع عنصر الاهتمام بالمعاني والتفنن في تقليبيها على أكثر من وجه مع النقد والتحليل والتعليل والإبداع حتى طغى ذلك على شروح بعضهم "كالمرزوقي" شارح الحماسة (ت421هـ)، ونجد لدى بعضهم أمشاجا من الشرح فيه اللغة والنحو والمعاني والبلاغة والأخبار التاريخية والنقد على نحو ما نجد في شرح المعري (ت499هـ) لشعر الحماسة فيما نقله عنه التبريزي، وشرح

(1) - ابن جني، التنبيه على مشكلات الحماسة، الحماسية 29، ص 87.

(2) - المرجع نفسه، ص 88، 87.

البطليوسي (ت564هـ) لسقط الزند والأعلم الشنتمري (ت476هـ) لديوان طرفة بن العبد، وشرح ابن سيده وشرح الزوزني وغيرها.

إنّ العنصر البارز في شروح هذا الجيل، هو عنصر توضيح المعاني والاهتمام بها اهتماما قد يطغى على غيرها من العناصر الأخرى، في إطار من الإيجاز والاختصار، مع عدم إغفال الجوانب البيانية، والعناصر التوضيحية الأخرى، نحوية أو لغوية أو تاريخية، لكن باقتصاد واعتدال.

"قالزوزني" (1) الذي كان بصيرا بالأدب، وله يد في الأصول الكلامية، ومنزلة رفيعة في العلوم الأدبية، حين أراد أن يشرح المعلقات السبع وبعض القصائد الجاهلية الأخرى، أملاها على حد الإيجاز والاقتصار على حسب ما أقترح عليه (2).

وأبو "العلاء المعري" (3)، الشاعر الحكيم، اللّغوي الأديب، العالم المتفلسف، الذي عُرف عنه مدى غرامه بحشو شروحه بالأخبار التاريخية، والمسائل اللّغوية، والعروض والقافية والنقد، وإشباعها والاستطرادات اللغوية والنحوية، ويتجلى ذلك كلّ في شروحه على شعر المحدثين "كأبي تمام" و"المتنبي" وغيرهما. نجده حين تصدى لشرح الحماسة مقتصدا مقتصرا على بعض النواحي اللغوية والتأويلات المعنوية (4).

إنّ أوضح سمة في شروح هذا الجيل أنّها شروح معنوية فنيّة، أي الاهتمام بمعاني الشعر، القريبة والمحتملة والجائزة. وإن كانت تغفل بعض الخصائص الفنية، والعناصر النقدية حين يستدعي الأمر ذلك وتلح المناسبة، فتراهم يقسمون لها في شروحهم تقسيما عادلا، فيجمعون بين عناصر الشرح المختلفة، لغة ونحوا وصرفا وإخبارا في إيجاز غير مغل.

(1) - ينظر: ترجمته في كشف الظنون، لحاجي خليفة، ص1703.

(2) - ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، تح: لجنة التحقيق في الدار العالمية، دار العالمية للنشر، بيروت، 1993، ص9.

(3) - ينظر ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباري، ص257.

(4) - ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص334.

مثلا يقول "الزوزني" في شرح بيت امرئ القيس (1):

وَإِنَّ تَكُّ قَدْ سَاعَتْكَ مَنِّي خَلِيقَةٌ فَسُئِلِي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلُ

يقول: من الناس من جعل الثياب في هذا البيت بمعنى القلب، كما حملت الثياب

على القلب في قول عنتره (2):

فَشَكَّكَتُ بِالرَّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَتَا بِمُحَرَّمٍ

وقد حملت الثياب في قوله تَعَالَى: وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ ﴿٣﴾ على أن المراد به القلب.

فالمعنى على هذا القول: إن ساءك خلق من أخلاقي، وكرهت خصلة من خصالي، فردّي

على قلبي أفارقك، والمعنى على ذلك القول: استخرجي قلبي من قلبك يفارقه. (4)

ومن الناس من حمل الثياب في البيت على الثياب الملبوسة، وقال: كَتَى بَتْبَايِنِ

الثِّيَابِ وَتَبَاعَدَهَا، وقال: إن ساءك شيء من أخلاقي فاستخرجي ثيابي من ثيابك أي ففارقيني

وصارميني كما تحبين، فإني لا أؤثر إلا ما آثرت، ولا أختار إلا ما اخترت، لانقيادي لك،

وميلي إليك، فإذا آثرت فراقني آثرته، وإن كان سبب هلاكي، وجالب موتي. (5)

واهتمام هؤلاء العلماء بالمعنى جعلهم لا يتركون بيتا من الشعر إلا بعد أن يقتلوه

شرحا وتأويلا، محاولين الوصول إلى أغواره ولمس كل المعاني المحتملة. "كالزوزني" الذي

يُلْحُ في إظهار معاني البيت إلحاحا، فيقول تارة:

"وتلخيص المعنى (6)"،

(1) - ينظر: امرؤ القيس، الديوان، شرحه عبد الرحمان المصطاوي، ص33. (والنسل: سقوط الريش والوبر

والصوف، والشعر. يقال: نسل ريش الطائر ينسل وينسل نسولا، واسم ما سقط النسيل والنسال، ومنهم من رواه

تتسلي وجعل الانسلاء بمعنى التسلي، والرواية الأولى أولاها بالصواب).

(2) - ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، "معلقة عنتره بن شداد"، ص139.

(3) - سورة المدثر، الآية4.

(4) - ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص20.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) - ينظر: ، المرجع نفسه، شرح الأبيات، ص16-65-66.

أو "تحرير المعنى (1)".

والمقصود (2)... وهكذا.

وفي شروح هذا الجيل-القرن الخامس الهجري-، يصادفنا الكثير من عناصر النقد الفني التدوقي والتحليل، وما كان ذلك إلا لكثرة ما رآه وقرأه في مصنفات السابقين ولكثرة ما لمسوه من تباين في المناهج، واختلاف في المناحي، فكان عليهم أن يتلمسوا سدّ الثغرات إن وجدت، وتكميل النقص إن ظهر، كل ذلك في نطاق محاولتهم جعل الشروح قريبة ميسرة وسطا لا إفراط فيها ولا تفريط.

فكان نقد هؤلاء يسير في شعب متوازية، بعضه موجّه إلى خالقي هذا الفن ومبدعيه، وبعضه موجّه إلى الرواة، ناقلي هذا الفن ومذيعيه، وبعضه موجه إلى الرواية نفسها.

ومن أمثلة النقد الموجّه إلى الشعراء، ذلك النقد الذي وجّهه "أبو العلاء" إلى الشداخ

بن يعمر الكناني لقوله (3):

قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا يَدُ
خُلُكُم مِّن قِتَالِهِمْ فَشَلُّ
الْقَوْمِ أُمَّتَالِكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ
فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا

قال "أبو العلاء": قوله: "قاتلي القوم" كأنه مخروم، والخرم: "سقوط حرف متحرك من أول كل شعر أصل بناء أوله على حرفين متحركين والثالث ساكن" وذلك لا يجوز في هذا الوزن على رأي الخليل. ثم يستطرد "أبو العلاء" قائلا: والذي أعتقد أنه جائز، وقد ذكره "أبو رياش" على ما يجب من صحة الوزن، وهو (فقاتلي القوم يا خُزاع) ويروى (قاتلي) و(قاتلوا)

(1) - ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 71، 20.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 46.

(3) - ينظر: أبو العلاء المعري، شرح ديوان حماسة أبي تمام، تح: حسين محمد نقشه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، الحماسية 41، ص 141. بمعنى (أي هم آدميون مثلكم ليسوا جنًا ولا ملائكة، كأنه أخبرنا بأن هذين الخلفين لا شعر لهم. يَحْتَهُمْ على مُعَاوَدَةِ الْحَرْبِ. يقول هم مثلكم إذا قُتِلوا لا يُنْشَرُونَ فَيُخَافُونَ). وهي في شرح التبريزي، الحماسية 41، ص 146.

على اللفظ مرة، وعلى المعنى أخرى، وجعل النهي في اللفظ للفشل، والمراد: "لا تفشلوا، أي لا يتداخلكم الجبن والخوف" (1).

ومن الظواهر البارزة في هذا الجيل وجود نوع من النقد الإيجابي، بمعنى أن يمدح شارح شارحا سابقا، ويُشَيِّد بتفسيره ويقرظه، فحماسية بعض بني عبد شمس، والتي يقول فيها: (2)

يَا أَيُّهَا الرَّكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعَا قَوْلًا لِسِنْبِسٍ فَلْتَقُطِفْ قَوَافِيهَا

يقول "أبو العلاء المعري": إنَّ "تقطف" من قطف الثمرة، وأنَّ الياء في قوافيها في موضع نصب، وهو وجه حسن ويصرف على معنيين:

أحدهما: أن يجعل القطف مثل القطع، يقول: لتدع قول الشعر فيما بيننا وبينها، فإنَّ الحرب أكبر أمرا من الهجاء. والآخر: وهو الذي ذكره "النمري"، وهو أن يكون القطف من قطف الثمرة، ويجمل الغرض على قولهم: اجْتَنِّ مَا غَرَسْتَ، وكلُّ أيها الصائد لحم قَنْصِكَ أي إن فعلنا بهم شرًّا فهو جناية قوافيهم عليهم، وهذا قول حسن جدا. (3)

وهناك أمر جدير بالذكر في هذا الوسط العلمي الهائل والذي تشهد عليه مختلف المصنفات، أنَّ جميع العلماء في الأمصار الإسلامية إنَّما هم تلاميذ لعلماء العراق، وأنَّ علماء المغرب أمثال "القيرواني"، و"الأعلم الشنتمري"، و"أبي بكر البطليوسي"... إنَّما تلمذوا ونقلوا وأخذوا عن علماء العراق الأصليين، وذلك إمَّا عن طريق الكتب أو بواسطة العلماء المهاجرين والجوالين (4). من هنا فات علماء المغرب الكثير من التطور العلمي الذي حدث في أقاليم العراق، ومن ثم وجدنا فارقا علميا واسعا بينهم .

(1) - ينظر: أبو العلاء المعري، شرح ديوان حماسة أبي تمام، ص 141.

(2) - ينظر: التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، الحماسية 75، ص 197.

(3) - ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج 1، ص 346.

(4) - ينظر: يوهان فك، العربية، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1951، ص 168.

ولعلنا لا نعدو الصّواب إن قلنا أنّ القرن الخامس كان أزهى العصور لشروح الشعر، وأقربها إلى المنهجية والفنية في الشرح.

على أننا نلاحظ أنّ الشروح في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس أخذت تميل في الغالب إلى الاتساع والشمول بتجميع مادة الشرح من شروح السابقين بعد نخلها وتهذيبها واختيار ما هو مناسب منها. والشارح في هذه الفترة لم تكن تفوته العناية بالأسرار والدقائق اللغوية والنحوية والأخبار التاريخية والتعريف بالشعراء وأنسابهم، منهم "الطبري (ت 495هـ)"، "الميداني (ت 518هـ)"، "الشيرازي (ت 500هـ)"، "الفصيح (ت 516هـ)"، ولعل "الخطيب التبريزي (ت 503هـ)". أبرز من يُمثّل هذا الاتجاه في شروحه للشعر كشرحه للمفضليات ولحماسة أبي تمام وغيرها.

كانت شروح هؤلاء العلماء تصبّ اهتمامها في الغالب الأعم في قوالب الغاية التعليمية، في المدارس النظامية، في مختلف الأمصار والأقطار.

وأهم سمة امتازت بها هذه الشروح، في عهد هؤلاء العلماء المتأخرين وفي قاعات العلم المختلفة بالمدارس، خدمة الطلاب الراغبين في التزود بأمور الدين والدنيا، بعد أن كانت الشروح السابقة تخدم العلم عموماً، وتلبي الحاجات التعليمية والثقافية، وتساعد في بعض الأحيان على توضيح وتجلية النظريات العلمية المختلفة لغوية أو نحوية.

ولا يزال الشعر واللغة والنحو عمداً يرتكن إليها في دراسة علم الكتاب والسنة. يقول التبريزي: «إنّ أشرف العلوم كلّها علم الكتاب والسنة... ولا يصحّ حقيقة معرفتهما إلاّ بعلم الإعراب الدالّ على الخطأ من الصّواب، وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات المفصّحة عن المجاز والاستعارات، وعلم الأشعار...» (1). لذلك كانت هذه الشروح تعتمد كثيراً على التلقين والتحفيظ.

(1) - التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، المقدمة، ص 9.

ونظرة فاحصة إلى مقدمة "التبريزي" على ديوان الحماسة، توضح أنّ طلاب العلم في أول مدارس الدولة العليا، لم يكونوا بحالة تسمح لهم بفهم الأشعار الفصيحة دون شرح أولي (1).

إنّ الشروح انتقلت نقلة نوعية، في الشكل والمضمون والغرض أيضا، فبعد أن كانت تتداول في المساجد بصفة عامة، أصبحت في المدارس المتخصصة تتدارس وتتعلم جنباً إلى جنب مع غيرها من العلوم والفنون، بطريقة منهجية، حيث يحضر إليها طلاب العلم، لينهلوا من أساتذتهم، الذين استوعبوا كل ما وصل إلى أيديهم من تراث شعري على مر العصور، وتراث تفسيري صنعه علماء الأجيال السابقة وتجمع بين أيديهم كل هذا المحصول المتنوع من التراث، ليصبح مادة مرنة خصبة، شكلوها لتفي باحتياجات طلاب العلم في المدارس، وإن كان ذلك لم يمنع البعض من أن يبذلوا العلم في مجالسهم ومنازلهم (*) إلى جانب التأليف والتصنيف.

إنّ علماء هذا القرن كانوا يضعون في اعتبارهم تعميق أثر هذه المدارس الناشئة، فيشكلون شروحهم تشكيلا تعليميا منهجيا متدرجا، يراعي ظروف طلاب العلم المبتدئين، الذين يحاولون شق طريقهم على أسس جديدة خاصة، وبواسطة مناهج دراسية محددة، لا بواسطة مناهج مفتوحة عامة، كما كانوا يفعلون في المساجد والمنازل، فظهر في صنيعهم مراعاة الظروف التعليمية وحالة الطلاب، وظهر في شروحهم هذه الرؤية الجديدة، والمناهج المتدرجة المحددة، التي تقوم على التنسيق والتكامل، بمعنى أنّ الشروح السابقة إذا كان يغلب عليها الطابع التألفي التصنيفي، حيث يضع العالم خبرته وعلمه من تأليف مؤلف أو تصنيف شرح، يعكف فيه على تفسير مجموعة من القصائد والمقطعات، فإنّ طبيعة الشروح

(1) - ينظر: يوهان فك، العربية، تر: عبد الحليم النجار، ص210.

(*) - كان الفصيحي يدرس الأدب بالمدرسة النظامية، فلما اتهم بالتشيع، وأخرج منها. كان المتعلمون يقصدونه إلى داره التي انتقل إليها، يقول: "داري بكراء، وخيزي بشراء، وقد جنّتم تتدحرجون إليّ، اذهبوا إلى ذلك الذي عزلنا به. ينظر: (الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص275).

في هذا العهد، وإن اتجه بعضها هذا الاتجاه، وضعت في اعتبارها بالإضافة كل ما سبق:

(1) الطابع التعليمي التحليلي الذي يخدم المبتدئين بالإضافة إلى متعة المتمرسين.

أصبحت هذه الشروح في أواخر القرن الخامس وما بعده وسيلة من وسائل اكتساب الثقافة اللغوية، بعد أن اتسعت المساحات وامتدت المسافات، وتغيرت عقلية الشعوب الإسلامية من النواحي السياسية والأدبية، ولحنت أسنة حتى المثقفين، للبعد عن منابع اللغة العربية وأصولها.

اتخذت الشروح عند هؤلاء العلماء طابعا جديدا، عماده الإمام والشمول، وبساطة العرض والسر، فكانت تعنى بكل الدقائق اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية إلى غير ذلك. فكان لا بد من هؤلاء العلماء أن ينظروا في كل التراث، وأن ينتخبوا منه ما يوافق ظروف طلاب العلم في هذه المدارس. كان عليهم أن يختصروا أقوال القدماء ويهذبوها حتى تقرب إلى الأذهان والأفهام، كان عليهم أن يبسطوا الشروح، ويحللوا الجزئيات الغامضة، ويشرحوا شواهدا التي مر عليها القدماء مروراً خفيفاً، كان عليهم أن يقربوا بين وجهات النظر المتنافرة التي ظهرت في شروح القدماء، وأن يحاولوا ترجيح أحدها على الآخر، لذلك قلنا أنّ شروحهم اتسمت بالتكامل والشمول، والتخفف من أثقال الحشو والتكديس.

(2)

من هنا نصل إلى نقطة هامة وبارزة في شروح هؤلاء العلماء، وهي أنّ هذه الشروح كانت جمعية نقلية حصرية، تعتمد أساساً وكلياً على الشروح السابقة بلا استثناء، نقلاً واختصاراً، تكميلاً وتهذيباً (3).

تكاد هذه الصبغة هي السائدة على جلّ الشروح خلال العصور المتعاقبة بعد القرن السادس، بيد أننا نجد بعض الشروح في القرن الثامن وما بعده تُمثّل المستوى الثقافي والفكري للعصر الذي شاعت فيه العلوم العقلية والنقلية، الأمر الذي جعل العقل يطغى على

(1) - ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج1، ص368.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص369.

(3) - إنّ شرح "التبريزي" الذي كان من غايته سد الحاجة التعليمية، والذي احتفظ بمكانته من حيث أنه عون مريح على قراءة ديوان الحماسة، إنما هو مجموعة تضم في مهارة وحذق نتائج الجهود التي بذلها علماء اللغة القدامى.

الشرح حتى أفقده الطابع الأدبي، كما يبدو من شرح "ابن هشام" الأنصاري (ت761هـ) لقصيدة بانة سعاد، ومن شرح عبيد الله بن عبد الكافي العبيدي لمختارات عز الدين عبد الوهاب الزنجاني التي سماها "المضنون به على غير أهله". ونلمح قريبا من هذا النحو في الشرح في القرن الثاني عشر لدى ابن زاكور الفاسي (ت1120هـ) في شرح حماسة الأعلام الشنتمري. وفي العصر الحديث لا يبعد منحى الشيخ "سيد علي المرصفي" في شرحه للشعر عن منحى السابقين كما نجده في شرحه الذي سماه "أسرار الحماسة" شارحا فيه طرفا من شعر الحماسة (*).

5- في الأندلس:

أما في الأندلس، فقد اتجهت حركة الشرح إلى شرح الكتب المختلفة، كشرح أحاديث الرسول "ص" وخطب الصحابة، وشرح الشعر الجاهلي والإسلامي. وكان انتقال المتن الشعرية وبعض الشروح إلى الأندلس مثلا يُحتدَى به. ككتاب "الحماسة" من اختيار الطائي الذي شرحه "أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني"، و"أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي" و"أبو الحجاج الأعلام الشنتمري"، و"مقامات الحريري" التي لقيت عناية فائقة استمرت زما طويلا.

لم يكن الاهتمام فقط بشرح الشعر، بل تعدى الأمر إلى شرح كتب النحو واللغة، " كشرح كتاب الجمل "لمحمد بن هشام اللخمي" وشرح الجمل " لإسحاق بن الحسين. أما كتاب "شرح الجمل للزجاجي" فقد لقي عناية كبيرة، فوضعت عليه عشرات الشروح والتنبيهات وتطرق بعضها إلى شرح شواهد.

أدرك الأندلسيون أهمية شروح بعض علمائهم فتناولوها بالرواية والدرس، وتناقلوها كما تناقلوا أحسن الآثار المشرقية، فكانت حماسة "الأعلام" قد غطت على حماسة "أبي تمام" زما. يقول صاحب كتاب "إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج: «ولما كانت

(*)- طبع من هذا الكتاب الجزء الأول بمطبعة أهل الهول بمصر، الطبعة الأولى، 1912.

حماسة أبي تمام مجفوة القدر في عصرنا ومطرحة الاستعمال عند أبناء دهرنا حين أخذت هذه الحماسة الأعلمية عليها باستمالة النفوس إليها»⁽¹⁾.

عرف بعض الشراح الأندلسيين بالضبط في النقل والدقة في الجمع والتثبت في الرواية والعناية في الشرح، إذ حفظوا لنا مجموعات شعرية ودواوين مفردة، ومن هنا تأتي أهمية الشراح الأندلسي في تاريخ الأدب العربي، في هذا الصدد يقول محقق ديوان مسلم بن الوليد الذي شرحه الطبيخي الأندلسي: «إنَّ الطبيخي في هذا الشرح لا يقلُّ عن علماء المغاربة في شرح الدواوين القديمة ، ويستوي مع مواطنيه (الأندلسيين) كالبطلوسي، والشنتمري ممن أسدوا يدا كبيرة إلى العربية في الرواية والجمع والشرح»⁽²⁾ .

ومما ساعد على نقل بعض الآثار المشرقية إلى الأندلس، تقلد عدد من الأمراء من محبي العلم والأدب*، فكان فرصة لدخول علماء كبار من المشاركة**، نقلوا معهم أحاسن تراث المشرق ثقة وضبطا ورواية، وأحلّه الدارسون محله من التكريم والحفظ، وعادوا عليه

(1) - ابن جني، إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبية والمبهج، نقلا عن محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص70.

(2) - مسلم بن الوليد، ديوان صريع الغواني، تح: سامي الدهان، دار المعارف، مصر، المقدمة.
* - أمثال" عبد الرحمان الداخل، الذي قال عنه ابن حبان" بليغا مفوها و شاعرا محسنا" وكذلك"المعتمد بن عباد" الذي كان متمسكا بالأدب، و "عبد الرحمان الناصر" ... ينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس" في القرن الخامس الهجري"، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1984. ص11-12.

** - مثل "أبو علي القالي" الذي دخل إلى قرطبة سنة330هـ حاملا معه مجموعة شعرية ضخمة، ضمت سبعة وسبعين ديوانا بين جاهلي ومخضرم وإسلامي . أمّا شعر المحدثين فقد ضمّ شعر أبي نواس ، وشعر أبي تمام، والمتنبي، وابن المعتز، وحمل من كتب الأخبار ثمانية وعشرين جزء من أخبار نفظويه، وابن الأنباري، وخمسين جزء من اخبار ابن دريد، والأخبار المنثورة للصولي. ينظر: ابن خير، الإشبيلي، فهرسة ابن خير، ص 365، 400-408 كما نجد "ابراهيم بن سليمان الشامي" الذي دخل إلى الأندلس في أواخر أيام الحكم شاديا للشعر، الذي كان قد أدرك بالمشرق كبار المحدثين كأبي نواس وأبي العتاهية. كذلك "ابو اليسر ابراهيم بن أحمد و"الشيباني الرياضي"، الذي لقي الجاحظ والمبرد وثلعا ولقي من الشعراء "أبا تمام والبحرتي" ودعبلا. وهو الذي أدخل إلى إفريقية والأندلس رسائل المحدثين وأشعارهم. ولدنيا أيضا"أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي الدارمي الذي تلمذ "لأبي العلاء المعري"، دخل الأندلس فأقام عند المأمون بن ذي النون. ينظر:مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في الأندلس"، ص18.

بالشرح والتعليق والملاحظة والتنبيه. استوى في ذلك الشعر والنثر، الشعر القديم والمحدث. فكانت هناك شروح على "الكامل للمبرد" و"أمالى القالي" و"أدب الكاتب" و"شرح على الشعراء الجاهليين" خاصة الشعراء الستة (*)، وعلى مقصورة ابن دريد، وشعر المتنبي وشعر حبيب... وغيرها، فكانت الشروح شاملة لكثير من نواحي الثقافة والفكر ومنتبعة للنواحي الأدبية بشكل خاص.

وفي كتب التراجم الأندلسية، نلاحظ كثرة واضحة في كتب الشروح من أوائل عهد التأليف إلى أواخر أيامهم في غرناطة، فكانت قلة اهتمامهم بالدراسات النقدية والبلاغية خاصة من الوجهة النظرية، وكأنهم انصرفوا إلى الشروح مكثفين بتذوقهم هذا واستخلاص القيم الجمالية من النصوص نفسها.

لقد أفاد الأندلسيون من الشراح المشاركة، ونصّ "أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي" على أنّ شرحه على الأشعار الستة إنّما هو جماع ممّا سجّله العلماء الثقات قبله ممّن يعتدّ برأيهم في اللغة والنحو والأخبار⁽¹⁾. كما عرفوا شروح "الأصمعي" و"أبي حاتم السجستاني" و"ابن قتيبة" و"ابن جنى" و"أبي علي البغدادي" (القالي) و"المعري والتبريزي" وسواهم ممن كان لهم باع في بسط معاني الشعر والغوص على غوامضه وتبيان أخباره وإشارته، فتكونت لديهم ثقافة جيدة وتابعوا تطور الثقافة والأدب في المشرق وضمّوا القرنين إلى قرينه بين متقدم ومتأخر، فبلغوا بذلك شأواً يستحق الوقوف عنده.

1- أنواع الشروح في الأندلس:

إنّ شرح "أبو العباس وليد بن عيسى الطبيخي"، لديوان مسلم بن الوليد، وشرح أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري على ديوان المتنبي، و"أبو الحجاج الأعلم الشنتمري" وشرح على الشعراء الستة، وشرح "أبو بكر أيوب البطليوسي" على أشعار

(*)- هؤلاء الشعراء هم: امرؤ القيس، وعلقمة بن عبدة، والنابغة زهير، وطرفة وعنترة العبيسي.

(1) - ينظر: أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي، شرح الأشعار الستة الجاهلية، تح: ناصيف سليمان عواد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2008، المقدمة، ص4.

الشعراء الستة أيضا، و"أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي الأندلسي صاحب شرح مقصورة ابن دريد، وشرح أبو الفتوح ثابت بن محمد الأندلسي على حماسة أبي تمام، وغيرها من الشروح تبين لنا حركة الشرح في الأندلس والمسالك التي انتهجها شارحون واتجاهاتهم ومناحي شروحهم. وباستطلاع شروح هؤلاء قسّمت كتب الشروح في الأندلس إلى قسمين اثنين:

1-1- **قسم تعليمي:** يقصد به حسب تأليفه واختصاره وشموله العام إعطاء الشداة وطلبة العلم مادة جيّدة في رواية الشعر خاصّة وشرحه وتبيان ما فيه من خبر وإشارة والتعليق على لفظة لغوية أو اصطلاح بلاغي(1).

الغالب على هذه الشروح* الاختصار وتبدأ عادة بشرح الألفاظ شرحا لغويا سريعا ثم بسط المعنى المقصود من البيت أو الفقرة، يقول "الإفليبي"(ت441هـ) في شرحه لديوان المتنبّي(2):

أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّهِنَّ كَالْقُبْلِ

الممالك: جمع مملكة، وهي سلطان الملك في رعيّته، والأسل: الرّمّاح، والقُبْل: جمع قبة. بمعنى أنّ: أعلى الممالك رتبةً، وأظهرها رفعةً، ما بُني على الحربِ ودُفِعَ عنه بالطّعنِ والضّربِ، وأشار بالأسلِ إلى هذه العبارة، وما يكونُ الطّعنُ عندَ مالِكِهِ، والقتالُ عندَ مُحِبِّيه كالقُبْلِ المستعذبة، واللّداتِ المغتمة(3).

ومن ثم يمزج بين الشرح السريع لبعض الكلمات، وبين المعنى العام، مستخلصا منه دقائق المعاني مستفيدا من ثروته اللغوية الفنية.

(1) - ينظر: محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص74.

* - من هذه الشروح نذكر على سبيل المثال: شرح ديوان "مسلم بن الوليد" للطبيخي، وشرح ديوان "المتنبّي" للإفليبي، وشرح الأشعار الستة "للأعلم الشنتمري"، وشرح مقصورة دريد "لابن هشام اللخمي".

(2) - ينظر: ابن الإفليبي: شرح شعر المتنبّي، تح: مصطفى عليان، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص217.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص217.

كما يلاحظ في شروح هؤلاء الإشارة أحيانا إلى إعراب كلمة يترتب على توجيهها معنى أو معان أو تكون قد أثارت خلافا قديما أو حديثا لدى الشارح نفسه، وقد يتعرض لاصطلاح عروضي إن كان في البيت شذوذ أو خلاف. وقد يفيد من بعض الاصطلاحات البلاغية.

أمّا، "الأعلم الشنتمري"، وهو من علماء القرن الخامس-، وهو في بلاد المغرب، لا يزال يروي وينقل ويكتب ما ذكره "الأصمعي" و"ابن الأعرابي" و"الطوسي" في القرن الثاني وأوائل الثالث.

قال في شرحه لديوان "علقمة الفحل"، وهو أحد الدواوين التي نقلها أبو علي الفارسي" إلى الأندلس، بعد ذكره لمجموعة من القصائد يقول: «كامل جميع ما رواه الأصمعي من شعر علقمة، ونذكر قطعاً من شعره مما رواه أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي عن الطوسي وابن الأعرابي»(1).

فالأعلم في شرحه، كان ينقل حرفياً، رواية وشرحا وبالتزام شديد ما أتت به الرواية عن "الأصمعي" وطبقته (*). وإن كان في كثير من الأحيان يحاول الاختصار والإيجاز، والاهتمام بإبراز المعاني، وذكر المناسبات حتى يكون ذلك تخفيفاً على أهل بلاده. ومن ثم نرى في مصنفاته صورة الشروح الموعلة في القدم، فنرى شروحه وقد رجعت بنا قرنين أو ثلاثة إلى الوراء، فاختلف شرحه عن شرح علماء جيله المعاصرين، من العلماء موسوعي المعرفة والثقافة، ومبدعي الفن ومفلسفي الشرح، ومحلي التراث.

(1) -الأعلم الشنتمري، شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تقديم: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ص 66.

(*)-يقول "الأعلم" في مقدمة الأشعار الستة الجاهليين: "...فجعلت الديوان متضمناً لشعر امرئ القيس بن حجر الكندي، وشعر النابغة بن عمرو الذبياني، وشعر علقمة بن عبدة التميمي، وشعر زهير بن أبي سلمى المزني، وشعر طرفة بن عبد البركي، وشعر عنتر بن شداد العبسي، واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار على أصح رواياتها وأوضح طرقها وهي رواية عبد الملك ابن قريب الأصمعي لتواطؤ الناس عليها واعتيادهم لها واتفاق الجمهور على تفضيلها". ينظر: الأعلم الشنتمري، مقدمة شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، ص 17-18.

ومن الشواهد التي توضح ذلك، قال علقمة(1):

المالُ صُوفُ فراءٍ يُلَعَبُونَ بِهِ عَلَى نِقَادَتِهِ وَاْفٍ وَمَجْلُومٌ

يقول الشنتمري في شرحه: «القرار: صغار الغنم يلعبون به: أي يتداولونه ويعبثون فيه على نقادته أي على صغر أجسامه. واف: كثير عند البخلاء لمنعهم إياه. مجلوم: محروز بالجم وهو المقص ومعنى كونه مجلوما أنه قليل عند الأسخياء لبذلهم له والبيت مثل جميل ابتكره الشاعر، يعنى أنّ من الناس من يعطي القليل ومنهم من يعطي الكثير كما أنّ الصوف على النقد قليل وكثير فاللفظ على الصوف والمعنى على المال(2).

ونظير الأعم في هذا: "أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي"، في شرحه لديوان "المتقّب العبدى".

1-2- القسم الثاني مختلف عن القسم الأول، لأنّه من الشروح المطوّلة حتى يكاد يلحق بكتب الأدب وتاريخه لاتساعه، ومنها شرح "مقامات الحريري" للشريشي. كما يمكن أن يكون الشرح خاصا بموضوع بعينه مثل "شرح البّامة وهو كمامة الزهر" و"صدفة الدرر صنعه" لابن بدرون" على قصيدة ابن عبدون"، وهو شرح تاريخي خالص لا دخل لشيء آخر فيه. أو قد يكون الشرح قائما على أساس تذوقى جمالي فيه خصائص نتاج العالم الأديب من تعمق على المعاني واستنباط آراء شخصيته والوقوف موقفا جديدا. مثل شرح "سقط الزند" لابن سيد البطليوسي" و"شرح المشكل" من شعر المتنبي "لابن سيدة". وهذا الأخير حسب عنوانه هو شرح لأبيات مختارة انتقاها الشارح نفسه(ابن سيدة)، فليس ما يدل على أن أحدا معنا سألّه شرح تلك الأبيات أو بعضها، وعالجها من وجهة نظره، وهي الأبيات التي اعتبرها مشكلة. وهذا «الإشكال نفسه موضع نظر، أهو إشكال لدى معاصري الشارح ممن أخفقوا في توجيه معانيها واستكناه مراميها، أم هو إشكال لدى فئة كانت تلازم اللغوي النحوي،

(1) - ينظر:الأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، شرح ديوان علقمة"، تعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، ج1، ملنترم، الطبع، ط3، مصر، 1963، ص154.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص154-155.

أم أنّ الأمر لا يعدو أن يكون استعراضاً شخصياً لأبيات أحب الشارح أن يبين براعته في فهمها على نحو ما يشرح أهل عصره، وعلى نحو جديد استعمل فيه بضاعته من الفلسفة والمنطق واستخدم آلتها»(1).

لم يكن أساس "ابن سيدة" واحداً في اختيار أبيات "المنتبي" المشكلة، فهو يقف عند أبيات متداخلة المعاني، أو له عليها ملاحظات لغوية أو رأي بلاغي. ومعظم ما وقف عنده أبيات فيها إشارات فلسفية أو منطوية.

إن "ابن سيدة" يورد الأبيات مفردة ويعالج كل بيت على حدة، دون مراعاة لترتيب الأبيات على أبواب المشكل الذي بنى عليه كتابه. يقول في شرح بيت المنتبي(2):

يَأْتِيَتْ لِي ضَرْبَةٌ أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

معنى إتاحة الضربة له: حلوا لها به. وعنى إتاحة محمد لها نبوها عنه، واحتماله لها وتأثيره فيها بزعمه. وكذلك كل حال، وذي حال كل واحد منهما متاح لصاحبه. وأراد أتيح لها محمدها كما أتيحت له، وأتيح: قدر. ويجوز أن يكون أراد الضربة دُمّت حين وقعت به لأنها لم تكن له بحق، فكان ذلك الذم تأثير فيها. وكذلك السيف ضرب غير مستحق فذاك الذم تأثير فيه، وكل ذلك مجاز واتساع. أي قدر محمد للضربة كما قدرت له. فكان هو المؤثر فيها.

هذا الكتاب فريد في باب كتب الشروح الأندلسية، فقد ملأه "ابن سيدة" بالملاحظات النقدية والموازنات والمقارنات وحكم منهج المنطقي في توجيه أبيات كثيرة، واستخدم بعض معطيات الفلسفة، ولو أنه شرح ديوان "المنتبي" كله على هذا لخرجنا بمنهج كامل.

بعد هذه الرحلة في تتبّع ظاهرة شروح الشعر، نلاحظ أنّ شراح الشعر القدماء داروا حول محور واحد لم يحددوا عنه، لم يتخطوه إلى آخر، لقد فهموا أنّ الشرح ما هو إلاّ تلخيص موجز للمعنى، وفهموا أيضاً من تتبع عناصر الشرح، أنّه يتحمّن عليهم تفسير كل ما

(1) - رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص167.

(2) - ينظر: المنتبي، الديوان، ضبطه: عبد الرحمان البرقوقي، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ص30

في النص من لغة أو نحو أو أخبار أو بلاغة، لذلك جاءت شروحهم في معظمها، وقد غلب عليها لون أو أكثر من هذه الألوان، وما كان ذلك إلا لأنهم كانوا في مجموعهم نحاة ولغويين وإخباريين ومفسرين للقرآن.

كانوا يشرحون الشعر كعامل مساعد لتوضيح علوم أخرى كالنحو واللغة، وكان هذان العلمان يدرسان لأجل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لكن ليس معنى ذلك أن الشعر ظلّ خادماً لغيره من العلوم، بل سرعان ما استقل وأصبح مادة فنية تذوقية، تخاطب الشعور، وتحرك الوجدان، وأخذ يدرس لذاته، ولتذوق القيم الجمالية والفنية والشعورية والنفسية التي وردت فيه، خاصة بعد أن دخل الشعراء المحدثون أرض المعركة ونافسوا فيها الجاهليين، فأصبح شرح الشعر غرضاً قائماً لذاته، ومن أجل تلبية الحاجة الفنية والأدبية والتعليمية عندهم.

الفصل الأول: نشأة شروح ديوان الحماسة "الأبي تمام" وتطورها.

المبحث الأول: أبو تمام ومذهبه في الشعر

- 1- اسمه وكنيته ،مولده ونسبه
- 2- نشأته وثقافته.
- 3- وفاته
- 4- آثاره
- 5- مذهب الشعري.

المبحث الثاني: أبو تمام وحماسته

- 1- أسباب تأليف الحماسة ومنهج الاختيار
- 2- أقسام الحماسة.
- 3- سبب تسمية الحماسة.
- 4- شروح ديوان الحماسة

المبحث الثالث: نشأة شرح الحماسة وتطوره

- 1- أبو بكر الصولي.
- 2- أبو علي المرزوقي.
- 3- أبو الفتح ابن جني.
- 4- أبو هلال العسكري.
- 5- الخطيب التبريزي.
- 6- الشرح المنسوب إلى أبي العلاء المعري.

المبحث الرابع: حماسة أبي تمام في الأندلس.

- 1- على مستوى الرواية.
- 2- على مستوى الإقراء والتدريس.
- 3- على مستوى الشرح.

الفصل الأول: نشأة شروح حماسة "أبي تمام" وتطورها:

تُعدُّ "حماسة أبي تمام" من الأسفار الخالدة، ومن أنفس المجموعات الشعرية القديمة وأكثرها شهرة، من أجل ذلك حظيت باهتمام وعناية بالغة من قبل أئمة اللغة والأدب القدماء والمحدثين. وانها على دراستها وشرح غريبها وتفسير معانيها كثير من أفاض علماء العربية.

المبحث الأول: أبو تمام ومذهبه في الشعر:

أجمع الكثير من مؤرخي الأدب والنقد أنّ "أبا تمام" من أبرز الشعراء الذين أثروا الشعر العربي بما خلف من كتب ودواوين، لكنهم اختلفوا في أمور تخص حياته، خاصة سنة ولادته وسنة وفاته، ناهيك عن تعدد الآراء في نسبه ومذهبه، وعن شعره نشأت حركة نقدية واسعة.

1- اسمه وكنيته، مولده ونسبه:

"أبو تمام" من شعراء القرن الثالث الهجري، هو حبيب بن أوس الطائي، بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مُر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن طيء- واسمه جُلُهْمَة- بن أدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب ابن يعرب بن قحطان الشاعر المشهور (1). قيل هو حبيب بن تدوس صليبية (2)، عُيِّرَ فصِيْرَ أَوْسًا، ومولده كان بقرية يقال لها "جاسم" (3) والتي تقع بين دمشق وطبرية، فهذه البلدة تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ كما ذكر الحموي (4).

(1) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج: 2، دار صادر، بيروت، ص 11.

(2) - ينظر: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أخبار أبي تمام، تح: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام وآخرون، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت، 1980، ص 59.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

(4) - ينظر: الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج 4، دار صادر، بيروت، 1977، ص 17. مادة "طبرية".

أما عن تاريخ ولادته ، فقد رويت روايات مختلفة في ذلك، فابنه تمام يقول: « مولد أبي سنة ثمانٍ وثمانين ومائة»⁽¹⁾. في حين نجد "ابن خلكان، يقول « بسنة اثنتين وسبعين ومائة»⁽²⁾. إلا أنّ التاريخ الأحسن انتظاما في ترجمة "أبي تمام" والأكثر اتساقا مع حوادث حياته هو مائة وتسعين للهجرة ، يقول الصولي: « حدثني عون بن محمد الكندي قال: قرأت على أبي تمام شيئا من شعره في سنة سبعٍ وعشرين ومائتين، وسمعتُه يقول: مَوْلِدِي سَنَةٌ تِسْعِينَ وَمِائَةً»⁽³⁾.

وعن نسبه، فإنّ "أبا تمام" -حسب النسابين العرب- ومن جرى مجراهم، فإنّه ينتمي إلى اليونان، ذلك أنّ رأس الأسرة التي خرج منها "أبو تمام" كان رجلا نصرانيا اسمه "ثدوس" العطار ، ولهذا الاسم قراءات مختلفة: ثدوس، تدرس، ندوس...لعل أقربها إلى الصواب "ثدوس"، أو ثادوس" المجزوءة من ثيودوسيوس اليونانية في الأغلب⁽⁴⁾.

قيل أنّ "أبا تمام" هو الذي أبدل اسم أبيه إلى "أوس"، بعد اعتناقه الإسلام، ووُصِل نسبه بقبيلة الطائي، ومن ثمّ سميّ "بالطائي" وقد اتخذ بعض خصومه من هذا النسب مادة لهجوه، فقد ذكر "الصولي"، عن الخليع الشاعر القرشي (*) ، قال: كان أوّل شعر هجا به "مُخَلِّدٌ أبا تمام قولَه"⁽⁵⁾:

أنتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ الأَصْلُ ما فِيكَ كِلامٌ

(1) - أبو بكر الصولي، أخبار أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ص273.

(2) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج:2، ص17.

(3) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص272.

(4) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام" شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله"، دراسة تحليلية، دار الكتب، بيروت، 1964، ص22.

(*) - هو الحسين بن الضحاك بن ياسر البصري المعروف بالخليع، أصله من خراسان، بصريّ المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن ولذلك لُقّب بالخليع، وعدّ في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ج2، ص1063.

(5) - ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص235.

عربيُّ عربيُّ أجأئ ما تَرَامُ

وفي خضم ذلك ذهب "طه حسين" إلى القول بأنّ في نسب أبي تمام خلاف: «فنحن إذا بين مذهبين : قوم يرون أنّ أبا تمام نصراني الأصل يدل اسم أبيه على أنه رومي، وآخرون ومنهم صاحب الأغاني يرون أنه عربي من طيء صليبية، من صميم طي وليس منها بالولاء»(1).

أمّا "محمد نجيب البهبيتي" فقد تناول عروبة "أبي تمام" ، وحاول أن يقلل من أهمية عبارات التشكيك التي أطلقت في نسبه ، وأنها لا تتعارض مع طائئته، إذ أنكر أن يكون يوناني الأصل، وأثبت صحة انتسابه إلى قبيلة طيء وأكدّ أنّه عربي صريح ، وطيء عنده « تلك القبيلة الوثنية النصرانية اليهودية ، المسلمة ذات الاتصال الوثيق بالفرس والروم في الجاهلية والإسلام»(2).

إنّ "البهبيتي" يصرّ على نسبة "أبي تمام" إلى طيء دما وولادة، ويرى أن نصرانية أبيه لا تتعارض مع طائئته، يقول: «فقد رأينا من قبل كيف كانت النصرانية في طيء وكيف بقيت فيهم بعد الإسلام»(3).

والحق أنّ من يعود إلى شعر "أبي تمام" يلاحظ شدّة فخره بالانتساب إلى قبيلة طيء والتغني بأمجادها، كما يقول "شوقي ضيف": «ومن يقرأ شعره وفخره العارم بطي لا يشكّ في أنّه طائي صليبية وأنه من صميم طيّ لادّعى فيها ولا من مواليها»(4). يقول في معرض افتخاره بطيء(5):

(1)- طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، مصر، دت، ص96.

(2)- محمد نجيب البهبيتي، أبو تمام الطائي، حياته وحياة شعره، دار الثقافة، ط2، 1982، ص28.

(3)- المرجع نفسه، ص 29.

(4)- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط11، مصر، 1960، ص219.

(5)- ينظر: التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ج4، دار المعارف، ط3، مصر، 1964،

ص584.

أنا ابنُ الذي استرُضِعَ الجُودُ فيهِمْ وَسُمِّيَ فيهِمْ وهو كَهْلٌ وَيَافِعُ
سَمَا بي أوسٌ في السماءِ وحاتمٌ وزيدُ القننا والأثرمانِ ورافِعُ
نُجومٌ طوالعُ جبالٌ ضوارِعُ غيوثٌ هـوامعٌ سيولٌ دوافِعُ
إذا طيُّ لم تَطُوِ منشورَ بأسِها فأنفُ الذي يُهدي لها السُخْطَ جَادِعُ

ويفيض شعر "أبي تمام" فخرا وعصبية لطية، حتى إنّه استعمل بعض لهجاته النادرة، لكن خصومه وحُسادَه أحبوا الطعن في كثير مما يتّصل بحياته وشعره.

2- نشأته وثقافته:

نشأ "أبو تمام" متنقلا بين البلدان طلبا لضروريات الحياة العقلية والاجتماعية، فقد انتقلت أسرته من جاسم (*) إلى دمشق، إذ «افتتح أبوه بها حانوتَ خمر، أما ابنه حبيبا فأرسله يشتغل عند حائك» (1).

وفي دمشق، بدأ "أبو تمام" حياته الشعرية في مدح أسرة "عتبة بن أبي عبد الكريم الطائي". وهناك تأثر "بعبد السلام بن رغبان" المعروف "بديك الجن الحمصي". إذ احتذى شعره فاكتسب منه الصناعة اللفظية وسار بها شوطا بعيدا حتى نُسبت إليه، حتى قال النقاد: «إنّ ديك الجن يتبعُ مذهبَ أبي تمام بدلا من قولهم: إنّ أبا تمام يقتفي مذهبَ ديك الجن» (2).

يبدو أن المقام لم يستقر به هناك، فارتحل إلى مصر، حيث انتهاز فرصة وجوده بالمسجد الجامع "جامع عمرو بن العاص" (3). إذ كان يسقي الماء هناك ليزداد علما، فقد كان ملازما لحلقات الأدب، فإذا طلب أحد شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول ليستمتع

(*)- تقع جاسم على يمين الطريق الأعظم الذي كان يمتدّ بين دمشق وطبرية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ص17. مادة "طبرية".

(1)- عمر فروخ، أبو تمام "شاعر الخليفة المعتصم بالله"، ص24.

(2)- المرجع نفسه، ص25.

(3)- ينظر: عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها "دراسة وتحليل"، دار إحياء الكتب العربية، ص10.

إلى إملة الأديب أو مناقشة أصحابه، ولعل ذلك كان في السنوات الأولى من القرن الثالث الهجري، وعمره آنذاك نحو عشرين عاما (1) .

وفي مصر أيضا نظم باكورة شعره في مدح عياش بن لهيعة بقوله:

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنِّي وَلَيْسَ جَنِّيِي إِنْ عَذَلْتَ بِمُصْجِي
فأعطاه خمسة آلاف درهم (2).

وبهذه الطريقة تابع "أبو تمام" تحصيله ودراسته ، وقد ساعده على ذلك ذكاء وقاد وحافضة قوية، قال "الصولي"، نقلا عن البحترى: « أول ما رأيتُ أبا تمام مرة ما كنت عرفته قبلها، أني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد امتدحته بقصيدتي التي أولها (3):

أَفَاقَ صَبِّ مِنْ هَوَى فَأُفِيَقًا؟ أَمْ خَانَ عَهْدًا أَمْ أَطَاعَ شَفِيَقًا؟

فأنشدته إياها، فلما أتممتها سرّ أبو سعيد بها، وقال: أحسن الله إليك يا فتى؟ فقال رجل في المجلس، هذا أعزك الله- شعر لي، علقه هذا الفتى فسبقني به إليك، فتغيّر وجه أبي سعيد، وقال: يا فتى قد كان في نسبك وقرابتك ما يكفيك أن تمتّ به إلينا، ولا تحمل نفسك على هذا، فقلت: هذا شعر لي أعزك الله، فقال الرجل: سبحان الله يا فتى، لا تقل هذا. ثم ابتداء وأنشد من القصيدة أبياتا، فقال لي أبو سعيد: نحن نبلغ ما تريد ولا تحمل نفسك على هذا، فخرجت متحيرا لا أدري ما أقول، ونويت أن أسأل عن الرجل من هو؟ فما أبعدت حتى ردني أبو سعيد ثم قال: جنيت عليك فاحتمل، أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابن عمك حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، فقم إليه، فقامت إليه فعانقته، ثم أقبل يقرظني ويصف شعري، وقال: إنما مزحت معك، فلزمته بعد ذلك، وكثر عجبني من سرعة حفظه (4).

(1)- ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص27.

(2) - ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص21.

(3)- ينظر: البحترى، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، مج: 3، دار المعارف، ط3، مصر، 1964، ص1450. وجاءت القصيدة في كتاب أخبار أبي تمام، للصولي، ص105" أو خان عهدا أو أطاع".

(4)- ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص105-106.

كانت رحلته إلى مصر نقلة علمية بالغة الأثر في ثقافته، يقول الآمدي: «كان أبو تمام مُسْتَهْتَرًا بالشعر، مشغوفًا به، مشغولًا مدة عمره بتبحره ودراسته»⁽¹⁾ الأمر الذي دفعه إلى المثابرة وتكريس الجهد في حفظ أكبر قدر من أشعار العرب، وأراجيزها حتى أن "ابن خلكان" يذكر أن له: «من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره، قيل إنّه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع»⁽²⁾. وقال هو عن نفسه: «لم أنظم الشعر حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال»⁽³⁾.

وهذا كله دليل على مدى اهتمام "أبي تمام" بالتراث الشعري وعكوفه عليه، حفظا وتأليفا.

كان حافظا للقرآن الكريم عارفا بالحديث، يقول عمر فروخ: «كان أبو تمام حافظا للقرآن عارفاً بالحديث ويعلم العربية، كثير الإطلاع على التاريخ ما عمّ منه وما خصّ، حسن المشاركة في علم الكلام وفنون الفلسفة، أما في الأدب والنقد وفروع البلاغة فكان -مما يبدو لنا في ديوانه- إمامًا كبيرًا»⁽⁴⁾.

ومن يتتبع شعره، يجد أثر بعض معاني القرآن الكريم وألفاظه في شعره، فنجده يستمد بعض من معاني قصة سيدنا يوسف في مدح "ابن طاهر"⁽⁵⁾:

أَيْهَذَا الْعَزِيزُ قَدْ مَسَّنَا الضُّرُّ جَمِيعًا وَأَهْلُنَا أَشْتَاتُ
وَلَنَا فِي الرِّجَالِ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَلَدَيْنَا بَضَاعَةٌ مُرْجَاةُ
قَلَّ طُلَّابُهَا فَأَضَحَتْ خَسَارًا فَتِجَارَاتُنَا بِهَا تَرْهَاتُ

(1) - الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، ج1، دار المعارف، ط4، مصر، 1960، ص58.

(2) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج:2، ص12.

(3) - أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط17، بيروت، 1989، ص211.

(4) - عمر فروخ، أبو تمام، ص40

(5) - ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص211.

فَاحْتَسِبْ أَجْرَنَا وَأَوْفِ لَنَا الْكَيْدَ لَ وَصَدِّقْ فَإِنَّا أَمْوَاتٌ

ومن الحديث الشريف:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

وهذا إشارة إلى قول الرسول "ص" في: « إذا لم تستح فافعل ما شئت » (1).

كانت مجالسة الكتب والدفاتر غايته ومبتغاه يمضي معها سحابة يومه دون ملل أو تدمر، قال "ابن المعتز" عن محمد بن قدامة: « دخلتُ على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فيما يكاد يرى، فوقفْتُ ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه، ثم رفع رأسه فنظر إليّ وسلّم عليّ، فقلت له: يا أبا تمام إنك لتنظر في الكتب كثيرا وتدمن الدرس فما أصبرك عليها، فقال والله مالي إلف غيرها ولا لذة سواها » (2).

يُذكَرُ عَنِ الْمَبْرَدِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ: « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَعْلَمُ بِجَيِّدِ

الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام » (3).

لا شك أنّ هذا الاطلاع الواسع قد مكّن "أبا تمام" من قول الشعر فاستقام له أمره

حتى برع فيه وفاق غيره في الغوص في المعاني فوصل بها إلى ما لم يصل إليه غيره.

ترك "أبو تمام" السقاية في جامع مصر، بعد أن استقى العلم وفنون القريض، وبعد

أن انفتحت أمام عينيه دنيا جديدة أشاعت الأمل في نفسه، وأذكت طموحه. عاد ثانية إلى

حمص، فتعرف فيها على "آل عبد الكريم الطائيين"، وعلى شاعرهم "عتبة بن أبي عاصم"،

فمدحهم وحاز على رضاهم، فأغضب ذلك عتبة الذي وجد فيه منافسا له، وطلب من آل

عبد الكريم إخراجه من حمص فلم يلبوا طلبه، فخرس عتبة بذلك منزلته عندهم مما دعاه إلى

هجائهم وهجاء "أبي تمام". (4)

(1) - البخاري، صحيح البخاري، ضبطه، مصطفى ديب، ج3، دار القلم الأولى، دمشق، 1981، ص1284.

(2) - ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ص284

(3) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص118.

(4) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام شاعر الخليفة المعصم، ص27

ثم نرح قاصدا العراق، وفي بغداد التقى بالشاعر "دعبل بن علي الخزاعي"، وكان من أبرز شعراء زمانه، لكن دعبلا ناصب "أبا تمام" العداة لشعوره بخطورته عليه⁽¹⁾.

وفي الموصل اتّصل بشاعرها "مخلد بن بكار"، وقد بدأت بينهما علاقة صداقة لم يكتب لها أن تتوطد فسرعان ما انفصمت عراها لخوف "ابن بكار" من طغيان شخصية "أبي تمام" الشعرية عليه، ولذلك عاداه وأمعن في هجائه. لكن "أبا تمام" لم يجبه ترفعا رغم استرسال "ابن بكار" في هجائه له وطعنه بنسبه⁽²⁾.

إذا أعلن هؤلاء الشعراء على "أبي تمام" العداوة والبغضاء لحسدهم له وخوفهم على مراكزهم وأرزاقهم منه، فقد أخلص له بعضهم الودّ وبادلوه المحبة والتقدير، وعلى رأسهم الشاعر "علي بن الجهم والبحتري".

ثم إن شاعرية "أبي تمام" جعلته يحتل مكان الصدارة بين شعراء عصره، وأصبحت الزعامة بينهم، وحينما سطعت شمس أفلت نجوم كثير من الشعراء. ذكر "الصولي" عن أحمد بن يزيد المهلبى قوله: «سألت أبي عن أبي تمام فقال: سمعني أبي وأنا الأحي إنسانا في أبي تمام فقال لي: ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهما واحدا في أيام أبي تمام. فلما مات أبو تمام اقتسم الشعراء ما كان يأخذه»⁽³⁾.

إنّ المكانة الشعرية التي حظي بها "أبو تمام" جلبت له الهجاء والمناهضة، فقد انتضى له "مخلد الموصلي" يتلبه ويهجوه في حياته وبعد مماته. حتى إنّ بعض القوم قال "لأبي تمام": «قد هجأك مخلد فلو هجوته؟ قال الهجاء يرفع منه، قيل: أليس هو شاعرا؟ قال: لو كان شاعرا ما كان من الموصلي، يعني أنّ الموصلي لم تُخرج شاعرا. قال: أبو سليمان: وأصل مخلد من الرّحبة، ثم أقام بالموصل»⁽⁴⁾.

(1) - ينظر: الصولي، شرح ديوان أبي تمام، تح: رشيد خلف نعمان، ج1، ص25.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص25.

(3) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص104-105.

(4) - المرجع نفسه، ص234.

ولعلّ عزوف "أبي تمام" عن الرد على خصومه، كان لتلك الدرجة التي يضع فيها ممدوحه شعره ، ومن ذلك أن "نصر ابن منصور" لما قدم إليه "أبو تمام" فأشده مدحاً له، فلما بلغ إلى قوله:

أَسَائِلُ نَصْرٍ، لَا تَسَلُهُ، فَإِنَّهُ أَحَنُّ إِلَى الْإِزْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ

قال له نصر: أنا والله أَعَاؤُ عَلَى مَدْحِكَ أَنْ تَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَلئنُ بَقِيْتُ

لَأَحْظُرَنَّ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِهِ، وَأمر له بجائزة سنوية وكسوة»(1).

وبواسطة الشعر بنى "أبو تمام" علاقات واسعة مع رجال الدولة في عصره، من الخلفاء والوزراء والقضاة وغيرهم، فقد مدح بعضهم وهجا ورثى آخرين.

فمن الذين مدحهم الخليفة "المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد"، فنال حظوته وحظوة أكابر دولته ورثاه بعد موته، ومدح الخليفة "الواثق بالله بن المعتصم"، ومدح الوزير "محمد بن عبد الملك الزيات" (*)، "وأبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد" (*). والحسن بن وهب الذي كان تربطه به مودة أكيدة، والذي جعله على بريد الموصل وليس واليا عليها، والذي أقام بها أقل من سنتين ثم مات بها. كما يقول "ابن خلكان"(2).

كما أنّ وفارة علمه ورجاحة عقله جعلته رجلاً كثيراً الفكاهة يدركها فيه ممدوحه فيعتبرونها فكاهة شاعر، فعن ابن المعتز: «قال الحسن بن رجاء الضحاك: كنا مع أمير المؤمنين المعتصم بالرقّة، فجاء أبو تمام، وأنا في حرّاقتي ، فجعل ينشدني ويلتفت إلى

(1) - الصولي، أخبار أبي تمام ، ص266.

(*) - هو محمد بن عبد الملك بن ابان الزيات، كان والده زياتا يجلب الزيت من قرينته التي يقال لها "الدسكرة" إلى بغداد، وكان شاعرا بليغا وزر لثلاثة خلفاء هم: المعتصم والواثق والمتوكل، وقد نكبه الأخير وقتله سنة 233هـ، ينظر: ابن النديم، الفهرست، تح: رضا تجدد، ص136.

(*) - هو أبو عبد الله بن أبي دؤاد فرج بن جرير القاضي. كان رجلاً مفوها وشاعرا فصيحاً وجواداً معروفاً، وكان معتزلياً ورأساً في التجهم، شغب على بن حنبل وأفتى بقتله. كان مقرباً من المأمون والمعتصم، مسموع الكلمة عندهم. وكان بينه وبين ابن الزيات تنافس وهجاء، ولد 160هـ وتوفي 240هـ ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، مج1، ص81.

(2) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، مج:2، ص15-16.

الخدم والغلمان الوقوف بين يدي، ويلاعبهم ويغامزهم و-كان الطائي من أكثر الناس عبثاً ومزاحاً- فقلت له: يا طائي قد ظننت أنك ستصير إلى أمير المؤمنين مع الذي أرى من جودة شعرك، فانظر: إنك إن وصلت إليه لا تمازح غلاماً ولا تلتفت إليه، فإنه من أشد الناس غيرةً، وإني لا آمن إن وقف منك على شيء أن يأمر غلمانه فيصفعك كل واحد منهم مائة صفة. فقال: إذا أخرج من عنده ببدرٍ مملوءة صفةً»(1).

لاشك إذا أن شخصية "أبي تمام" قد فرضت نفسها على مجالس الأدب، ولم يكن مردّ ذلك إلى براعته وتفوقه في صناعة الشعر فحسب، بل لما يمتلك من مزايا وصفات شخصية، ذكرنا بعضاً منها، ومنها أنّه كان ذا عقل راجح وعلم غزير، ذكر الصولي عنه: «وعلمه وعقله فوق شعره»(2).

وهذا هو ما دفع "البحثري" إلى أن يقول لعلي بن اسماعيل التونجتي: «والله يا أبا الحسن لو رأيت أبا تمام الطائي، لرأيت أكمل الناس عقلاً وأدباً، وعلمت أن أقلّ شيء فيه شعره»(3).

فلا عجب إذا بلغ "أبو تمام" تلك المنزلة الرفيعة في قلوب ممدوحيه من أكابر القوم وفي قلوب أصدقائه على السواء. ولا عجب إن سمعنا عبارات المديح والإكبار تتطلق من أفواههم. فهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد يقول: «ما سمعت الحسن ابن رجاء ذكر قط أبا تمام إلا وقال: ذاك أبو تمام ما رأيت أعلم بكل شيء منه»(4).

(1)- ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 283.

(2)- الصولي، أخبار أبي تمام، 167.

(3)- المرجع نفسه، 171-172.

(4)- ابن المعتز، طبقات الشعراء، (مرجع سابق)، ص 171.

كان شديد الفطنة قوي العارضة حاضر البديهة، فقد ذكر "الصولي"، أنه أنشد

"أحمد بن المعتصم" (*) قصيدته التي مدحه بها (1):

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةٌ مِنْ بَأْسٍ تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ
فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تُعِينَ بِمَائِهَا وَالذَّمْعُ مِنْهُ خَائِلٌ وَمُوَاسِي
فَلَمَّا قَالَ:

أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةَ وَنَحَاسِ
إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَخْفَفَ فِي ذُكَاةِ إِيَّاسِ

قال له الكندي، وكان حاضرًا وأراد الطعن عليه: الأمير فوق من وصفت، فأطرق

قليلاً، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لَا تُتَكْرَرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاءِ وَالنَّبْرَاسِ

قال: فعجبنا من سرعته وفطنته» (2).

(*)- هو المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد الخليفة العباسي، ولد سنة 221هـ، وتولى الخلافة ثلاث سنين، توفي سنة 252هـ. ينظر: الدمشقي، شذرات الذهب، تح: محمود الأرنؤوط، مج3، ص236.

(1) - ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص240. (أصل "البأس" الهمز ولا يجوز همزه هاهنا لأنه يصير عيباً في القافية، كما أنه إذا كان في قواف ليس فيها لين لزم تخفيف الهمزة كما قال الراجز:

قَدْ حَطَبَ النَّوْمُ إِلَى نَفْسِي
هَمْسًا وَأَخْفَى مِنْ نَجَى الْهَمْسِ
وَمَا بَأْسٌ أَطْلَبُهُ مِنْ بَأْسٍ.

والأدراس إن جعل جمع دارس فهو مثل شاهد وأشهاد وصاحب وأصحاب، وإن جعل جمع دريس فهو مثل بيتيم وأيتام وشريف وأشرف. ينظر: التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، مج2، ص81.

(2) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص231-232. وينظر أيضاً: المرزباني، الموشح، ص326. (يريد عمرو بن معدي كرب، وإياس يعني به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة يوصف بالذكاء، وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك).

ومما يذكر عن حضور بديهته، أنه حين التقى به "أبو سعيد الضرير" قال له: «يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يفهم؟ قال له: وأنت يا أبا سعيد لم لا تفهم من الشعر ما يُقال»(1)

كما ذكر الصولي: «كان أبو تمام إذا كلمه إنساناً أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه كان علم ما يقول، فأعدّ جوابه»(2).

وعن صفاته، يقول "ابن خلكان": «كان أسمر طويلاً، فصيحاً حلو الكلام فيه متممة يسيرة»(3). ومن أجل هذه التمتمة اليسيرة اشترى له "أبو سعيد الثغري" غلاماً أديباً فصيحاً اسمه "الفتح" بثلاثمائة دينار، ليلقي له قصائده، وروى "الصولي" أنّ أحمد بن إبراهيم قال: «حدثني محمد بن رُوح الكلابي قال: نزل عليّ أبو تمام الطائي، فحدثني أنه امتدح المعتصم بسراً من رأى بعد فتح عمورية، فذكره ابن أبي دؤاد للمعتصم، فقال له: أليس الذي أنشدنا بالمصيصة الأجنس الصوت؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن معه راوية حسن النشيد، فأذن له، فأنشده راويته مدحة له، ولم يذكر القصيدة، فأمر له بدراهم كثيرة، وصكّ ماله على اسحاق بن إبراهيم المصعبي. قال أبو تمام: فدخلت إليه بالصك وأنشدته مديحاً له، فاستحسنه، وأمر لي بدون ما أمر لي به المعتصم قليلاً. وقال: والله لو أمر لك أمير المؤمنين بعدد الدراهم دنانير لأمرت لك بذلك»(4).

وقيل إنّ إنشاد "أبي تمام" كان قبيحاً، وزاد "ابن رشيق" وقال: «وكانت في حبيب حبسة شديدة إذا تكلم... فقال فيه "مخلد بن بكار الموصلي»(5):

(1) - المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص366. وينظر أيضاً: الصولي، أخبار أبي تمام، ص72.

(2) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص72.

(3) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، مج: 2، ص17.

(4) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص143-144.

(5) - ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للطباعة والنشر، ط5، 1981، ص110-111.

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشَّعْرِ وَيَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّهِ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ
أَمَّا أَخلاقه فكانت أخلاق شاعر عباسي، غير أنه لم يكن متهتكاً، بل كان يأتي ما
بذاته في ستر (1). قال الأنباري: «وكان موصوفاً بالظرف، وحسن الأخلاق وكرم
النفس» (2).

هذا هو "أبو تمام" الذي مارس الشعر، واستوعب الثقافة التراثية وأخذ من ثقافات
عصره الكثير، كل هذا أثر في مذهبه الشعري وما تميز به من خصائص فنية.
3- وفاته :

اختلف الرواة في سنة وفاة "أبي تمام"، كما اختلفوا في سنة مولده، يقول الصولي: «
حدثني محمد بن موسى قال: عني الحسن بن وهب بأبي تمام، وكان يكتب لمحمد بن عبد
الملك الزيات، فولاه بريد الموصلي، فأقام بها سنة، ومات في جمادى الأولى سنة إحدى
وثلاثين ومائتين، ودُفن بالموصلي» (3).

ويقول "الصولي" أيضاً: «حدثني عون بن محمد الكندي قال: [...] وأخبرني مُخَلَّدُ
الموصلي أنّ أبا تمام مات بالموصلي، في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين» (4). أمّا
ابنه تمام يقول: «... ومات في سنة إحدى وثلاثين ومائتين» (5).

وقيل غير هذا التاريخ وهو في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وقيل سنة تسع
وعشرين ومائتين، رحمه الله (6).

(1) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص 36.

(2) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص 272.

(4) - المرجع نفسه، ص 272-273.

(5) - المرجع نفسه، ص 273.

(6) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يبدو أن "أبا تمام" توفي في أوثق الأقوال وأحسنها اتساقا مع حوادث حياته، في

المحرم من سنة 232هـ/846م، وهو يتولى بريد الموصل (*) وعمره ثلاث وأربعين سنة.

دُفن في الموصل خارج الميدان على حافة الخندق، تقول العامة "هذا قبر تمام

الشاعر، وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسي قبة عليه". (1)

رثى "أبا تمام" نفرٌ كثيرٌ، منهم "ديك الجن" أستاذه، و"البحثري" تلميذه، ومنهم

صديقه وممدوحه "محمد بن عبد الملك الزيات" و"الحسن بن وهب" وصديقه الشاعر "علي

بن الجهم". ومما أنشده الحسن بن وهب يرثيه قوله: (2)

سَقَتْ بِالْمَوْصِلِ الْقَبْرَ الْغَرِيبَا	سَحَائِبُ يَنْتَحِبْنَ لَهُ نَحِيبَا
إِذَا أَطْلَعَتْهُ أَطْلَقْنَ فِيهِ	شَعِيبَ الْمُرْنِ مُنْبَعَقًا شَعِيبَا
وَلَطَمَتِ الْبُرُوقُ لَهَا خُدُودًا	وَشَقَّقَتِ الرَّعُودُ لَهَا جُيُوبَا
فَإِنَّ تَرَابَ ذَاكَ الْقَبْرِ يَحْوِي	حَبِيبًا كَانَ يُدْعَى لِي حَبِيبَا
ظَرِيفًا شَاعِرًا فَطِنًا لَبِيبًا	أَصِيلَ الرَّأْيِ فِي الْجُلَى أَرِيبَا
أَبَا تَمَّامٍ الطَّائِيَّ، إِنَّا	لَقِينَا بَعْدَكَ الْعَجَبَ الْعَجِيبَا

ومما رثاه صديقه "علي بن الجهم" قوله (3):

غَاظَتْ بَدَائِعُ فِطْنَةِ الْأَوْهَامِ	وَعَدَّتْ عَلَيْهَا نَجْبَةُ الْأَيَّامِ
وَعَدَا الْقَرِيضُ ضَنْبِيلَ شَخْصٍ بَاكِيًا	يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ
وَتَأَوَّهَتْ غُرُرُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ	وَرَمَى الزَّمَانَ صَحِيحَهَا بِسَقَامِ
أُودَى مُتَّقِفُهَا وَرَائِضُ صَغْبِهَا	وَعْدِيرُ رَوْضَتِهَا أَبُو تَمَّامِ

(*)- كان البريد لنقل الرسائل والأشياء والأشخاص مما يتعلق بأعمال الدولة، كما كان رجال البريد (الموظفون) في

ديوان البريد، ينقلون أخبار البلاد، والناس إلى الخليفة. ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص 272.

(1) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص 35.

(2) - ينظر: الصولي، أخبار أبي تمام، ص 275.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 276.

بالإضافة إلى الرثاء الذي تحمله هذه الأبيات، فإنّها تشير إلى جوانب أخرى من شخصية ومنزلة "أبي تمام" الأدبية، فهي إذا رثاء للشعر والصدّاقة والنباهة بقدر ما هي رثاء لشخصيته.

4- آثاره:

"أبو تمام" شاعر مؤلف، اعتنى باختيار منتقيات شعرية في مختلف العصور الأدبية التي سبقتة، فكان بذلك أول شاعر عُني بالتأليف، وكان أول من نبّه إلى تأليفه "الأمدي" إذ يقول: «...وله كتب اختيارات مشهورة ومعروفة، فمنها الاختيار القبائلي الأكبر، اختار فيه من كل قبيل قصيدة، وقد مرّ على القبائل ولم يورد فيه كبير شيء المشهورين، ومنها الاختيار الذي تُلَقِّط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة [...] ومنها اختيار تُلَقِّط فيه أشياء من الشعراء المُقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين، ويؤبّه أبواباً، وصدّره بما قيل في الشجاعة وهو أشهر اختياراته [...] ويُلقَّب بالحماسة، ومنها اختيار المقطعات وهو مُبَوَّب على ترتيب الحماسة، إلّا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم القدماء والمتأخرين [...] ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين» (1).

"فأبو تمام" من الشعراء المؤلفين، ذا إطلاع واسع على الشعر العربي وعنايته بجمعه، واختياره ما راق له منه وفيما يلي وصف موجز لهذه المؤلفات كما ذكرها "الأمدي":

1- ديوان الحماسة أو كتاب الحماسة أو الحماسة الكبرى: ذكر أنّه اختيار تُلَقِّط

فيه أشياء من أشعار المقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين، ويؤبّه أبواباً وصدّره بما قيل في الشجاعة وهو أشهر اختياراته وأكثرها في أيدي الناس ويلقَّب بالحماسة.

2- الحماسة الصغرى وتعرف أيضاً باسم الوحشيات: - اختيار مقطعات، مبوب

على ترتيب الحماسة أي على عشرة أبواب، و ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء

(1)- الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، تح: أحمد صقر، مج:1، دار المعارف، ط4، مصر

، ص 58-59.

والمتأخرين، وصدرة بذكر الغزل. وهي قصائد طوال. وقد قرأه "الآمدي" واستفاد منه ووصفه بأنه ليس بمشهور شهرة غيره. ولعل الآمدي يعني بهذا الاختيار "كتاب الوحشيات أو الحماسة الصغرى الذي طبع بتحقيق وتعليق الأستاذين عبد العزيز الميني ومحمود شاكر، فهو محبوب على تبويب الحماسة.

وقد وهم السيد "محسن الأمين" مرّة فجعل الوحشيات كتابا مستقلا غير الحماسة

الصغرى. (1)

3- كتاب الفحول أو كتاب فحول الشعراء أو كتاب اختيار شعراء الفحول: هذا

المجموع مقاطع من شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على الأنواع وينتهي بابن هرمة (2).

4- كتاب الاختيار من شعر القبائل ويسمى "الاختيار القبائلي الأكبر، اختار فيه

من كل قبيلة قصيدة.

5- الاختيار القبائلي الأصغر: اختار فيه أبو تمام قطعا من محاسن أشعار

القبائل ولم يورد فيه كبير شيء للشعراء المشهورين.

6- اختيار المقطعات: وهو محبوب على ترتيب الحماسة وفيه أشعار للمشهورين

ولغير المشهورين من القدماء والمتأخرين وهو يبدأ بأشعار الغزل.

7- الاختيار من أشعار المحدثين، كان موجودا في زمن الآمدي. اختاره أبو تمام

بعيدا عن همدان، وذلك لما أورده الصولي عن الحسن بن إسحاق قال: «سمعتُ ابن الدقاق

يقول: حضرنا مع أبي تمام وهو ينتخبُ أشعارَ المحدثين، فمرّ به شعرُ محمد بن أبي

عُيَيْنة المطبوعُ، الذي يهجو به خالدًا، فنظر فيه ورمى به، وقال: هذا كله مختار» (3).

(1)- ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص 107.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3)- الصولي، أخبار أبي تمام، 118.

لم يصل إلينا من هذه المختارات سوى كتاب الحماسة، وكتاب الوحشيات أو الحماسة الصغرى. (1)

ووفق الذي "ذكره الأمدى"، فإن الاختيارات ستة كتب (*)، وهي: اختيار القبائلي الأكبر، اختيار القبائلي الأصغر، واختيار القبائلي، واختيار شعراء الفحول، وديوان الحماسة، واختيار مقطعات، واختيار أشعار المحدثين.

إنّ حديث "الأمدى" كان منصباً حول الكتب التي ألفها "أبو تمام" ووصفها، فهو لم يهتم لا بمكان ولا زمان تأليفها، يتّضح ذلك من قوله بأنّ: «هذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به، وجعله وكده... إنه ما فاته كبير شيء من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه». (2)

5- مذهب الشعري:

لا تكمن أهمية "أبي تمام" في عالم الشعر والأدب فقط، بل في كونه صاحب مذهب جديد في الشعر عُرف به، وقد شغل مذهب هذا كل المعنيين بالشعر والأدب والنقد

(1) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص 14.

(*) - اختلفت الروايات في عدد هذه المختارات بين الخمسة والثلاثة، يقول التبريزي في مقدمة شرحه للحماسة: «جاء من خراسان يريد العراق، فلما دخل همذان اغتتمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله فأكرمه، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم، قطع الطرق ومنع السابل، فغم أبو تمام ذلك وسرّ أبا الوفاء: فقال له: وطنّ نفسك على المقام، فإنّ هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان وأحضره خزانة كتبه فطالعه واشتغل بها وصنّف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات». ينظر: شرح التبريزي لحماسة أبي تمام، المقدمة،

بناء على هذه الرواية فإنّ "أبا تمام" قد صنع خمسة كتب في الاختيارات الشعرية بهمذان، لكن ورد في مقدمة الشرح المرجّح نسبته إلى زيد بن علي الفارسي رواية تقول بأنّ هذه الكتب ثلاثة، يقول: «وأحضره أبو الوفاء كتبه فاختر أبو تمام منها هذا- يعني الحماسة- والوحشي وشيئا من انتخاب، ثم أضاف أنّ هذه الكتب بقيت عند أبي الوفاء، لا يمكن أحد منها إلى أن مات، ووقعت في يد رجل من أهل دينور يعرف بأبي العوادل، فنسخ هذه الكتب الثلاثة وحملها إلى أصبهان» ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص 12.

إذا، حسب هذه الرواية فإن عدد المختارات ثلاثة كتب لا خمسة كما ذكر "التبريزي".

(2) - الأمدى، الموازنة بين الطائيين، ص 59.

في عصره وفي العصور التالية. فقامت حوله حركة نقدية خصبة يمكن اعتبارها أول حركة نقدية ناضجة في الأدب العربي. فما هو هذا المذهب؟.

بدأت موهبة "أبي تمام" الشعرية تتفتق باكرا لميله إلى هذا الفن الكلامي، ويروى عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قائلاً: «كنت جالسا عند ديك الجن، فدخل عليه حَدَثٌ، فأنشده شعرا عمله، فأخرج ديك الجن من تحت مُصَلَّاهُ درجا كبيرا فيه كثير من شعره فسلمه إليه، وقال: يا فتى تَكَسَّبَ بهذا واستعن به على قولك . فلما خرج سألته عنه فقال: هذا فتى من أهل جاسم، يذكر أنه من طيء، يكنى أبا تمام، واسمه حبيب بن أوس، وفيه أدب وذكاء، وله قريحة وطبع»(1).

لقد كان عالما بالشعر وناقدا له، متذوقا لمعانيه، وفي أخبار "الصولي" أخبار كثيرة تشهد بصدقه في صناعة شعره منها، يقول ابن الدقاق: «قرأنا على أبي تمام أرجوزة أبي نواس(2) التي مدح بها الفضل بن الربيع(*)»:

وبلدة فيها زور

فاستحسنها. وقال: سأروض نفسي في عمل نحوها، فجعل يخرج إلى الجنيئة، ويشغل بما يعمل، ويجلس على ماء جارٍ، ثم ينصرف بالعشي، فعمل ذلك ثلاثة أيام، ثم خرق ما عمل وقال: لم أرض بما جاءني»(3).

هذا وكان لمذهب "أبي تمام" خصائص فنية مثار جدل ونزاع بين النقاد، مما أدى إلى قيام حركة نقدية حول مذهبه في الشعر خلال القرن الثالث والرابع الهجريين، فمن مؤلف في الانتصار لمذهبه، ودفع النهم الموجهة إلى شعره مثل ما صنع "الصولي" في رسالته إلى

(1) - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص184.

(2) - ينظر: أبو نواس، الديوان، ص77. والمرزباني، الموشح، ص305.

(*) - هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، وكنية الفضل بن العباس، كان حاجب الهارون الرشيد ومحمد الأمين، كان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ت 208هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص294.

(3) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص246-247.

مزاحم بن فاتك، وفي كتابه أخبار أبي تمام، حيث يقول « وما أَحْسَبُ شعر أبي تمام، مع جودته وإجماع الناس عليه، يَنْقُصُ بَطْعَنَ طَاعِنٍ عليه في زماننا هذا، لأني رأيتُ جماعةً من العلماء المتقدمين، ممن قَدَّمتْ عُذْرُهُمْ في قَلَّةِ المَعْرِفَةِ بالشعر ونقده وتمييزه، ورأيت أن هذا ليس من صناعتهم، وقد طَعَنُوا على "أبي تمام" في زمانهم وزمانه، ووضعوا عند أنفسهم منه، فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي، وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك، ورؤساء الكُتَّاب، الذين هم أعلمُ الناس بالكلام منثورِه ومنظومِه، حتى كان هو يُعْطِي الشعراء في زمانه ويشفَعُ لهم، وكُلُّ مُحْسِنٍ فهو غلام له، وتابع أثره» (1).

يقول صاحب الأغاني: « أخبرني محمد، قال: حدثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزدي، وكان يتعصبُ لأبي تمام: أنشدت دِعْبَلُ بن علي شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسنُ من عافية بعد ياس، فقلت: إنه لأبي تمام، فقال: لعله سرقه» (2).

ومن مؤلف في بيان عيوبه والماخذ على شعره على نحو رسالة "أحمد بن عبيد الله بن عمار القطرلي، ومن موازن بينه وبين غيره من الشعراء كما فعل "الأمدي" في كتابه الموازنة بين الطائيين. إذ أفصح في كثير من مواضع كتابه هذا، ومن ذلك قوله: « وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً، [.....] ولأن أبا تمام شديدُ التكلف [.....] والمعاني المولدة» (3).

ومن الظواهر الفنيّة التي شكّلت مذهب "أبي تمام" الإكثار من فنون البديع الذي يشمل الاستعارة والطباق والجناس وغيرها من المحسنات اللفظية والمعنوية. والتفنن فيها والبحث عن أوجه الشبه بين المعاني والأشياء، هو ما جعل فريقاً من العلماء يقولون إنّه صاحب مذهب اخترعه وصار فيه أولاً، وإماماً متبوعاً وشهر به حتى قيل هذا مذهب "أبي

(1) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص 174-175.

(2) - الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس، مج: 16، دار صادر، ط3، بيروت، 2008، ص 269.

(3) - الأمدي، الموازنة بين الطائيين، ص 4-5.

تمام" وطريقة "أبي تمام"، يقول في ذلك الصولي: « هو رأس في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كل مُحسِن بعده فلم يبلغه فيه حتى قيل: مذهب الطائي»(1).

لكن، "ابن المعتز" ينفي أن يكون البديع من اختراع "بشار ومسلم" وأضرابهما، مما أورده في مقدمة كتابه "البديع" قوله: « قد قدمنا في كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أنّ بشارًا ومسلمًا وأبا نواس ومن تقلّهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سُمي بهذا الاسم، فأعرب عنه ودلّ عليه، ثم إنّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغفَ به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف، وإنما كان يقول الشاعر من هذا البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع وكان يُستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرا» (2).

يتبين لنا أنّ "أبا تمام" لم ينفرد في استعمال البديع، فقد ورد هذا النوع من الفن في أشعار المتقدمين وفي القرآن الكريم والحديث النبوي، وورد كذلك في أشعار المحدثين "كبشار بن برد" و"مسلم بن الوليد" و"أبي نواس"، ممن تقدموا على "أبي تمام". ولكنه تميز عنهم فيما يبدو حين أسرف إسرافا شديدا في تتبع هذا الفن بكلّ ألوانه حتى غدا رأسا وزعيما للمصنعين. فإذا أحسن في بعضه فقد أساء في بعضه الآخر لتعسفه في طلبه.

هذا، وقد اتُّهم "أبو تمام" بمخالفته لبعض مبادئ "عمود الشعر"، وابتعاده عن النهج المعروف. وقد ارتبطت ظاهرة النفور هذه بقضية فهم معانيه وإدراكها واستساغتها لدى طبقات الناس، ولعل هذا هو المقصود بقول الآمدي: «... ومثل من فضل أبا تمام ونسبه

(1)- الصولي، أخبار أبي تمام، ص 37.

(2)- ابن المعتز، البديع، المقدمة، ص 1.

إلى غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج. وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام» (1). وقد دافع أنصار "أبي تمام" عن الغموض المعنوي في شعره لارتباطه بمطالعاته في الكتب الكثيرة وتفتيشه عن المعاني المستغربة وتكلف إدخالها في شعره واستدعاء اللون البديعي الذي يناسبها، وربطوا قضية فهم معانيه بالتفسير والشرح، فإذا كنّا نجدهم يقولون إنّما فهم شعره العلماء والنقاد في علم الشعر، فإنهم لا يتحرجون من قول هذه المقولة العادلة: «فقد عرفنا كم أنّ أبا تمام أتى في شعره بمعان فلسفية وألفاظ غريبة، فإذا سمع بعض شعره الأعرابي لم يفهمه فإذا فسر له فهمه واستحسنه» (2).

أمّا "البحتري" فقد عدل عن هذا المذهب، فكان إمام أهل الطبع لأنّه «أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام» (3).

هذه الصفات الشعرية أفادها "البحتري" من الوصية الثمينة التي تلقّاها من "أبي تمام" والتي لم يلزم "أبو تمام" نفسه بها. بل نجده يخالف كثيرا ممّا جاء فيها، فلم يجنب شعره الألفاظ الوحشية، وبالغ في تقصي المعاني، وأغرق في طلب الاستعارة والطباق والجناس، ولم يتقيد بأشعار الماضين، فكان له مذهب عرف به، وصار علامة على شعره. يقول "أبو تمام": "وإذا أخذت في مدح سيد ذي إباد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمة وشرف مقامه وتقاضي المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام» (4).

(1) - الأمدي، الموازنة بين الطائيين، ص4.

(2) - المرجع نفسه، ص 27.

(3) - المرجع نفسه، ص4

(4) - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر للطباعة، ط6، مصر، 2004، ص187.

هذا، وقد كان ظهور "البحتري" على مسرح الشعر العربي دافعا لكثير من أرباب اللغة والأدب إلى أن يختلفوا في المفاضلة بينه وبين "أبي تمام". من هنا وجد فريقان يختلفان في نظرتهما لكل من الشعارين، ففريق يفضل "أبا تمام" ويدافع عنه ويرفعه إلى القمة من حيث الجودة وإحكام صناعة الشعر وفريق يفضل "البحتري" ويراه أكثر جودة وملاءمة لطبيعة الشعر العربي ولكل مقاييسه في تفضيل هذا أو ذلك. (1)

وقد عرض "الأمدي" في كتابه "الموازنة" آراء الفريقين ووازن بين الشعارين وناقش ما يحوم حولهما، وهكذا احتدم الصراع بين أنصار القديم وأنصار الحديث. (2)

أنصار القديم الذين يتعصبون لبناء القصيدة لدى الشعراء الجاهليين في الصورة والمضمون، ويرفضون ما خرج على مألوفها، وقد طبقوا مقاييسهم على شعر "أبي تمام"، فلم يرضهم انسياقه مع البديع والاستعارات فيما استحدثته من صور فنية ومعان بدیعة الغور مما لم يألفه العرب في شعرهم، وهؤلاء من علماء اللغة مثل "أبي عمرو بن العلاء" و"ابن الأعرابي" الذي قال عن شعر "أبي تمام": «إن كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل» (3) أما أنصار الحديث الذين ارتاحوا لمسالك الشعراء المحدثين وأخذوا بما ابتكروه من صور ومضامين. (4)

"أبو تمام" كان يتمتع بشاعرية مبدعة لا تكتفي بالأحاسيس والمشاعر القريبة، بل تغوص في أعماق النفس الإنسانية لاستجلاء خفاياها واستكناه تجاربها في إطار من فن البديع. وكان هذا المنحى يضطره في كثير من الأحيان إلى الخروج عن عمود الشعر

(1) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص15.

(2) - ينظر: الأمدي، الموازنة بين الطائيين.

(3) - المرزباني، الموشح، ص465.

(4) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص16.

العربي، ولم يكن "البحتري" مجانباً للصواب حينما قال عن "أبي تمام": «كان أغوص على المعاني مني وأنا أقوم بعمود الشعر منه» (1).

ويمكن القول أنّ مآخذ النقاد القدماء على شعر "أبي تمام" تكاد تنحصر في سرقة لبعض المعاني، وتعسفه في بعض الاستعارات وبعض ألوان البديع، وفي ابتداءاته المستهجنة، وفي استعماله الألفاظ الوحشية والغريبة، وفي استغلاق أو غموض بعض معانيه. وكان بعضهم يتجنى على "أبي تمام" ولا ينصفه، وينكب على جادة الصواب في نقده بل إنّ منهم من كان يخلق العيوب على "أبي تمام" اختلاقاً، يقول: الصولي في رسالته إلى مزاحم بن فاتك: «وقد رأيتُ - أعزك الله - بعض هؤلاء الجهلة يُصحّف أيضاً على أبي تمام، ثم يعيب ما لم يقله أبو تمام قط» (2).

هذه نظرة شاملة لمذهب "أبي تمام" الشعري كما تعرض له العلماء في كتبهم. يلخصها محمد نجيب البهيتي في قوله: «وهذه الإشارات في كتب النقد إلى مذهب "أبي تمام" كثيرة، تتلخص جميعاً فيما يأتي :

- 1- طلب المعنى البعيد واللطيف الجديد المبتدع، وتحري ذلك تحرياً مكثوراً متواصلاً.
- 2- محاولة إخفاء المعنى المنقول عن الغير بكثير من التغميض والتعقيد والالتواء في التعبير واستخدام الأساليب الجديدة في ذلك.
- 3- نشأ عن هذا كثرة الاستعارات والإفراط في استعمالها مع خفاء العلاقة وبعدها أحياناً وأصبح اللفظ في كثير أشبه بالمنقول إلى معنى جديد لا على قواعد الاستعارة القريبة المعروفة كما اضطره ذلك إلى الإفراط والمبالغة حتى يتهمه دعبل بأن ثلث شعره محال.

(1) - الأمدي، الموازنة بين الطائيين، ص12.

(2) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص56.

4- كان من وراء هذا كله، مع تكلف إدماج الفكرة في الشعر نقص ماء الشعر في كثير منه، وتبدي الكفة ولم تكن هناك وسيلة إلى تحقيق هذا إلا التجميل الصناعي، فتحرى "أبو تمام" أنواع البديع والمحسنات اللفظية من كل وجه وبكل سبيل. (1)

من هنا يتضح لنا أنّ تجربة "أبي تمام" الشعرية كانت ولا تزال مجالاً لرؤى نقدية متعددة بل متناقضة أحياناً، كما يقولون "المورد العذب، شديد الزحام".

المبحث الثاني: أبو تمام وحماسته:

من أكثر المختارات الشعرية شيوعاً وشهرة، والتي حفظت لنا أشعار القدماء، التي كانت منثورة على ألسنة الرواة، مغمورة في طيات الكتب، المفضليات، الأصمعيات، جمهرة أشعار العرب، غير أنّ هناك ضرباً آخر من هذه المختارات أطلق عليه "ديوان الحماسة" "الأبي تمام". إذ أنّ الشعر صنف فيها حسب المعاني والأغراض، إلى جانب أنّها تحوي مقطوعات قصيرة لكثير من الشعراء المقلين والمغمورين، كما أنّ "أبا تمام" حرص على أن يختار للشعراء ابتداء من الجاهلية إلى عصره، وكثير من أشعار الحماسة يعتبر من الشواهد المعتمدة في العربية لغتها ونحوها وبلاغتها. ولذلك احتلت الحماسة منزلة كبيرة لدى العلماء والأدباء، ونالت من الشرح كفاية، الشيء الذي أكسبها أهمية كبرى في الكشف عن أسرارها، وما ينطوي عليه شعرها من روايات، ولغة، ومعان، وبلاغة، ونقد، وأخبار.

1- أسباب تأليف الحماسة ومنهج الاختيار:

من الأسباب التي تروى حول الحماسة أنّ "أبا تمام" زار عبد الله بن طاهر "واليّ خراسان"، وكان يقيم في نيسابور، فمدحه ثم عاد من خراسان يريد العراق، وفي أثناء رجوعه اعترضه الثلج عند مدينة همذان وكان الشتاء في ذلك العام شديداً. فمال إلى صديق له هناك اسمه "أبو الوفاء بن سلمة". ريثما يذوب الثلج فيستطيع أن يتابع سيره إلى العراق (2).

(1) - ينظر: محمد نجيب البهيتي، أبو تمام حياته وحياة شعره، ص 192-193.

(2) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص 104.

وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيمة، انصرف إليها "أبو تمام" وجمع من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماسة وغيره فيما قيل (1).

اعترض "طه حسين" على أن يكون "أبا تمام" قد صنع تلك الاختيارات في همدان، بقوله: «تحدثنا الأخبار أن أبا تمام قد اختار كل هذه الكتب لأنه اضطر إلى البقاء في همدان، فقد حال الثلج بينه وبين المضي في سفره فاضطر إلى البقاء، وعكف على خزانة الكتب فأنفق وقته في تصنيف ما ظهر له من المختارات، ولكن هذا غير ممكن وغير معقول، فقد كانت إقامته رهن زوال الثلج، وهذا لا يتجاوز الأشهر القليلة ومن المستحيل أن يصدق أنه اختار هذه الكتب في شهرين أو ثلاثة» (2)

إن ما ذهب إليه "طه حسين"، قد اعترض عليه "علي النجدي ناصف"، وبنى اعتراضه على عدّة أوجه، منها:

- إن "أبا تمام" لم يكن ينوي أول الأمر أن يلبث في همدان إلا ريثما يذوب الثلج ويتيسر السفر، ثم عدل عن نيّته هذه، أو غير منها حين أقبل على العمل، فاستبان قيمته وأدرك جدوى المضي فيه.
- إن أبا تمام لم يكن له عهد بكتب آل سلمة من قبل، فرأى العكوف عليها والإفادة منها غنيمة بالغة وفرصة نادر، لا يجمل بمثله أن يتهاون فيها أو يؤثر حاجة عليها.
- إن رجلا له مثل ما "لأبي تمام" من ألمعية خاطفة وذوق مرهف لا تبطئ به القراءة والاختيار ولا يكلفانه من الوقت والجهد مثل ما يكلفان سواه وليس بعيدا أن يكون أصحابه من آل سلمة في حرصهم عليه وبرهم به وملاطفتهم له، قد رفقوا به وقدروا حاله فأمدوه ببعض العون يكل إليهم من الأمراء ما يريد، وكان

(1) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص104.

(2) - طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص100.

الفصل حينذاك فصل الشتاء حيث يطيب العمل، ولا يقلّ الانقطاع والعكوف

عليه(1).

إذا كان "أبو تمام" قد صنع بهمذان مجموعة من الاختيارات، منها كتاب الحماسة، فإنّ هذا يدفعنا إلى التساؤل عن الطريق الذي أخذ به العلماء هذا الكتاب.

مما كان مألوفاً لدى العلماء في ذلك الزمن وقبله، أن يأخذوا الكتب من أصحابها بالسمع أو القراءة عليهم، أو الإجازة منهم في روايتها، غير أنّ ما ساقه "التبريزي" في مقدمة شرحه يشير إلى أنّ "أبا تمام" قد ترك كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة، حيث بقي عندهم يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغيّرت أحوالهم. وورد همذان رجل من أهل دينور يعرف "بأبي العواذل" فظفر به وحمله إلى أصبهان فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عاداه من الكتب المصنّفة في معناه، فشهّر فيهم ثم فيمن يليهم (2).

أمّا ما ورد في مقدمة شرح أبي الرضا الراوندي ما نصّه: «قال أبو الرضا فضل الله بن علي أخبرني بكتاب الحماسة الشيخ الإمام بديع الزمان أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد البغدادي...قراءة عليه بأصبهان في رجب سنة تسع عشر وخمسائة [...] قال: حدثنا أبو رياش أحمد بن هاشم قالاً جميعاً: حدثنا أبو المطرف الأنطاكي أحمد بن أوس الطائي»(3)

أمّا "أبو الفتوح بن ثابت بن محمد الجرجاني" يقول في مقدمة شرحه للحماسة: «قرأت هذا الكتاب ببغداد سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة على الشيخ أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري، وقال لي: قرأته على أبي رياش أحمد بن هاشم بن شبل القيسي الربيعي

(1)- ينظر: علي النجدي ناصف، دراسة في حماسة أبي تمام، ص10-13.

(2)- ينظر: التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، كتب حواشيه، غريد الشيخ، المقدمة، ص11.

(3) -محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص18. نقلاً عن مقدمة الراوندي في شرحه لديوان الحماسة .

بالبصرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وقال: أنشدنا أبو المطرف الأنطاكي قال: أنشدنا أبو تمام حبيب بن أوس الطائي» (1)

وقد ورد في "أنباه الرواة"، أنّ "القاضي أبا الفرج محمد بن عبد الله الحسن البصري"، قد قرأ على "أبي غالب محمد بن أحمد بن بشران"، مجموعة من الكتب، منها كتاب الحماسة، فسأله الأخير عن إسناده، فقال: «قرأتها على أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار عن أبي القاسم الحسن بن بشر الكاتب عن أبي المطرف الأنطاكي قال: وسمعتها أيضا عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الوليد النحوي عن أبي رياش أحمد بن أبي هاشم عن أبي المطرف عن أبي تمام» (2).

بناء على ما سبق، نقول إنّ كتاب الحماسة إلى جانب النسخة التي حملها "أبو العوادل" من همدان إلى أصبهان، قد أخذها العلماء من طريقين: أحدهما "أبو رياش" الذي رواه عن "أبي المطرف" عن "أبي تمام"، والآخر "الحسن بن بشر الأمدي" الذي رواه أيضا عن "أبي المطرف" عن "أبي تمام".

وهذا يعني أنّ "أبا تمام" قد حمل معه من همدان نسخا من الكتب التي صنعها في بيت أبي الوفاء، وإلا كيف نفسّر أنّ "أبا المطرف" أخذ عنه كتاب الحماسة ورواه لكلّ من "أبي رياش" و"الأمدي".

ولكن السؤال المطروح: كيف كان أبو تمام يختار ما يختار؟.

لم يكن "أبو تمام" مجرد راوية لشعر من سبقه أو لشعر من عاشوا في عصره، إذ لم يقف عند حدّ الحفظ والرواية لشعر غيره بل كان، كما يقول طه حسين: «كثير النظر في الشعر، ميّالا إلى الاختيار منه...» كان يعاشر الشعراء معاشرة متصلة، يقرؤهم ويطلب النظر فيهم، ويدل على قراءته لهم، هذا الاختيار الذي كان يختاره في كتب يذيعها بين

(1) - الجرجاني، شرح الحماسة، المقدمة.

(2) - القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، ص45.

الناس»⁽¹⁾. لم تكن اختيارات أبي تمام لمجرد جمع الشعر وروايته، وإنما كانت عملاً قائماً على الدراية والفهم الدقيق، يقول الصولي في ذلك، نقلاً عن الحسن بن رجاء: «ما رأيتُ أحداً قطُّ أعلمَ بجيّد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام»⁽²⁾.

كان لكلّ ذلك أثره الواضح على منهج "أبي تمام" في الاختيار، إذ لم يكن همه رواية أو جمع الشعر شأن غيره، وإنما كان يعيد النظر في الشعر ويعايش الشعراء معايشة مستمرة ليختار من شعرهم أحسن وأروع ما يقع عليه ذوقه وإحساسه، وقد قام بتبويب ما اختاره من الشعر على حسب المعاني والموضوعات والأغراض، ولعله رائد هذه الخطوة إذ لم يوجد من سبقه إلى ذلك.

في هذا الصدد، يقول "المرزوقي": «وهذا الرجل لم يعتمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه، المجيب لكل داعٍ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم، وإسلاميهم، ومولدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه، وحتى إنّه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده»⁽³⁾.

معنى هذا أنّ "أبا تمام" كان يختار الشعر الذي يروقه دون أيّ اعتبار لمدى شهرة صاحبه، وأنّه لم يشأ أن يعرض على الناس ما هو مشهور ومتداول بينهم، بل شاء أن يضع بين أيديهم نماذج جديدة من الشعر الرائع، لم يلتفتوا إليها من قبل، ولأنّه شاعر ذواق مرهف العقل، والحس، كان يعرف كيف يستخرج من القصيدة أروع ما فيها، فإذا اصطدم حسّه بلفظة قلقة استبدل بها غيرها، حتى يستوفي الكلام عناصر الحسّ اللائقة به. يقول "عمر

(1) - طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص100.

(2) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص118.

(3) - المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علّق عليه: غريد الشيخ، المقدمة، ص3-4.

الدقاق" في ذلك: «فقد أبت عادة أبي تمام في معاودة تنقيح شعره وتهذيبه، وحاسته الفنية، إلا أن تجلعه يغير في بعض نصوص الآخرين، فتحذف لفظاً ويبدلها بلفظة أخرى تروق له. وكان أولى بالنقاد في وقته أن يمنعه من ذلك حرصاً على الأمانة في نقل نصوص الآخرين ولكنهم تقبلوا منه ذلك الصنيع واستملحوه»(1).

اختار "أبو تمام" في ديوان الحماسة نحو سبع مائة وثمانين قطعة لنحو أربع مائة وخمسة وستين شاعراً من الشعراء المقلين ولاسيما المغمورين منهم سوى المجاهيل(2). ذلك أنّ غاية "أبي تمام" كانت أن يدل على الشعر من حيث هو، أي بالنظر إلى قيمته الفنية الصرف، دون تعيين قائلها.

وبالتالي فقد أغفل "أبو تمام" الكثير منها، وذلك فيما يقرب من "مائتين وسبعة وثمانين" موضعاً، وما يغفله إما أن يأتي:

1- منسوباً إلى مجهول كلية مثل: وقال آخر(3)، أو قالت امرأة(4)، أو قال بعضهم(5).

2- منسوباً إلى رجل مجهول الاسم، معروف القبيلة، مثل: قال بعض الفزاريين(6)، أو رجل من بني فُرَيْع(7) أو قال بعض بني أسد(8).

(1)- ينظر: عمر الدقاق، مصادر التراث العربي(بتصرف)، ص50.

(2)- بلغ هؤلاء المجاهيل نحو مائة وخمسين شاعراً. ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص104.

(3)- ينظر مثلاً: التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، الحماسية 419، ص 709.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 839، ص1072.

(5)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 422، ص711.

(6)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 416، ص706.

(7)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 417، ص708.

(8)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 428، ص715.

3- وإذا جاءت مجموعة من المقطعات متتالية لشاعر واحد نراه يصرح باسم القائل في أولها، ثم تأتي البقية مصدرة بعبارة: وقال أيضا(1). ويكتفي في بعض الأحيان بالاسم الأول من الشاعر مثل: قال أبو العتاهية(2)، أو قال الضبي(3).

ومن ثمّ نراه لا يأتي بالقصيدة كاملة مثلما فعل "المفضل الضبي" و"الأصمعي" من قبل، ولكنّه يختار من القصيدة الأبيات والمقاطع التي تناسب ذوقه الفني ومعاييره النقدية.

(*)

اختار "أبو تمام" في الحماسة مقاطع لجميع الشعراء المقلين والمكثرين والمغمورين، والقدماء والمحدثين، وإن كان جلّ اهتمامه بالمقلين المغمورين القدماء، ممن ليس لهم في الغالب دواوين، فاختر لهم نصيبا وافرا من الشعر يقل عنه بكثير نصيب ما اختاره للشعراء المشهورين، ولعله أدرك أن شعر البارزين والمشهورين من الشعراء مستفيض بين أيدي الناس تفرضه مكانتهم ومنزلتهم، أما شعر المقلين فهو مغمور مجهول على الرغم مما ينطوي عليه من روائع. فما أحوجه إلى أن ينشر ويذاع على الناس. من هنا كثر الشعر الذي يجهل قائله، ووصل ذلك إلى ما يقرب من مائتين وثلاثة وخمسين شاعرا في مختلف أبواب الحماسة. والفترة الزمنية لشعراء الحماسة تمتد من الجاهلية إلى عصر أبي تمام، وجلّهم من

(1)- ينظر: التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، الحماسية 5، ص 43.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 668، ص 919.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 362، ص 648.

(*)- بمعنى أنّ هنالك بعض المختارات تتألف كل واحدة منها من ثلاثة أشطر من الرجز. لكن معظمها تتألف من مقطعات يتراوح عددها بين بيتين وبين عشرة أبيات. أمّا المقاطع فهي قليلة تزيد أبياتها على عشرة وتقل عن عشرين، أمّا التي يزيد عدد أبياتها على عشرين فهي ست"قصيدة السموأل بن عاديا"إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه" وقصيدة المنخل بن الحارث اليشكري" إن كنت عادلتي فسيري" وكل واحدة منهما اثنان وعشرون بيتا. ثم هنالك قصيدة "العديل ابن الفرخ العجلي": "ألا يا سلمي: ذات الدماليج والعقد"، وقصيدة يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرًا" يا بدر والأمثال يضر بها لذي اللب الحكيم" وكل واحدة منهما ثلاثة وعشرين بيتا. وتأتي بعدئذ قصيدة تأبط شرا "إنّ بالشعب الذي دون سلع" وهي ستة عؤؤ وعشرون بيتا. أمّا أطول مقاطع الحماسة إطلاقا فهي قصيدة زياد بن حمل بن سعد فإنّها أربعة وأربعون بيتا" التي يقول فيها:

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد ولا شعوب - هوى مني - ولا نقم

شعراء الجاهلية و صدر الإسلام والعصر الأموي، وقليل منهم من العباسيين. وإذا أسقطنا الشعراء المجهولين، فإننا نجد سبعة مائة من الشعراء الجاهليين، وخمسة وخمسين من الشعراء المخضرمين في الجاهلية والإسلام، وثمانية عشر من شعراء صدر الإسلام، وتسعة عشر قيل عنهم أنهم إسلاميون، وأربعمائة من العصر الأموي، وعشرين شاعرا من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وتسعة وعشرين من العباسيين. والملاحظ هنا أنّ بعض العباسيين كان معاصرا "لأبي تمام" من مثل أبي الأسد نباتة بن عبد الله الحماني، وآية ذلك أنّه قال أبياتا في "الحسن بن رجاء" (*) أحد ممدوح "أبي تمام"، وبعضهم اشتهر بعلم اللغة أكثر من اشتهاره شاعرا، منهم: أبو زياد الأعرابي، وأبو محمد اليزيدي... وغيرهم. أمّا المشاهير فضمت الحماسة منهم "المهلهل وطرفة وعمرو بن كلثوم وعنترة والنابغة" في الجاهليين، وحسان والخنساء والفرزدق والأخطل وجميل بن معمر" في الإسلاميين، وأبا العتاهية والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد ثم بكر بن النطّاح المعاصر لأبي تمام من المحدثين (1).

قد يختار "أبو تمام" لبعض الشعراء في أكثر من موضع في الباب الواحد أو في عدة أبواب من أبواب الحماسة. والملاحظ عليه أنّ شعراء طيئ كان لهم نصيب وافر من الاختيار بالنسبة لغيرهم من القبائل الأخرى التي اختار "أبو تمام" بعض شعرائها، فقد اختار للطائيين ما يقرب من خمسين مقطوعة، ولا غرابة في ذلك فهم أبناء قومه وعشيرته، وحرّ به أن يذيع وينشر ما انطوى من شعرهم. وأيا ما كان الدافع إلى ذلك فقد حفظ لنا جزءا غير يسير من شعر طيئ لم يتوفر مثله في غير الحماسة. (2)

(*) - هو أحد أمراء بني العباس، وهو الذي قال فيه أبو تمام بيته: لا تُنْكِرِي عَطْلَ الكَرِيمِ مِنَ العَنِي فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ العَالِي (ينظر: الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، ج2، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1994، ص38).

(1) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص105.

(2) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص46.

اختار "أبو تمام" في الحماسة مقطوعة لكل شاعر إستجد شعره، ولكن الذين اختار لهم قطعتين أو ثلاثا ليسوا قليلين، أمّا الذين اختار لهم أربع مقطوعات أو خمسا أو ستا فإنهم قليلون جدا. فمن الذين اختار لهم ست مقطوعات حاتم الطائي وعروة بن الورد وهما جاهليان، ثم موسى بن جابر الحنفي وهو شاعر إسلامي. (1)

2- أقسام الحماسة:

تتقسم الحماسة إلى عشرة أبواب، تُمثّل عشرة فنون من الشعر: الحماسة، المراثي، الأدب (الحكمة)، النسيب، الهجاء، الأضياف والمديح، الصفات، السير والنعاس، المُلح، مذمة النساء (2).

لكن "المرزوقي" في شرحه فصل بين الأضياف والمديح، فجعل كلّ منهما بابا مستقلا، ولذلك بلغت الأبواب في شرحه أحد عشر بابا، وأغلب الظنّ أنّ هذا ليس من عمل "المرزوقي" وإّما من عمل نساخ شرحه. ذلك أنّ "المرزوقي" كان يختم كل باب بعبارة تدلّ على الفراغ منه مثل قوله في نهاية باب الحماسة: «تمّ باب الحماسة، بحمد الله الذي هو وليّ الحمد» (3) وقوله في نهاية باب الرثاء: «تمّ باب المراثي بحسن توفيق الله وجميل صنعه» (4). ولم يقل ذلك في باب الأضياف الذي تلاه باب المديح، ولم يكن "المرزوقي" ليفصل بين البابين وهو يعلم أن القطع متداخلة فيهما.

علق "عز الدين اسماعيل" على منهج "أبي تمام" في هذا التبويب، فبرز اجتهادات المؤلف فقد أقام "أبو تمام" تبويبه للمختارات على أساس جمع ما هو متجانس من المضامين في باب واحد، فمثلا في باب الأضياف والمديح، جمع بين الفخر بالكرم والمروءة والمديح

(1)- ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص106.

(2)- ينظر مثلا: التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، فهرس المحتويات، ص1319.

(3)- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص554.

(4)- المرجع نفسه، ص780.

لما بدا له من المشاكلة بينهما، إذ أنّ الفخر والمديح يشتركان في ذكر الصفات المحمودة في الإنسان، لكنّه يغفل في الوقت ذاته المشاكلة بين الرثاء والمديح(1).

أمّا في باب السير والنعاس جمع بين ما قيل في الرحلة والسرى بالليل وما يعتري المسافرين بالليل من غلبة النعاس والإرهاق. وكذلك الأمر في باب الصفات، ويقصد به الوصف سواء كان وصفا لمشاهد طبيعية أو كائنات حيّة.(2)

ومن الظواهر البارزة في اختيار "أبي تمام" أنّه لم يلتزم في بعض الأبواب بالمفهوم الحرفي الذي يدل عليه الباب، بل كان يتوسّع فيدخل في بعضها مقطوعات لا يبدو للوهلة الأولى أنّها تتمّ بصلة إلى الباب الذي أدرجت تحته إلاّ بعد إمعان النظر في المعنى، والتماس ما يمكن أن تدخل به من بعض المعاني إلى رحاب ذلك الباب، أي أنّها ليست نصّاً فيه. ولذلك نظائر في الأبواب الأخرى. فمثلا في باب النسيب، لم يقتصر "أبو تمام" على إيراد ما يختص من الشعر بوصف محاسن المرأة والهيّام بها وما يستتبع ذلك من الوجد والفراق، بل جعله يتّسع ليشمل كل معنى رقيق فيه تعبير عن اللذة واللّهو، من مثل قول أبي الطمّحان القيني(3):

أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَائِحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَائِحِ
وَقَبْلَ عَدِّ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِّ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ

فهذان البيتان أقرب ما يكونان إلى الرثاء، إذ ينوح فيهما الشاعر على نفسه خانقا وجلا مما يخبئه الغد. وعلل "المرزوقي" سبب ورودهما في باب النسيب بقوله: «وإنما جاز

(1) - ينظر: عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار غريب للنشر، القاهرة، دت، ص95.

(2) - ينظر: عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص50.

(3) - ينظر: المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، الحماسية 478، ص887. وفي شرح "التبريزي" نُوحِ النَّوَائِحِ". الحماسية 479، ص765.

أن يُودعَ البيتين باب النسب لرفقتهما ولأنَّ المتعلِّلَ به كان لذةً من اللذاتِ، وهذه عادته في أبواب اختياره»(1).

إنَّ أبواب الحماسة ليست متناسقة أو متوازنة، فالديوان في مجموعه يضمّ تسعمائة مقطعة، لكنّها غير موزّعة على الأبواب العشرة فيه توزيعاً متساوياً، أو حتى متقارباً، فعلى حين أورد "أبو تمام" في باب الحماسة وحده مائتين وإحدى وستين مقطعة، أي ما يزيد على ربع الديوان، أمّا في باب الصفات، فإنّه لا يورد سوى ثلاث مقطعات، الأولى في وصف الهاجرة، والثانية في وصف أرقم والثالثة في وصف البرق والمطر. فهل كان السبب في اختلال هذا التوازن أهمية لشعر الحماسة تلو كثيراً على أهمية شعر الوصف أو غيره من الفنون التي ذكرها. ربّما ولأمر ما أبدع "أبو تمام" نفسه في مطولته البائية الحماسية في فتح عمورية، وربما كانت مادة الشعر القديم الذي كان بين يديه عند الاختيار هي التي أثّرت في تحديد مقدار ما اختار في أبواب حماسته العشرة(2).

والجدول الإحصائي الآتي يبين ما يشتمل عليه كل باب من مقطوعات وأبيات مع

الإشارة إلى أطول المقطوعات(3):

الباب	عدد المقطوعات	أطول المقطوعات
باب الحماسة	261	أطولها مقطوعة المنخل الإشكري، بلغت 25 بيتاً، ومقطوعة السموأل بلغت 24 بيتاً.
باب المراثي	137	أطولها مقطوعة تأبط شراً، وبلغت 26 بيتاً.
باب الأدب	56	أطولها مقطوعة يزيد بن الحكم، وبلغت 23 بيتاً.
باب النسب	141	أطولها مقطوعة زياد بن حمل، بلغت 43 بيتاً، وهي أطول مقطوعات الحماسة على الإطلاق.

(1) - المرزوقي، شرح الحماسة، ص 888.

(2) - ينظر: عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 97.

(3) - ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام.

	80	باب الهجاء
	162	باب الأضياف والمديح
	3	باب الصفات
	8	باب السير والنعاس
	34	باب الملح
	18	باب مذمة النساء

من خلال هذا الإحصاء نلاحظ أنّ:

- أنّ باب الحماسة استأثر اهتمام "أبي تمام"، فكان أكثر الأبواب نصيباً من الشعر.
 - إنّ اهتمام "أبي تمام" كان منصباً على اختيار المقطوعات القصار والاكتفاء ببعض ما يستحسنه من القصائد الطوال، فمثلاً قصيدة "عمرو بن الأهمتم" نجدها في المفضليات ثلاثة وعشرين بيتاً(1)، بينما اكتفى "أبو تمام" منها بأبيات خمسة في المقطوعة.
 - إنّ أكبر مقطوعة عند "أبي تمام"، لم تتجاوز ثلاثة وأربعين بيتاً، وأقلّها لم تتجاوز ستة وعشرين بيتاً، والكثرة الكاثرة من مقطوعات الحماسة تتراوح بين الخمسة الأبيات والبيت الواحد، وهو واضح في البابين الأخيرين: باب الملح، وباب مذمة النساء.
- أعجب الأدباء والعلماء بمنهج "أبي تمام"، فهذا الباقلاني يقول: «والأعدل في الاختيار ما سلكه أبو تمام من الجنس الذي جمعه وما اختاره من الوحشيات وذلك أنه تنكب المستنكر الوحشي والمبتذل المعنى وأتى الواسطة»(2).

(1)- ينظر: المفضل الضبي، المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، و عبد السلام محمد هارون، ص125.

(2)- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص117.

وهذا "الزمخشري" العالم اللغوي المشهور يقول عن حماسة "أبي تمام": «وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: والدليل عليه بيت الحماسة. فيقتعون بذلك لوثوقهم بروايته»(1).

ويبدو أن "أبا تمام" سار على مسلك لا يبعد عن هذا المنهج في مختارات أخرى غير الحماسة، فقد وصل إلينا إلى جانبها اختياره المعروف بالوحشيات أو الحماسة الصغرى. والمتأمل للمختارين يجد تشابها قويا بينهما مع اختلاف يسير في بعض الأبواب، إذ جاء في بعض الوحشيات باب المشيب بدلا من باب السير والنعاس في الحماسة الكبرى، وباب الأضياف والمديح جاء في الوحشيات باسم باب الساحة والأضياف.(2)

على الرغم من هذا التقارب لم يكرر "أبو تمام" في الوحشيات ما جاء في الحماسة الكبرى من شعر إلا بقدر يسير جدا لا يتجاوز أربع مقطوعات. ولم يكن للوحشيات ما كان للحماسة من شهرة وذبوع في الأوساط الأدبية على مر العصور.

على العموم، فإنّ منهج "أبي تمام" في تصنيف أشعار هذه الحماسة، قد جذب إليه الكثير من الشعراء وعلماء الأدب واللغة، فصنّفوا حماسات على غرارها، ومنهم من اعترف اعترافا صريحا بتأثره والإقتداء به، يقول في ذلك أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن محمد بن ابراهيم البياسي الأنصاري الأندلسي(573-653هـ) صاحب الحماسة المغربية: «فلم أجد أقرب تبويب، ولا أحسن ترتيب مما بويه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة، وحسن الإقتداء والتوخي بمذهبه لتقدمه في هذه

(1)- الزمخشري، الكشاف ، ج1، ص220.

(2)- ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص40.

الصناعة، فاتبعت في ذلك مذهبه، ونزعت منزعه» (1). ولنا أن نذكر بعضا منها، وهي (*):

1- حماسة البحتري:

تلميذ "أبي تمام"، كان يتشبه به وينحو نحوه، ألف كتاب الحماسة على مثال حماسة "أبي تمام"، إلا أن الفرق شاسع بينهما، ذلك أن "البحتري" ضخم من أبواب حماسته فجاءت في مائة وأربع وسبعين بابا(2)، وأدت به هذه الكثرة إلى افتقاد الدقة في بعضها. فهي ليست أبوابا بالمعنى الذي نفهمه من أبواب حماسة "أبي تمام"، بل هي معان تحتوي مقطعات لا تتجاوز الست أو السبع المقطوعات في الغالب. وما جاء في باب قد يتماثل مع ما جاء في باب قبله بحيث يمكن إدماجه فيه. فمثلا الباب التاسع والستون فيما قيل في تنقل الدولة وتغير الأحوال يمكن أن ندمج فيه الباب السابعين. وكذلك الشأن بالنسبة للباب الثاني والثلاثين فيما قيل في إخلاص الود لمن وددت وترك الرضا لهم بما لا ترضى به نفسك، فهو مشابه للباب السابع والثلاثين فيما قيل في إخلاص المودة وإدامتها. ونجد في هذه الحماسة أيضا بمختلف أبوابها نصيبا ليس بالقليل من الشعر الذي جاء في حماسة "أبي تمام".

2- حماسة الخالدين:

تسمى (الأشباه والنظائر) ألفها الأخوان "أبو عثمان سعيد"، "وأبو بكر محمد" ابني "هاشم الخالدي"، وكانا من شعراء سيف الدولة الحمداني. وتضم حماستهما مختارات لشعراء جاهلين ومخضرمين وما يماثلهما ويناظرها من شعر المحدثين.

(1)- ابن الشجري، الحماسة الشجرية، تح: عبد المعين الملوحى وأسماء المحصي، القسم الأول، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970، ص، كح-كط.

(*)- لقد أورد عبد الرحيم عسيلان جرّداً لهذه الحماسات، ينظر: عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص 49-54. وينظر أيضا: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 81-82.

(2)- ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 81.

ولم يبويبا هذه المختارات، كما لم يبدأها بباب الحماسة شأن "الطائي" ومن تبعه وقد رسما خطتهما في أول كتابهما لما قالوا "نضمن رسالتنا هذه مختار ما وقع إلينا من أشعار الهذليين، ومن تبعهم من المخضرمين، ولا نخليها من غرر ما روينا للمحدثين، ونذكر أشياء من النظائر إن وردت، والإجازات، ونتكلم في المعاني المخترعة والمتبعة إلخ" (1).

3- الحماسة المحدثه:

وهي المختارات التي جمعها "أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني الرازي (ت395هـ).

ويبدو أنه قصر اختياره على شعر المحدثين، يدل على ذلك ما جاء في رسالته إلى محمد بن سعيد الكاتب من دفاع عن المحدثين، لأنهم لا يقلون عن المتقدمين شأنًا بقوله: "أهمك الله الرشاد... وسبب دعائي لك بهذا إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليف كتاب في الحماسة، وإعظامك ذلك" (2).

4- الحماسة الشجرية "لأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري العلوي" (ت542هـ):

تعرف بمختارات الشجري. هذا المجموع يضم أبوابا يتناول بعضها فنونا من الشعر كالمديح والمراثي... ويتناول بعضها الآخر أغراضا ومعاني جزئية. فهو لذلك وسط بين حماسة "أبي تمام" و"حماسة البحترى".

يبدو أن ابن "الشجري" في حماسته هذه، قد استنار كثيرا بمسلك "أبي تمام" في حماسته، وقبس شيئًا يسيرا من حماسة "البحترى". فنراه يذكر أبوابا كبيرة كالشدة والشجاعة، والمراثي والمديح والهجاء وأحيانا يجعل تحت بعض الأبواب فروعاً في معانٍ مختلفة تدور في فلك الباب ويسميها فصولاً، كما صنع في باب الصفات والتشبيهات الذي فرعه إلى واحد وعشرين فصلاً. وركز في اختياره أكثر ما ركز على شعر العباسيين في مختلف الأبواب على خلاف "أبي تمام" الذي اختار للعباسيين جزءاً يسيراً واهتم بالشعراء الجاهليين والمخضرمين والأمويين (3).

5- الحماسة للأعلم الشنتمري الأندلسي (ت476هـ).

(1) - ينظر: ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص لب-لج.

(2) - ينظر: الحموي، معجم الأديباء، ج1، ص412.

(3) - ينظر: ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص ل ج.

استوحى "الأعلم" فكرته من حماسة "أبي تمام"، ورتّب الشعر في كلّ باب على حسب حروف الهجاء بالترتيب المغربي، وجعلها في ثلاثة عشر باباً: الأول في الشجاعة والثاني في المراثي، والثالث في الأدب، والرابع في النسب، والخامس في المديح، والسادس في الأضياف، والسابع في الهجاء والثامن في الصفات، والتاسع في السير والنعاس، والعاشر في الملح والظرف والمفاحشات والحادي عشر باب في مزمة النساء والثاني عشر في القصر والثالث عشر في الكبر. بينما نعرف أنّ حماسة "أبي تمام" في عشرة أبواب فقط، وقد ضمنها جلّ ما في حماسة "أبي تمام" من شعر، وزاد عليه من حماسات أخرى كحماسة "أبي الفتوح" ثابت بن محمد الجرجاني وحماسة "أبي أحمد عبد السلام ابن الحسين القرميسيني" (1).

6- الحماسة البصرية لأبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت 659هـ):

تعدّ هذه الحماسة من أضخم الحماسات، إذ جمع فيها كثيراً مما وجده في الحماسات الأخرى والمجاميع الأدبية من شعر كحماسة "أبي تمام" و"البحري" و"ابن الشجري"، والأشباه والنظائر للخالدين وأمالي الفالي، وغير ذلك من المصادر، وانتهج في تبويبها منهج "أبي تمام"، فذكر أبوابه وزاد عليها باباً واحداً هو باب الزهد، وعنى في اختياره كثيراً بما قبل المحدثين من الشعراء، أما نصيب المحدثين فكان أقل نصيباً (2).

وهناك حماسات أخرى مثل: حماسة "أبي عامر الشاطبي الأندلسي"، وحماسة "العبيدي"، وحماسة "أبي هلال العسكري"، وحماسة "أبي الحجاج بن محمد الأندلسي" البياتي... وغيرها.

3- سبب تسمية الديوان بالحماسة:

لقد سمّى "أبو تمام" هذا المجموع كلّهُ "باسم الباب الأول" منه "الحماسة"، وهو أطول الأبواب وأهمّها في هذا المجموع القيم. ومن ثمّ تُدوِّلت التسمية منذ القرن الرابع الهجري حين أخذت شروح الحماسة في الظهور. يقول "الأمدي" في ترجمته للمتلمّ بن عمرو التنوخي قوله: «أنشد له الطائي في اختياره الذي سمّاه الحماسة» (3).

(1) - ينظر: الأعلم، عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص 51.

(2) - ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص 82.

(3) - الأمدي، المؤلف والمختلف، ص 18.

ومفهوم الحماسة عند "أبي تمام" في ديوانه الحماسة، قد اتسع كثيرا، ذلك أن كتاب الحماسة لم يقف عند حدّ الشعر الذي يُعبّر عن الشجاعة والأنفة والصبر والشدة والإقدام في ساحات الحرب والقتال، بل اشتمل إلى جانب ذلك على الشعر المُعبّر عن العواطف الملتهبة، والأحاسيس المتوقدة، والشعور الجياش، سواء أكان ذلك في التعبير عن نشوة انتصار في الحرب، أو زهو بالنفس، أو افتخار بها، أم في التعبير عن خلجات الحب والهوى بالغزل، وعن آهات الأسي والحزن بالرناء، وعن الهزة العاطفية في المدح، أو الثورة العارمة بالتهديد والوعيد وإبرار النقائص في الهجاء، وما إلى ذلك من ألوان الشعر وفنونه التي يجد فيها الشاعر نفسه منساقا مع هزة عاطفية حادة. وهذا المفهوم لا يبعد عن المعنى اللغوي لكلمة الحماسة، لأن الحماسة في الأصل: الشدة في الدين والقتل ثم هي الشجاعة⁽¹⁾. أو كما يقول ابن سيدة: «**الشدة في كلّ شيء**». (2) والحماسة أيضا هي لون من ألوان الشعر الذي يقال في القتال وفي التجلّد في المصائب، والقسوة وقلة المبالاة وصلابة النفس في أيّ فنون من فنون الشعر⁽³⁾.

ولعلّ الدافع في هذه التسمية يرجع إلى أن "الحماسة أكثر الأبواب قطعاً في الاختيار، إذ يحتل الثلث تقريبا، أو لأثّ الغرض الذي جاء أولا في الاختيار، فحملت بقية الأبواب عليه، يقول علي النجدي ناصف: «**إنّ الحماسة جزء عظيم من الكتاب له بين سائر الأجزاء منزلة وشأن، وإنزال جزء الشيء لمزية فيه منزلة كلّه وإجراؤه في الحكم مجراه عمل معروف مقرر مثل تسمية بعض السور بأولها والكتب والقصائد وغير ذلك**»⁽⁴⁾.

(1)- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص994. مادة "حمس".

(2)- ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص214.

(3)- ينظر: التبريزي، مقدمة شرح الحماسة لأبي تمام.

(4)- علي النجدي ناصف، دراسة في حماسة أبي تمام، ص15.

لكن لماذا استحقَّ غرض الحماسة أن يكون أوَّل الأغراض في الاختيار، فهذا راجع إلى أنَّ الحماسة أهمَّ غرض دار حوله الشعراء في عصر ما قبل الإسلام، وهو عصر كان له نصيب وافر في اختيار الحماسة، وفي ذلك يقول شوقي ضيف: «ولا نبعد إذا قلنا إنَّ الحماسة أهم موضع استنفد قصائدهم، فقد سَعرتهم الحروب، وأمدَّها شعراؤهم بوقود جَزَل من التغني ببطولاتهم وأنهم لا يرهبون الموت، فهم يترامون عليه تحت ظلال السيوف والرماح مدافعين عن شرف قبائلهم وحماها. ويرتفع هذا الغناء بل قل هذا الصياح في كل مكان، بحيث يخيل إلينا أنه لم يكن هنالك صوت سواه، ولعل ذلك ما دفع أبا تمام إلى أن يسمي مجموعته من أشعارهم وأشعار من خلفهم باسم الحماسة» (1).

أمَّا في عصر صدر الإسلام، وهو عصر ضمَّ اختيار الحماسة شعرا لشعرائه، فإنَّه أيضا لم يخل من وجود الحماسة فيه خاصة في غزوات النبي "ص" وسراياه وما تلاها من فتوحات إسلامية لهذا كَلَّه، ولكون الحماسة كما يقول التبريزي، «شجاعة العرب والصفة الأولى من صفاتهم» (2). أو ربَّما يعود ذلك إلى طبيعة شعر "أبي تمام"، إذ أنَّ أغلب شعره يمتاز بنبرة حماسية قوية الإيقاع، الأمر الذي جعل الدكتور "عبد الله باقازي" يذكر بأنَّ اختياره لمسمى الحماسة يعبر عن ذلك الشعور الخفي في داخله (3). ومن كلِّ تلك الأسباب حمل الكتاب اسم الحماسة.

4- شروح ديوان الحماسة:

نظرا للعناية التي حظيت بها الحماسة، تصدَّى لشرحها عدد من العلماء اختلفت مذاهبهم وتنوعت اتجاهاتهم، فمنهم من شغلته المعاني الشعرية فأقبل يفسرها ويوضحها، ومنهم من قصر شرحه على مسائل الإعراب أو اللغة، ومنهم من تتبَّع النصوص فذكر الأخبار والأسباب التي قيل من أجلها الشعر، ومنهم من وقف شرحه على تصحيح نسبة

(1)- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي"، ص202.

(2)- التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، باب الحماسة، ص13.

(3)- ينظر: عبد الله باقازي، النهج الشعري في العصر العباسي الأول، الدار السعودية، 1988، ص89.

الأبيات إلى أصحابها مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم. وما إن وقف هؤلاء على حماسة "أبي تمام" حتى أدركوا قيمة ما اختاره من أشعار العرب فيها، ومن ثم بدأت رحلة شروحها منذ ذلك العهد حتى عصرنا الحديث. وذلك من خلال الثبت الذي حاول فيه بعض الباحثين حصر ما وقف عليه من شروح في مكتبات العالم، أو ما عرفه من خلال كتب التراجم، وذلك على النحو التالي:

ليس هناك ما يدلّ على سنة معينة لبدء هذه الرحلة، ولا أول شارح كان له فضل سبق بشرف الاضطلاع بتفسير معاني الحماسة، غير أنّ هناك من قال بأسبقية:

1- أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي (ت287هـ). وشرحه يسمى "العارض". لكن ورد في مقدمة مختصر "معاني أبيات الحماسة" لأبي عبد الله الحسين بن علي النمري (ت358هـ) ما نصّه: «ونظرت في الكتاب المعروف بالعارض في الحماسة المنسوب إلى الديمرتي، وهو كتاب شرط فيه تفسير ما يعرض من لفظ ومعنى، فخطب خطب عشواء فيها متبعا ومبتدعا، وقد ذكرت طرفا من خطئه وصوابه» (1). فقولته: «متبعا» يدلّ على أن هناك من سبق "الديمرتي" في شرح الحماسة (*).

وقد أفاد منه "أبو عبد الله النمري" وأبو زيد الفارسي" وذلك في مواضع كثيرة.

2- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت335هـ)، وهو الذي جمع أخبار أبي تمام في كتاب، وصدّره بمقدمة عظيمة الفائدة، وهي في الأصل عبارة عن رسالة إلى "مزاحم بن فاتك" يقول فيها: «أما بعد: أدام الله في أرغد العيش... مما أنا عالمٌ به، وعدلٌ فيه» (2).

(1) - النمري، مختصر معاني أبيات الحماسة.

(*)- لقد ذكر "البغدادي" في خزنة الأدب أن أول من شرح الحماسة هو "أبو عبد الله النمري". ينظر: البغدادي، خزنة الأدب، وكذلك ما تصوّره "عبد السلام هارون وعبد الله عبد الرحيم عسيلان أن أول شارح لها هو" أبو رياش أحمد بن ابراهيم أستاذ النمري (ت339هـ).، ينظر: عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص62. و عبد السلام هارون وأحمد أمين، في مقدمة شرح المرزوقي، ص11.

(2)- الصولي، أخبار أبي تمام، ص3-6

وقد ختم هه الرسالة بقوله: « وأنا أتبع هذه الرسالة بأخباره إذا كانت عزيزة لا تكاد تجتمع لأحد وهي تنقضي سريعاً ثم اتبعها بعمل شعره إنشاء الله» (1).

"فالصولي" من خلال هذا النص اتجه إلى جمع شعر "أبي تمام" جمعاً مُرتباً ترتيباً يضم جميع الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر، كما يستفاد منه أن أقدم عمل على شرح "أبي تمام" لتفسيره وشرحه كان لأبي بكر الصولي. فكان من أكثر المعجبين بشعر أبي تمام والمتعصبين له. أمّا عن شرحه فإنه موجز مقتصر على معاني الأبيات، وهو قليل التعرض لمسائل اللغة والنحو، إلا أنه يورد أحياناً أشياء من الأخبار تعين القارئ على فهم الأبيات (2).

3- أبو رياش أحمد بن ابراهيم الشيباني (ت339هـ)، نجد من شرحه نقولات متعددة في مواضع مختلفة من شرح "الخطيب التبريزي"، وجلّها يتعلق بالجانب التاريخي وتصحيح النسبة. وبنى عليه "أبو العلاء المعري" شرحه الذي صنعه لمصطنع الدولة وسماه "الرياشي المصطنعي" (3).

4- أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت370هـ). وهو الذي نصب الحرب لأبي تمام وشعره في كتابه "الموازنة"، وكان "الأمدي" من أنصار "البحثري"، وفي شرحه كثير من النقد والجدل، حاول "الأمدي" أن يُبرّر بهما تخامله على "أبي تمام"، وربما عمد إلى تبديل رواية أو إلى اختلاق رواية رآها للحطّ من شعر أبي تمام. (4)

(1) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص56.

(2) - ينظر: عمر فروخ، أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم، ص110.

(3) - ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ص182.

(4) - ينظر: الأمدي في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري.

5- أبو عبد الله الحسين بن علي النمري البصري (ت 385هـ)، وشرحه يسمى "معاني أبيات الحماسة" (1)، وقد وضع "أبو محمد الأعرابي الغندجاني" رسالة في نقد هذا الشرح. ويوجد لهذا الشرح مختصر بعنوان كتاب "معاني أبيات الحماسة"، صنعه لنفسه رجل يدعى "أحمد بن بكر بن أحمد". وقد ذهب "عبد الرحيم عسيلان" إلى أنّ هذا المختصر هو شرح "النمري" الذي لم يهتد إليه حتى الآن، يقول: «وقد يسّر الله لي العثور على هذا الكتاب النفيس خلال رحلتي العلمية إلى تركيا وبريطانيا بحثاً عن مخطوطات الحماسة وشروحها وكان المعتقد أنّ هذا الكتاب من الكتب المفقودة التي تقرأ أسماءها في تراجم العلماء وفهارس الكتب دون أن يكون لها أثر» (2).

6- أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، وجهوده في شرح الحماسة تتمثل في كتابين أحدهما "المبهج في شرح أسماء شعراء الحماسة" (3)، والآخر "التنبيه على شرح مشكلات الحماسة" (4).

7- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395هـ) (5)، وجهوده في الحماسة تتمثل في عمليين أحدهما شرحه للحماسة، وقد أفاد منه "التبريزي" في مواضع متعددة من شرحه (6)، والآخر رسالة صنعها وضبط فيها مواضع من الحماسة، وقد ورد في مقدمتها قوله: «مرّ بي في نسخة الحماسة بخط بعض أجلاء الشيوخ، وذكر أنه قرأها على أبي بكر الخياط وأبي

(1) - ينظر: أبو علي النمري البصري، معاني أبيات الحماسة، تح: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مطبعة المدني، 1983.

(2) - عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص 69.

(3) - ينظر: ابن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، شرحه مروان العطية، وشيخ الراشد، دار الهجرة للطباعة والنشر، بيروت، 1988.

(4) - ينظر: ابن جني، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، تح: حسن محمود هندواوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2009.

(5) - ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص 506.

(6) - ينظر: مثلاً نقولاته من شرح أبي هلال في: ج 1: ص 128، 132، 163، 186، 197.

الحسين المهرباني مواضع لم تضبط حق الضبط، ولم تجر على سنن العدل فأريت الإبانة عن مواقع الزلل منها لئلا أنسب إلى الخطأ إذا رويت خلافها».

8- أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ)، وتوجد نسخة من شرحه مصدرة بعنوان "الجزء الأول من كتاب الحماسة اختيار أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وتفسير الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس(1).

9- أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي، (ت421هـ)، وشرحه مطبوع في أربعة أجزاء بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون. وهو من المعجبين بأبي تمام المتعصبين له، وهو كثير العناية في شرحه بأسلوب أبي تمام يعتمد الذوق في استخراج المعاني. حاول أن يصحح الروايات التي لا يرضاها بالمألوف من مذهب أبي تمام أو من مذاهب الشعراء، وله كتاب "الانتصار من ظلمة أبي تمام".(2)

10- أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني(ت431هـ). في شرحه المسمى "شرح الحماسة" إذ لم يقدم له بمقدمة تبين خطته وعمله فيه. مما يدل على أن الاختصار والابتعاد عن التفاصيل كان شعاره في كل شيء(3).

كان "الجرجاني" في شرحه يقوم على تحرير النص وإخراجه وفق الأصول التي أدمن النظر فيها وقرأها وصححها، ثم بعد ذلك يتطرق إلى شرح الغريب وإيضاح المعنى. وهو يعتذر عما قد يكون وقع في عمله من خطأ أو سهو، وذلك لطول المدة التي مضت على قراءته للحماسة في المشرق وتوالي الأحداث حيث قال: «تكلفت تصحيح الكتاب وشرح غريبه ومعانيه بعد طول العهد به وهو في الكتب التي قرأتها وصححتها، ولم آمن

(1) - ينظر: بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ج1، ص161

(2)- ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص110.

(3)- ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص128.

أن يقع فيها خلل، فإن آفة العلم النسيان، وهو موكل بالإنسان، فمن اطلع فيه على خلل فليبسط العذر فيه»(1).

11- أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد، المعروف بأبي محمد الأعرابي الغندجاني الأسود(ت436هـ)، وشرحه يتمثل في الرد على بعض ما فسره أبو عبد الله الحسين بن علي النمري وهو بعنوان "إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري".(2)

12- أبو علي الحسن بن أحمد الاستراباذي، في شرحه المسمى "شرح الحماسة"(3) ورد ذكره في شرح زيد بن علي الفارسي(ت 467هـ)، والمرجح أنه كان من علماء أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري. (4)

13- أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري(ت449هـ)، وشرحه يسمى "الرياشي المصطنعي"، لقد ذكر ياقوت الحموي أن عمله قدمه لرجل يقال له مصطنع الدولة، ويخاطب بالإمرة، واسمه كليب بن علي "وهذا الشرح يقع في أربعين كراسة، وقد بناه على شرح "أبي رياش" المتقدم ذكره(5). وهذا الشرح جاء منسوباً إلى المعري.

هناك شرحاً آخر لأبي العلاء على ديوان الحماسة سماه "ذكرى حبيب" إعجاباً بالتورية بين "حبيب" بمعنى المحبوب المعشوق، وبين حبيب بن أوس اسم أبي تمام. يتميز بشرح لغوي في الدرجة الأولى، فيه استطراد كثير في اللغة وفي تفسير المعاني(6).

14- أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة، اللغوي المشهور(ت458هـ)، وهو شرح كبير يقع في عشرة أسفار سماه "الأنيق في شرح الحماسة": لكن هذا الشرح ضاع ما ضاع

(1)- الجرجاني، شرح الحماسة، ص129

(2)- ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص65.

(3)- ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ج2، ص825.

(4)- ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام ص67.

(5)- ينظر: الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص182.

(6)- ينظر: عمر فروخ، أبو تمام، ص110.

من أعمال الرجل ومن الشروح الأندلسية الهامة للحماسة. أشار إليه "ابن خير" . والغالب أنه تناول فيه نصوص الحماسة وفق طريقة بعض الشراح الذين وقفوا طويلاً عند الجانب اللغوي، وأدى بهم الإسهاب إلى الخوض في جملة من الاستطرادات اللغوية واستعراض ضروب الخلاف القائم في شأنها بين علماء اللغة. (1)

15- أبو الحجاج يوسف بن سليمان، المعروف بالأعلم الشنتمري (ت476هـ)، وهو في الواقع ليس شرحاً لحماسة أبي تمام، ولكنه شرح لحماسة صنعها هو وضمّ فيها مختارات من حماسة أبي تمام، وأضاف إليها من الحماسات الأخرى ثم شرحها، وقد سمي هذا الشرح "تجلي غرر المعاني". (2)

16- أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت502هـ)، وقد شرح الحماسة ثلاثة شروح: أولاً شرحاً صغيراً فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها، وشرح ثانياً بيتاً بيتاً، ثم شرح شرحاً طويلاً مستوفياً، والشرح المتداول هو الشرح المتوسط. (3)

وغلب على شرح "التبريزي" طابع التحليل اللغوي، والاهتمام بمسائل الاشتقاق والتصريف، مع العناية بالخلفيات التاريخية التي تشرح مناسبة النص الشعري.

17- أمين الدين أبو علي الفضل الطبرسي (ت548هـ)، ويسمى شرحه بـ "الباهر في شرح الحماسة" وهو في الحقيقة مجموع من الشروح السابقة، وفيه نقولاً كثيرة عن الشراح السابقين، أمثال "أبي رياش"، "أبي عبد الله النمري"، "أبي الحسن البياري"، و"المرزوقي"، و"أبي العلاء المعري"، إلى جانب ذلك نجد نقولاً عن "الخليل بن أحمد" و"سيبويه"، و"الأصمعي"، و"ثعلب". وقد نقل عن هؤلاء جميعاً في كل جانب من جوانب الشرح مما

(1)- ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص64.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص65.

(3)- ينظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، المقدمة، ص6.

يتعلق بالروايات، واللغة والنحو، والنقد والبلاغة، والأخبار التاريخية، واعتمد في معظم هذه

الجوانب أكثر ما اعتمد على شرح المرزوقي. (1)

18 - أبو الرضا ضياء الدين الراوندي (ت550هـ) في شرحه للحماسة، على الرغم من

أن صفحة العنوان التي تحمل اسم المؤلف ساقطة من المخطوطة، ثم إنَّ هذا الشرح مجرد

حواشٍ علقها صاحبها على نسخته من الحماسة معتمداً فيها على شرح المرزوقي، وأبي

الحسن البيارى، وأبي عبد الله النمري، وأبي الفح بن جني، ومع ذلك فإن لصاحبه نظرات

خاصة في بعض مواطن الشرح من بنا أفكاره. (2)

19 - محمد بن قاسم بن محمد بن زاكور المغربي (ت1120هـ)، وشرحه المسمى "النفاسة في

شرح الحماسة". (3)

20 - سيد بن علي المرصفي، في شرحه "أسرار الحماسة" (4) أحد شيوخ الأزهر الشريف

في مطلع القرن العشرين، طبع الجزء الأول من شرحه سنة 1330-1912، وقد رتب

الشعر فيه ترتيباً يختلف عن المؤلف الذي درج عليه شراح الحماسة، حيث رتب الشعراء فيه

بحسب أزمانهم بادئاً بالجاهليين فالإسلاميين فالأمويين فالعباسيين. (5)

إنَّ من هذه الشروح ما هو صحيح النسبة إلى صاحبها وما هو غير صحيح، منها

المفقود لا يعرف عنها شيء سوى معلومات ضئيلة دلَّت عليها بعض المراجع. ومنها

المطبوع والمخطوط. وما الجدول التالي إلا خطوة لحصر هؤلاء الشراح حسب الفترة

الزمنية:

(1) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص66.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - ينظر: أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي، النفاسة في شرح الحماسة، دار الكتب العلمية،

بيروت، 2013.

(4) - ينظر: سيد بن علي المرصفي، أسرار الحماسة، مطبعة أبي الهول، القاهرة، 1912.

(5) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، شروح حماسة أبي تمام، ص202.

شرح القرن الرابع الهجري	شرح القرن الخامس الهجري	شرح القرن السادس الهجري
- شرح أبي رياش أحمد بن ابراهيم الشيباني.	- شرح أبي الفتوح ثاب بن محمد الجرجاني.	- شرح أمين الدين الطبرسي.
- شرح أبي عبد الله الحسين بن علي النمري .	- شرح أبي محمد الأعرابي الغندجاني الأسود.	- شرح أبي الرضا الراوندي.
- شرح أبي الفتح عثمان بن جني	- شرح أبي العلاء أحمد بن سليمان المعري.	
- شرح أبي هلال العسكري.	- شرح أبي القاسم الفسوي.	
- شرح أبي الحسين أحمد بن فارس.	- شرح أبي الحجاج الأعلم الشنتمري.	
- شرح أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي.	- شرح أبي الحسن البياري.	
	- شرح أبي زكريا بن علي الخطيب التبريزي.	

هذه مجموع شروح الحماسة التي ذكرتها مختلف المصادر والمراجع، وعددها

حسب ما ثبته صاحب كشف الظنون بلغ اثنين وعشرين شرحاً⁽¹⁾، وهي في ثبت "عبد السلام هارون" بلغت ثلاثين شرحاً⁽²⁾، وفي ثبت "عبد الله عبد الرحيم عسيلان" بلغت خمسة وثلاثين شرحاً⁽³⁾.

وهذه الشروح باختلاف شراحها وعصورها، أبرزت مذهب "أبي تمام" في الشعر وفسرت معانيه، وأرجعتها إلى مصادرها وأظهرت ما اخترع نفسه من المعاني فكان سبّاقاً إليها.

(1) - ينظر: كشف الظنون .

(2) - ينظر: عبد السلام هارون وأحمد أمين، مقدمة شرح المرزوقي، ص 11.

(3) - ينظر: عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص 62.

المبحث الثالث: نشأة شروح الحماسة وتطورها:

أسهمت شروح الحماسة في تحوّل غاية شرح الشعر من غاية تثقيفية إلى غاية تعليمية، هدفها الأول مدّ التلاميذ من خلال النص المشروح معلومات جمّة في علوم مختلفة" من نحو، وصرف، وبلاغة، ورواية، وأخبار تاريخية. إذ لم يقف الشراح عند حدّ النقل من شيوخهم أو شيوخ شيوخهم، بل كانت لهم مجهودات خاصّة في الشرح تتسم أحيانا بالتعديل والتوجيه حيناً، وبالنقد والاعتراض حيناً آخر. ثم إنّ شروح الحماسة إبان ظهورها كانت متأثرة بما كان سائداً، تحكّمت فيها نزعات الشراح المتباينة، وقدراتهم المتفاوتة في معالجة عناصر الشرح. وكان من الطبيعي جداً أن تختلف مناهج شراح الحماسة وطرائقهم في الشرح وإن كانت في غلبتها ذات غاية واحدة هي تلك الغاية التعليمية التي تحوّل إليها شرح الشعر.

ورغم أنّ شروح الحماسة قد بدأت في الظهور في عقود النصف الثاني من القرن الثالث، إلاّ أنه لم يصل إلينا شيء منها سوى شروح من القرن الرابع وما تلاه من قرون. وبالنسبة "لأبي تمام" فإن شعره كان مدار اهتمام شراح عديدين، وكانت تلك الشروح تزداد وتتسع. وقد اخترنا من تلك الشروح شرح "أبي بكر الصولي" (ت335هـ)، والذي يبدو أنه أوّل شارح له حسب ما ذكرته المصادر. كما أنّه يعتبر من الأوائل الذين جمعوا شعره جمعاً يقوم على الدراية والمعرفة، يقول في رسالته إلى مزاحم بن فاتك: «وليس يجب - أعزّك الله - أن تنظر إلى اختلاف الناس في أبي تمام، واضطراب روايتهم لشعره، فإنهم بعد إتمام هذه النسخة يجتمعون عليها، ويسقطون غيرها، كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره، ثم اجتمعوا عليه بعد فراغي منه، حتى إنّ النسخة من شعره من غير ما عملته لتباع بدراهم، قد كانت قبل ذلك تباع بعدها دنانير، ولعلّها بعد قليل تُفقد فلا تُرى، وتسقط فلا تُراد» (1).

ولم تقتصر علاقة "الصولي" بأبي تمام" عند حدود الجمع لشعره وشرحه له، بل تعدّى الأمر إلى كتابة كتاب عنه جمع فيه أخباره وما دار حول مذهبه الشعري وفنّه من

(1) - الصولي، أخبار أبي تمام، ص55-56.

مناقشات وآراء. كما تضمن الكتاب دفاع "الصولي" عند رده على الخصوم، وما حوى هذا الرد من آراء نقدية(1).

إنّ ما دار من خلاف حول شعر "أبي تمام" ومذهبه قد دفع "الصولي" إلى شرح شعره، مُتَوخِّياً في ذلك الردّ على الخصوم من جانب وإبراز محاسنه وعناصر القوة فيه من أجل تقريبه إلى إفهام القراء من جانب آخر.

وقد أشار "الصولي" إلى شرحه هذا في رسالته إلى مزاحم بن فاتك في كتابه "أخبار أبي تمام" الذي عمله تمهيدا للديوان، قال فيها: «فَسَأَلْتُكَ إِبَانَتَهُ، وَتَكْلِيفِي جَمِيعَ مَا تَرِيدُ مِنْهُ، فَعَرَفْتَنِي أَنَّ تَكْمِيلَ ذَلِكَ لَكَ، وَبِلُغِي فِيهِ أَقْصَى إِرَادَتِكَ، إِتْبَاعِي أَخْبَارَهُ بِعَمَلِ شِعْرِهِ كُلِّهِ مُعْرَبًا مُفَسَّرًا، حَتَّى لَا يَشُدَّ مِنْهُ حَرْفٌ، وَلَا يَغْمُضُ مِنْهُ مَعْنَى، وَلَا يَنْبُو عَنْهُ فَهْمٌ، وَلَا يَمْجَهُ سَمْعٌ، فَاسْرَعَتْ بِذَلِكَ إِجَابَتِي، وَعَمِلْتُهُ بِالْفِكْرِ نَيْتِي، وَتَضَمَّنْتُ عَمَلَ شِعْرِهِ لَكَ بَعْدَ أَخْبَارِهِ فِي مَدْحِهِ وَهَجَائِهِ، وَفَخْرِهِ وَغَزَلِهِ، وَأَوْصَافِهِ وَمَرَاثِيهِ...»(2).

وجعل "الصولي" شرحه في قسمين كبيرين، انتهى القسم الأول عند قافية حرف الكاف من باب المديح، والجزء الثاني احتوى على ما تبقى من شعر "أبي تمام" في باب المديح وبقية الأغراض الأخرى. هذا هو تقسيم المخطوطة عند التحقيق.(3) لكن ثمة نسخة أخرى فيها إشارة إلى أنّ "الصولي" جعل شرحه في ثلاثة أجزاء، إذ نجد في نهاية قافية النون من باب المديح العبارة التالية: « انتهى الجزء الثاني يليه الجزء الثالث بإذن الله»(4).

(1) - ينظر : الصولي، أخبار أبي تمام، علق عليه: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت، 1980.

(2) - المرجع نفسه، المقدمة، ص5-6.

(3) - ينظر: الصولي، شرح ديوان أبي تمام، تح: خلف رشيد نعمان، الجمهورية العراقية "سلسلة التراث"، دت، ص12.

(4) - المرجع نفسه، ج3، ص461.

وفي مقدمة شرحه يشير "الصولي" إلى المنهج الذي سيسلكه في جمع شعر "أبي تمام": يقول: « وأنا مبتدئ بالمديح على قافية الألف ثم على توالي الحروف...» (1) .بدأ بباب المديح لأنه أهم الأغراض الشعرية عند "أبي تمام"، وأكثرها شهرة، وجعله مرتباً على حروف المعجم، ثم توالى بعد ذلك قصائد الديوان مرتبة حسب الغرض الشعري على النحو التالي: الهجاء، المراثي، الغزل، المعاتبات، الأوصاف، ثم الفخر، وأخيراً الزهد. (2)

وكانت غاية "الصولي" في عمله هذا في شرح شعر "أبي تمام" تهدف إلى:

- أن لا يُشدد منه حرف بعد أن نظر إلى اختلاف الناس في أبي تمام واضطراب روايتهم لشعره (3).

- ألا يغمض منه معنى حين وجد بعض العلماء يعيبونه لغموضه، وإن كان لا ينكر أن يقع منهم مثل ذلك لأنهم لم يعملوا فكرهم في فهمه. ولأن عقولهم قد درجت على قبول شعر الأوائل الذي ذل لهم لكثرة روايته لهم وروايتهم له فصار مألوفاً عندهم (4).

- أهمية شرح "الصولي" لديوان "أبي تمام":

- يُعدّ شرحه محاولة رائدة، خصوصاً إذا نظرنا إلى عدد الشروح التي ظهرت وتناولت هذا الشعر فيما بعد، كشرح "أبي حامد أحمد بن الخارزنجي" (ت384هـ). وهو مفقود، وكشرح "أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري" (ت370هـ) وهو مفقود أيضاً. ومحاولة "الأمدي" (ت370هـ) حين تناول بالشرح بعض شعر "أبي تمام" في كتابه الموازنة. وشرح "حسين بن محمد الرافعي" المعروف "بالخالع"، وهو مفقود أيضاً... وغيرها من الشروح التي

(1) - الصولي، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص166.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، فهرس المحتويات.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص55.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص14.

توسّعت في هذا الشرح، فكان لها إضافات لم يكن "الصولي" أن يصل إليها في ذلك الوقت الذي كان فيه فن الشرح في بدايته، فرست على أيديهم قواعد للتفسير والشرح والنقد وفق أصول وأسس واضحة.

- إن قرب عهد "الصولي" من عهد "أبي تمام"، هو قرب أبقى على الكثير من الأحداث لم تندثر، ولذلك تيسّر "للصولي" تفسير شعره وفق معرفته لتلك الأحداث.

- أثار شرح "الصولي" لبعض أبيات "أبي تمام" نقد الشراح المتأخرين واختلافهم معه، فنشأت من جزاء ذلك مناقشات أدبية غنية توسعت في معالجة معاني "أبي تمام" الشعرية، فمثلا هذا البيت الذي "شرحه الصولي"، سنجد أن عددا من المفسرين تناولوه بالمناقشة، يقول (*):

وَلَىٰ وَقَدِ أَلْجَمَ الْخَطِيئَةَ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبٍ

قال الصولي: «الخطي: رمح منسوب إلى الخط، (قرية بالبحرين، تحمل الرماح إلى زابل ثم تحمل إليها). يقول: من خوف الرماح لا يطيق الكلام، ولكن أحشاه تصطب. يريد: إن الفزع ربما أحدث صاحبه وتحركت أرواح بطنه. يقال هذا في رجل به أورة، إذا غضب تحركت رياح بطنه. قال الشاعر في رجل آدر:

ما زال منه الخُمقُ واللَّجاجةُ

في حاجةٍ منه وغيرِ حاجةٍ

حتى حسبناه على دجاجةٍ

وقال جرير: (**)

(*)- هذا البيت من قصيدة يمدح فيها "أبو تمام" المعتصم بالله ومطلعها: السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب. ينظر: التبريزي، ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، مج: 1، ص 66.

(**)- هذا البيت من قصيدة ينقض بها جرير رائية الفرزدق: مطلعها:

سَمَتَ لِي نَظْرَةٌ فَرَأَيْتُ بَرَقًا تَهَامِيًا فَرَجَعَنِي اِدْكَارِي =

لَهُمْ أَدْرُ تُصَوِّتُ فِي خُصَاهُمْ كَتَّصَوِّتِ الْجَلَّجِلِ فِي الْقِطَارِ

قال المرزوقي معقبا: « ذكر بعضهم (يريد الصولي) أنه ولي هذا المنهزم من خوف الرماح لا يطيق الكلام (وأتى بما ذكره الصولي إلى آخر بيت جرير) ثم قال: هذا لفظه في التفسير. ولو تأمل هذا المفسر أدنى تأمل، لكفى مؤونة هذا الغوص البعيد. والوجه أن يكون المعنى: أجمه الخوف بلجام من السكوت، لكن قلبه يجب، وأحشاه تخفق حتى صار لها كالجلبة. وهذا معلوم من الخائنين، حتى ربما يسمع صوت جوانحهم من لاقاهم على حُطى»(1)

ثم عقب ابن "المستوفي" على كلام الصولي بقوله: « لو قطع فسره عند قوله "تصطخب" أتى بالمعنى. أما الباقي فزيادة قبيحة لم يرد لها "أبو تمام" ولا دلّ عليها شعره وما استشهد به مما هُجى به نوو الأدر، فليس ذلك من الخوف، وإنما هو شيء يعتريهم من رياح تعرض لهم، وهذا أمر معروف يقع منهم في الأمن لا في الخوف»(2).

وهكذا لو تتبعنا هذه الشروح لوجدنا الكثير من التعقيبات للشرح المتأخرين التي تناولت تفسير هذا البيت.

وعلى الرغم مما امتاز به شرح "الصولي"، باعتباره أول شرح للديوان، إلا أنه ترك كثيرا من الثغرات ، كتلك القصائد التي بقيت بدون شرح، أو بعض الأبيات التي بقيت بدون إيضاح، الأمر الذي دفع بالمؤخرين من الشّراح إلى شرحها وتفسيرها. وأهم السمات التي تميز بها شرح "الصولي" ومنهجه ما يلي:

1- شرح لبعض مفردات الأبيات(3).

= ينظر: جرير، الديوان، شرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، ج2، دار المعارف، ط3، القاهرة، دت، ص854.

(1)- النظام، المستوفي، نقلا عن: الصولي، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص114.

(2)- المرجع نفسه، ص115.

(3)- ينظر: الصولي، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص186.

- 2- تفسير لبعض معاني الأبيات، وكان تفسيره لبعضها تفسيراً إجمالياً (1).
- 3- سرد لبعض الحوادث التاريخية المتعلقة بالمدوح أو بقومه وذويه. (2)
- 4- تقييم لبعض الأبيات، يقتصر على عبارات إعجاب مختصرة كقوله: « هذا حسن... وهذا مليح... وهذا أحسن كلام وأبلغه في المدح " ولكن لم يصل إلى مستوى التعليل. (3)
- 5- إشارات عابرة عن المحسنات البديعية لا تعدو الغرض التعليمي، كبيان الطباق والجناس في بعض الأبيات، دون أن يذكر أثر هذه المحسنات في الأسلوب وما تضيفه من جمال في الصياغة (4).
- وبذلك خلا هذا الشرح من توضيح القيم الفنية لشعر "أبي تمام" من ناحية صياغته ومواطن الجمال الذي تضمنته الكلمات والعبارات وألوان الخيال، وكأنّ هذه الأشياء كانت واضحة لديهم بالفطرة لا تحتاج إلى نص أو كشف.
- يقول في شرحه لمطلع القصيدة الثانية في الديوان:»
قَدْكَ اتَّيَّبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَائِي؟
 قام بتفسير الألفاظ الغريبة في البيت، فمعنى قَدْكَ: حسبك، وائتَّب: استح. قال أبو عمرو الشيباني: «أكل عندي أعرابي فقلت له: ازدد، فقال: ما طعامك بطعام توبة، أي بطعام يُستحى منه» (5).

(1) - ينظر: الصولي، شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص 171، 172.
 (2) - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص173، 269.
 (3) - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص183، 201.
 (4) - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص206، 178.
 (5) - قال هذه القصيدة في مدح "محمد بن حسان الضبي"، وكان قد مدح بها قبلاً يحيى بن ثابت ثم صيرها في مدح محمد بن حسان، ينظر: الصولي، شرح ديوان أبي تمام، ج1 ص177.

ثم ذكر بعض معاني الألفاظ الواردة في البيت مثل: أربيت: زدت، في الغلواء: في الارتفاع في عذلي، والغالي في الشيء الزائد فيه المرتفع، والسجاء: الأصحاب، والسجير: الصاحب والصديق، وقيل: هو المملوء محبة لصاحبه، والبحر المسجور المملوء. فأما الشجير بالشين فهو الغريب(1).

ثم لخص المعنى الشعري للبيت، بقوله: كم تعذلون وأنتم تحبون كما أحب، وقوله: قدك انتب أربيت،" كلام مختلف المعنى يريد به، أرفق استبح.(2)

ثم عقب ذلك برأي نقدي دعمه ببعض التفسيرات النحوية، قال: وقد عابه قوم ولم يدروا أن العرب ربما كررت الشيء تريد التوكيد، والمعنى واحد، واستشهد بقول الراجز: "مهلاً رويداً قد ملأت بطني" وهو كقولهم: اذهب، عجل، أسرع، ولا يكون هذا عندهم عيباً، فكيف يُعاب أبو تمام؟ وإنما كرر معاني مختلفة.(3)

مما سبق، نقول إن شرح "الصولي" كان شرحاً مختصراً ، لأنه كان أقرب عهداً "بأبي تمام" بالقياس إلى بقية الشراح، ومن ثم جاء شرحه أكثر فهماً وإدراكاً لمعاني الشاعر ومقاصده. ومن هذا الشرح استقى الشراح المتأخرون شروحهم منه واعتمدوا عليه، سواء في موافقتهم لما طرحه أو في مخالفتهم له.

ومن ثم اكتسب هذا الشرح دلالة تاريخية، لأنه يُمثل مرحلة تاريخية تتعلق بفن الشرح وتطورها، وكيف كان في بداياته الأولى؟ مما له أهمية بالغة للمهتمين بأساليب الشرح وتطورها عبر العصور الأدبية، وفي تطور شرح شعر "أبي تمام" خصوصاً عند تلك النخبة من الشراح. فهذا الشرح إذن يُعدُّ مُطلقاً هاماً لكشف التطور الذي مر به شعر "أبي تمام" في شروحه المتعاقبة.

(1) - ينظر: الصولي، شرح ديوان أبي تمام ، ج1، ص177.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص178.

(3) - ينظر: المرجع نفسه ، ج1، ص177-178.

هذا عن شرح "الصولي"، أما الشروح الأخرى التي وصلتنا عن حماسة "أبي تمام"، نستطيع تحديد سمات كلّ شرح، وذلك وفق مجموعة من المناهج التي شكّلت لنا مساراً في الشرح والتي يمكن أن تكون طريقاً يحتذى به في شرح الشعر عامة.

إنّ شُراح الحماسة في عملهم هذا سلكوا مناهج متعددة (1)، منها:

- المنهج الأدبي الإبداعي الفني.
- المنهج العلمي التخصصي.
- المنهج التتبعي التقويمي.
- المنهج التجميعي الانتخابي.
- المنهج الاختصاري التسهيلي.

ونحاول أن نستعرض مقومات وصفات كل منهج حسب ما ورد في شروح الحماسة:

1- المنهج الإبداعي الفني:

منهج يقوم على دعائم فنية، ومقومات أدبية وعلمية، تتآزر فيما بينها لتخدم النص الشعري وتضيء جوانبه، وتبرز سماته في أجمل صورة وعلى أكمل وجه، ويقوم أيضاً على إعمال العقل وكّد الفكر واستتطاق النصوص بما فيها وما وراءها، ويستند إلى المحصول الثقافي الواسع في علوم اللغة والأدب، كما يقوم على استغلال إمكانات اللغة والتفنن في استخراج مكامن علوم البلاغة لظهور ما يؤديه من حسن العرض، وكمال التحليل وجودة التعليل. وبجانب هذا هو منهج يستعرض الروايات ويقارنها ويختار أفضلها وأجودها وأقربها إلى مذهب الشاعر ومقصده، وفوق هذا إنّه منهج تظهر فيه ذاتية الشارح وشخصيته وملكته الأدبية وقدرته على بلورة الأفكار وتقديم التصورات الممكنة والمحتملة. (2)

(1)- ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام "دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها"، دار الأوزاعي، الدوحة، 2011، ص103. (لقد أشار أحمد جمال العمري في بحثه "شروح الشعر الجاهلي" إلى ثلاثة مناهج متوالية في شرح الشعر الجاهلي، أولها: المنهج الالتزامي النقلي، ثانيها: المنهج الأدبي الإبداعي الفني، ثالثها: المنهج التجميعي الانتخابي. ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج2، ص129.

(2)- ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج2، ص129.

ولعلّ أحسن من يمثّل هذا المنهج، "أبا علي المرزوقي":

إذ يعدّ شرحه من أهم شروح الحماسة⁽¹⁾ وأحفلها بالقضايا الأدبية والنقدية واللغوية، فضلا عن المقدمة النقدية التي صدر بها كتابه، فبفضل عبقريته ودقته في التحليل والاستنباط، نال هذا الشرح شهرة واسعة لم تتله الشروح الأخرى لديوان الحماسة. ومن أجل التعرّف على منهجه في شرحه للحماسة، نسلّط الضوء على أمرين يتّصلان بشرحه، هما شخصيته ومصادره:

فشخصية "المرزوقي" لعبت دورا هاما في المصادر التي اعتمدها في الشرح، وهي شخصية أدبية علمية لها في دنيا الأدب باع كبير، وفي مجال العلم سطوة عظمى، ولكنها إلى جانب ذلك هي شخصية موصوفة بالاعتداد والتعالي حسب ما ورد عنه من أخبار، وما تحمله تصانيفه التي وصلت إلينا، فقد ذكرت المصادر أن "الصاحب بن عباد" ذو المكانة العالية في بلاط "بني بويه"، دخل عليه ذات يوم وهو يُعلّم أبناء بويه فلم يقم له مما أدى إلى جفاء الصاحب له حين تولى الوزارة⁽²⁾.

وعليه فإنّ هذا الإعتداد في تكوينه النفسي، كان له أثر كبير في شرحه، حيث برزت لديه صفات التفرد بالآراء والاستقلال في التفكير والتعبير، وهذا أدى إلى أن يكون قليل الإفادة من شراح الحماسة الذين سبقوه، فإنّه نادرا ما يذكر الذين سبقوه في تناول شرح الحماسة، حتى المعاصرين له، أمثال "ابن جني" -وهو ممن لا يجهل مكانته- كان إذا نقل عنه لم يسمه باسمه وإنّما يشير إليه بعبارات من مثل "وقال بعضهم" أو "اختار بعضهم" أو

(1)- ينظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

(2)- ينظر: الحموي، معجم الأدياء، ج2، ص506.

وبعض المتأخرين"، أو "وقال بعض الناس" (1). يقول في بيت الأحوص بن محمد الأنصاري: (2)

إِنِّي عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتِ مُحَسَّدٌ أَنَّمِي عَلَى الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ

"وقال بعض الناس: الشَّنَان: بُغْضٌ يختلط به عداوة وسوء خُلُق، فلهذا جمع بينه وبين الْبَغْضَاء. وقال غيره: بل هما بمعنى واحد، واللفظان إذا اختلفا على اتفاق معناهما جاز الجمع بينهما تأكيدا. واحتج بقوله (3):
وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ".

كانت هذه هي العبارات التي كان يشير بها "المرزوقي" إلى أصحاب الشروح السابقة للحماسة، أما العلماء الكبار أمثال "الأصمعي" (4) و"ابن الأعرابي" (5) و"أبي عبيدة" (6) وغيرهم، فكان يسميهم باسمهم. يقول: "وسمعت أصحاب المعاني". أو: "وقال أكثر أهل اللغة...". (7) وعليه، إذا كانت صفتا الاعتداد والتعالي في شخصية "المرزوقي" قد حجبنا عنا الوقوف على شروح الحماسة التي أفاد منها، فإنهما من جهة أخرى قد كان لهما دور في عمله الذي يتصل باللغة والنحو، إذ جاء عمله فيهما دالاً على شخصيته مع اعتماده على النقل المستوعب لما قاله العلماء الأوائل، حيث يبدي رأيه فيما ينقل ويختار. ومصادر شرحه جاءت في غلبتها في مجال اللغة والنحو، فقد نقل عن "الخليل بن أحمد" في ثلاثين ومائة

(1) - ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 262، ص556، والحماسية 671، ص1082، والحماسية 170، ص366.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 54، ص162.

(3) - البيت للحطيئة في ديوانه، ص39. وصدر البيت: أَلَا حَبِّدًا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ. وينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة نأى، ص4314.

(4) - ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مثلا الحماسية 2، ص30، الحماسية 275، ص597.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 14، ص80، والحماسية 37، ص139.

(6) - ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 262، ص556، والحماسية 281، ص609.

(7) - ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 2، ص30، والحماسية 15، ص92، والحماسية 543، ص941.

موضع، وعن "الأصمعي" في واحد وخمسين موضعاً⁽¹⁾، وعن "سيبويه" في ستة وأربعين موضعاً، وعن "ابن دريد" في أربعة وثلاثين موضعاً، وعن "أبي عبيدة" في واحد وعشرين موضعاً⁽²⁾، وعن "أبي العباس المبرد" في أربعة عشر موضعاً⁽³⁾، وعن "أبي عثمان المازني" في خمسة مواضع، وعن "أبي عمرو بن العلاء" في موضعين، ومثلهما في عن "أبي العباس ثعلب".

هذا، وقد خالف "المرزوقي" سنة الشراح السابقين في شرح النص الشعري، إذ سلكوا في ذلك مسالك ثلاث: أولها: شرح الألفاظ الغريبة، ثانيها: شرح العبارات المشككة، وثالثها: توضيح المعنى الكلي نتيجة لتوضيح العنصرين السابقين . يقول أحمد جمال العمري: «... فإذا نظرنا إلى شروح الشعر عند المرزوقي نجد أن منهجه مغاير لكل من سبقوه أو عاصروه. إن أول ما يثير اهتمامه هو المعنى يريد أن يقدمه أولاً قبل أي شيء آخر»⁽⁴⁾. فالمعنى عند "المرزوقي" هو شغله الشاغل واهتمامه الأكبر، وله الصدارة والأولية في الشرح، دون أن يطغى عليه أي عامل مساعد آخر.

ولو أمعنا النظر في شرح "المرزوقي" ، لوجدناه ينهج نهجاً عكسياً يختلف كثيراً عما ألفناه لدى معظم الشراح ينتهج نهجاً تنازلياً، يبدأ من أعلى إلى أسفل، يبدأ بالكل ويتدرج إلى أن يصل إلى الجزء.

فمن خلال مقارنة بينه وبين أحد معاصريه وهو "ابن جني" سنلاحظ الفرق بينهما في طريقة الشرح، ففي شرحهما لببيت عمرو بن كلثوم:

ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٌ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ

(1) - ينظر: المرجع نفسه ، الحماسية 262، ص556.

(2) - ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، مثلاً الحماسية 258، ص544.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، مثلاً الحماسية 829، ص1287.

(4) - أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي ج2، ص132.

قال ابن جني: « وقوله: أي أموالنا ثلاثة أثلاث، فحذف المبتدأ، وحذفه أيضا فيما بعد في قوله: (فأثمان خيلنا)، أي فثلث أثمان خيلنا، أو فأثمان خيلنا ثلث كذا وكذا وكذا، وجاز أن يقدره على: ثلث اثمان خيلنا، فيبتدئ بالنكرة ويخبر بالمعرفة من حيث كان الغرض، إنما هو ثلث أموالنا من أي ناحية تناولناه، ويجوز أن نعتقد الفاء فإن ذلك كثيرا في الشعر والقرآن، فيبدل أثمان وأقوات وما نقود من ثلاثة أثلاث، أي مالنا اثمان خيلنا وأقواتنا وما نقود إلى القتل. وقال ثلاثة أثلاث ولم يقل ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد كون متساوية وغير متساوية، فأراد صحة القسمة واعتدال المساهمة»(1).

ثم كيف شرح "المرزوقي" البيت نفسه بقوله: «أراد أموالنا ثلاثة أثلاث، فيرتفع الثلاثة على أنه خبر مبتدأ محذوف، وما بعدها تفسير لها وتفصيل، ونبة بما أورد وقسم على الوجوه التي انصرفت إليها أموالهم فأفنتها، والطرق التي توزعت لها فقللتها، فقال: افترقت أموالنا فرقا ثلاثا، ففرقة منها صرفناها إلى اثمان خيلنا لأننا غزأون، ومعالجو حروب، فلا نستغي عنها، إذ كان جدنا وهزلنا منها وبها. وفرقة منها حبسناها على أقواتنا ومعاشنا، لأن العفاة والزوار كانت تتناوبا، وتتناوب عليها حتى تستغرقها، لأن إقامتنا بدار الحفاظ شغلتنا عن الغزو واجتذاب الزيادة إليها. وفرقة منها وجهناها إلى الديات، وأروش الجنايات التي كسبتها أيدينا واجترحتنا رماحنا، إذ كنا لعزبا ومنعنا لا يطمع في الاقتصاص منا»(2).

نلاحظ أن هناك فرقا كبيرا بين الشرحين (*)، فشرح "ابن جني" يغوص فيه صاحبه وراء اللغة وإعرابها، حتى لينسى فيه كل شيء حتى إحساس الشاعر.

(1) - ابن جني، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، ص 160.

(2) - المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 160، ص 341.

(*)- إن ما ذهب إليه "أحمد جمال العمري" في الموازنة بين عمل "المرزوقي" في المعنى وبين "ابن جني" بعيد جدا، لأن "المرزوقي" من أصحاب المنهج الأدبي الإبداعي الفني، و"ابن جني" منهجه علمي تخصصي، وشتان بين المنهجين في المقومات والصفات. ولو أن "العمري" وازن بين عمل "المرزوقي" في المعنى وشارح آخر يسير على=

أما شرح "المرزوقي" يُحَلِّقُ فيه صاحبه وراء المعنى، يَتَلَمَّسُ جوانبه ومضمونه، لذلك فإنَّ "المرزوقي" رجل المعاني بامتياز.

ومادام عنصر المعاني هو غايته، فكان أهمّ ما يُقدِّمه بين يدي قارئه مضمون البيت "أو تقديره" حسب تعبيره "ثم يقدمه ثانيا في صورة "المعنى" مجردا، حسب مفهومه، وحسبما أوصلته إليه وسائله العلمية والعقلية وثقافته الفنية. وأخيرا يبتكر له معاني أخرجها عقله، وانفعل بها فكره، وأنتجها خياله وإحساسه العميق بمشاعر الشاعر وظروفه.

بعد كلّ ما سلف ذكره، يمكن أن نشير إلى عمل "المرزوقي" في هذا الشرح ومنهجه فيه بأنّه اقتصر على:

1- جانب الرواية الأدبية من أهمّ جوانب شروح الشعر وأخطرها عند "المرزوقي"، إذ نجده يشغل حيزا كبيرا في شروحه، ثم إنّ كثيرا ما يجعل الرواية عاملا أساسيا في توجيه المعنى وتحديده، فصحة الشرح ودقته، وقربه من مقصد الشاعر، وحقيقة المعنى يتوقف على صحة الرواية وهي المنطلق لبقية العناصر الأخرى.

وإذا نظرنا إلى منهج "المرزوقي" في تناول الرواية، نجد بأنّه قد عنى بهذا الجانب، وتعرض له في صور متعددة، ومسلكه في ذلك أن يجعل نصب عينيه رواية أصل الحماسة ويعتمدها في الغالب، وإلى جانبها يذكر الروايات الأخرى إن كانت هناك روايات، محللا في مجال التحليل وناقدا في مجال النقد⁽¹⁾ ومفاضلا بين الروايات في مجال المفاضلة⁽²⁾.

منهجه "كأبي أحمد العسكري" مثلا لاتضح لنا قيمة عمل "المرزوقي" في المعاني، ولتبيّن لنا الصواب أو عدمه فيما ذهب إليه من أقوال.

(1)- ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 12، ص65، الحماسية 27، ص114،

(2)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 220، ص466. والحماسية 466، ص869،

2- لم يكن عرض مسائل اللّغة (1) والنحو (2) في شرح "المرزوقي" نظرياً، بل كان يهدف من وراء توظيفها إلى الاستعانة بمختلف مسائلهما في فهم النص الشعري واستكناه غوامضه، وفك مغالقه.

3- "المرزوقي" في الجانب البلاغي جهد ملموس، فقد جند ثقافته البلاغية في سبيل الكشف عما تتطوي عليه الصورة الشعرية من جمال لفظي ومعنوي، وقد تعرض خلال شرحه للحماسة لمختلف ألوان البلاغة وفنونها من بيان (3) ومعان (4) وبديع (5)، وهو لا يكتفي باللمحة الخاطفة والإشارة العابرة إلى ما في الشعر من ألوان البلاغة، كما هو الحال عند شراح الشعر السابقين عليه، بل يقف وقفة تأمل ليستشف ما وراء ذلك من أسرار جمالية .

4- حظي الجانب النقدي بملاحظات موفقة في شرح "المرزوقي"، منها المقدمة النقدية التي توج بها هذا الشرح، وهي كما قال عنها "إحسان عباس": «مقالة يعزّ نظيرها، تتمّ عن ذكاء فذّ وفكر منظم» (6).

ومن هنا كان للنقد في شرح "المرزوقي" جانبان، جانب نظري، تمثّل فيما اشتملت عليه المقدمة من قضايا نقدية (*). وجانب آخر تطبيقي (1) تجلّى فيما نجده مبنوثاً خلال شرحه لأبيات الحماسة من إشارات ولفقات تتصل بالنقد.

(1)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 145، ص306. والحماسية 258، ص544، والحماسية 10، ص54، والحماسية 18، ص98.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 5، ص40، والحماسية 157، ص335، والحماسية 280، ص606، والحماسية 14، ص77.

(3)- ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 29، ص117، والحماسية 22، ص106، والحماسية 15، ص82.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 72، ص192، والحماسية 127، ص269، والحماسية 20، ص101، والحماسية 55، ص165.

(5)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 14، ص78، والحماسية 334، ص684، والحماسية 249، ص521، والحماسية 11، ص61.

(6)- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب" نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري"، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص 398.

5- الجانب التاريخي، الذي لم ينل نصيبه الكافي في شرح "المرزوقي" للحماسة، إلا

ما ورد عندما تعرض لما يتعلق بالشعراء والشعر، من أخبار وحوادث أنساب وأيام (2).
وعليه ومن خلال كل ما ذكرنا يتّضح لنا أنّ المنهج الأدبي الإبداعي الفني، يُعدّ
منهجاً أدبياً لأنّ صاحبه جعلنا نحس، ونحن نقرأ شرحه بمتعنتين: متعة النصّ الشعري
المعالج ومتعة الأسلوب الذي يعرض فيه شرحه.

وهو منهج إبداعي، لأنّ الشارح لا يعتمد فيه على النقل والرواية وإنما على العقل
والدراية، حتّى وإن آثرنا لمحات للنقل والرواية في عمل صاحبنا، غير أنّه أثر طفيف لا
يمس إبداعه في شيء.

لذلك يعدّ منهجه منهجاً فنياً لأنّ صاحبه يوظّف علوم العربية من لغة ونحو وبلاغة
ورواية ونقد لخدمة النصوص التي يعالجها محاولاً أن يبرز من خلال ذلك ثقافته التي يظلم
بها وذاتيته الدال عليه.

2- **المنهج العلمي التخصصي:** قام هذا المنهج على صفات ومعايير تختلف في

غالبيتها عن المنهج الإبداعي الفني، يعتمد على العقل والدراية، يتعامل مع النص الشعري
وفق اهتمامات أصحابها العلمية المحضة، يثير قضايا اللغة وما فيها من اشتقاقات

(*)-تناولت مقدمة "المرزوقي" في شرحه لديوان الحماسة، مجموعة من القضايا الكبرى التي شغلت العلماء
والباحثين، وتضاربت حولها الأقوال والآراء، جمعها تحت اسم "عمود الشعر" وحدد معاييرها السبعة، وهي: شرف
المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها
على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى
لا منافرة بينهما. وجعل الإخلال بواحد منها يخل بالبناء الفني وقيمة النص الشعري. ينظر: المرزوقي، شرح ديوان
الحماسة لبي تمام، المقدمة، ص9.

(1)- ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 112، ص457، والحماسية 145، ص304،
والحماسية 398، ص778.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 206، ص447، والحماسية 44، ص149.

وتصاريف ومعضلات النحو والإعراب، فكان الأسلوب العلمي الغالب في عرض القضايا(1).

إنّ هذا المنهج سيكون مقصوراً على "ابن جني" في كتابيه "المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة" والتنبيه في شرح مشكلات الحماسة(2). وهي أعمال تدلّ على أنّ صاحبها جعل من "الحماسة" وأسماء شعرائها وأعلامها مجالاً يثير فيه كوامن العلوم التي تخصص فيها، ومعضلات اللغة والنحو التي عرف بها، إنّه الشارح الوحيد من شراح الحماسة الذي حدد في مقدمة شرحه أنه لا يكتب لعامة القراء من ذوي القدرات المبتدئة أو المتوسطة، وإنّما يكتب لخاصة الخواص من ذوي التخصص العالي، والملكات ذات القدرة المدربة على الفهم والاستيعاب، يقول في مقدمة "التنبيه": «وبعد فإن هذا الكتاب لست أعمله لمبتدئ ولا متوسط وإنّما أخطب به من قد تدرب فكره وقوي نظره، وهو الذي يغري به ويقوي حظّه منه، فأما من دون ذلك فيتجافى عنه إلى مسموع يحفظه لتخفّ عليه كلفته وجشمه»(3).

فعمل "ابن جني" في الحماسة يتمثّل في كتابين كلاهما يدلّ على منهجه التخصصي، "فالمبهج" خصّصه لشرح وتفسير أسماء شعراء الحماسة وهي "واحد وعشرون ومائتين شاعراً"(4)، و"التنبيه" خصّصه لشرح معضلات الإعراب وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف أو عروض أو قواف، استنبط مادتها من النصوص الشعرية التي حوتها حماسة أبي تمام(5). وقد صدر كلا من الكتابين بمقدمة، دالة على منهجه في الشرح.

(1) - ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص 109.

(2) - جاء هذا الكتاب في بعض النسخ: "إعراب ما استصعب من أبيات الحماسة".

(3) - ابن جني، التنبيه في شرح مشكلات الحماسة، المقدمة، ص 1.

(4) - ينظر: المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، المقدمة، ص 5.

(5) - ينظر: ابن جني، التنبيه (مرجع سابق)، المقدمة، ص 5.

يقول في مقدمة "المبهج": «... هذا تفسير أسماء شعراء الحماسة، وينبغي أن تعلم أن في ذلك علما كثيرا وتدربا نافعا [...] يجب أن يقدم أمام ذلك أحوال هذه الأسماء والأعلام وكيف طريقها؟ وعلى كم وجهها تجدها؟ وإلى كم ضربا قسمتها». ليختم قوله بـ «قد فرغنا مما كنا قدمنا ضمان تفسيره من أحوال الأعلام، ونحن نورد الأسماء المحتملة للقول من أسماء شعراء الحماسة ونقول في كل منها ما يحضرنا ويسنحه الله تعالى لنا» (1).

إنّ "ابن جني" لم يبين عن المنهج الذي سيسير عليه في هذا الكتاب، غير أنّ ما وطأ به كتابه يفيد ضمنا أنّه سيسير في شرح الأسماء وفق المقدمة التي طرح فيها أحوال أسماء الأعلام وطرائقها ووجودها وأضرب قسمتها، وأنّه لن يشرح كل اسم أو علم ورد في الحماسة، بل سيشرح من الأسماء والأعلام ما يحضره، بمعنى أنّه سوف يسجل في شرحه ما يدور بخلده ويجول في فكره مما يتيح لقارئه العلم الكثير والتدرب النافع.

أمّا في كتابه "التنبيه" فقد وضّح منهجه بوضوح، بقوله: « [...] أما في الحماسة من إعراب وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف أو عروض أو قواف، وتحاميت شرح أخبارها أو تفسير شيء من معانيها إلّا ما ينعقد بالإعراب فيجب لذلك ذكره من حيث كان قد سبق إليه جماعة من مثل أبي رياش والديمرتي وغيرهم. ولأنك كثيرا ترى في حواشي نسخ هذا الكتاب كثيرا من تفاسيره، ولم أر أحدا تعرض لعمل ما فيه من صنعة إعراب... » (2).

إذا "ابن جني" في عمله هذا لن يتناول في شرحه جميع العناصر التي يقتضيها الشرح، لأنّ هناك من سبقه إلى ذلك، وإنّما سيعمل على سدّ النقص الذي رآه في أعمال "الحماسة" وهو وما يتّصل به من اشتقاق وتصريف وعروض وقواف. وأنّه لن يتناول كل هذا في جميع أبيات الحماسة، بل في مواضع محددة .

(1) - ابن جني، المبهج (مرجع سابق)، المقدمة ص 45.

(2) - ابن جني، التنبيه، المقدمة، ص 5.

فمما عرضه "ابن جني" في عمليه، نستطيع أن نحدد منهجه فيهما في العناصر

التالية:

1- شرح أسماء الشعراء والأعلام، عقد "ابن جني" لهذا العنصر كتابا خاصا تناول

فيه نحو عشرة ومائتي علم. إذ كان يستقصي شرح العلم من جميع الجوانب ويضع الاحتمالات التي تتصل به مرتجلا كان أو منقولا، فإذا كان منقولا بحث في كنهه أهو عين أم معنى؟ وإذا كان عينا فما حقيقته هل هو اسم صفة أو غير اسم صفة. أمّا إذا كانت الأعلام مرتجلة فهو أيضا يستقصي شرحها موضحا عما إذا كانت قابلة للقياس وليس فيها خروج عنه، أو كانت مدفوعة بالقياس والعلمية هي التي سوغته فيه⁽¹⁾، وهو في جميع ما تقدّم يستعين بآراء السابقين أمثال "سيبويه" وأبي الحسن الأخفش" وأبي علي الفارسي... وغيرهم كما كان يستعين بالشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر القديم في إقرار كل ما يراه من قواعد وأحكام.

2- العروض والقوافي، تناول "ابن جني" هذا العنصر من خلال عمله العلمي في

التنبيه" وذلك وفق القضايا التي يراها في نصوص الحماسة، فإن كانت هناك قضية علمية تستدعي الوقوف في بحر البيت أو قافيته⁽²⁾ وقف عنده، وإلاّ تجاوز ذلك بالحديث عن اللغة أو الإعراب.

3- ناقش "ابن جني" الرواية في "التنبيه" غير أنّ طريقه فيها غير طريق أصحاب

المنهج الأدبي الإبداعي، ذلك أنّ الإبداعيين كانوا يناقشون الرواية من وجوه مختلفة، أمّا ابن "جني" فقد كان ينظر إلى الرواية من جهة اللغة والإعراب فقط⁽³⁾، ولا يقف عندها إلاّ إذا كانت ذات معضلة لغوية تعوز الشرح أو مشكلة إعرابية تحتاج إلى تأويل وإيضاح.

(1)- ينظر: ابن جني، المبهج، ص 64، 56، 61.

(2)- ينظر: ابن جني، التنبيه، ص 367، 411، 85.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص 57، 147، 84، 187، 50.

4- لم يتخذ "ابن جني" من اللغة والنحو وسيلة يستعين بها على تفسير الألفاظ والتراكيب بغية الوصول إلى معاني الشعر. إذ لم تكن المعاني غاية "ابن جني" إلا حين يقتضي الإعراب ذلك. كما أنه في عمله اللغوي هذا كان ينظر للألفاظ نظرة جزئية من حيث هي لفظة مفردة يقف عليها، يعالج تصريفها أو اشتقاقها مُستعرضاً ما تثيره من قضية تتصل بالقياس أو الاشتقاق⁽¹⁾، وهذا بطبيعة الحال يدفعه إلى أن يَغُضَّ النظر في أحيان كثيرة عن وضع اللفظة في النص وإيراد معانيها المحتملة وفقاً للمعنى الكلي للنص، وهو بجانب هذه النظرة كان كثيراً ما يخضع تفسيره للألفاظ والتراكيب إلى جدل منطقي.

- ومما يمكن قوله في عمله اللغوي يمكن أن يقال في عمله النحوي فقد لاحظنا فيه عدة جوانب تتصل بنظره الجزئية للإعراب ومعالجاته النحوية في نصوص الحماسة، وهذه الجوانب يمكن تلخيصها في الآتي:

أ- إثارته للقضايا ظاهرة الإشكال في مسائل الإعراب أو القضايا التي تبدو جلية، ولكنها تخفي وراءها الغامض من المسائل.⁽²⁾

ب- تتبعه الدائم للخلاف بين "سيبويه" و"أبي الحسن الأخفش" في جملة من المسائل التي خالف فيها الأخفش جمهرة النحاة.⁽³⁾

ج- إعماده الواضح على القياس في طرح المسائل الإعرابية⁽⁴⁾.

5- صرح "ابن جني" في مقدمة "التنبيه" أنه لا يعرض لمعاني الشعر إلا من خلال الإعراب، فالمعاني لم تكن همه، وهذا ظاهر في قوله: «وتحاميت شرح أخبارها أو تفسير

(1)- ينظر: المرجع نفسه، ص 191، 450، 556.

(2)- ينظر: ابن جني، التنبيه، ص 44، 22، 65.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص 36، 362.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص 25، 16، 69، 143.

شيء من معانيها إلا ما ينعقد بالإعراب»⁽¹⁾. ولهذا نادرا ما نجده يتطرق لمعاني الشعر. (2)

6- كما كانت المعاني ليست من همّ "ابن جني"، فإنّ البلاغة أيضا ليست من همّه، لأنّ الشارح يلجأ إلى البلاغة في الشرح لابرّاز جمال معاني الشعر ومرامي الشعراء في أداء العبارات ولم يكن هذا من عمل "ابن جني". بل نلاحظ أنّه إذا كان في النص لون بلاغي فإنّه ينظر إلى هذا اللون من وجهة نحوية لا من وجهة بلاغية⁽³⁾.

وتقيد بذلك في جانب النقد، إذ لم يخرج عن نطاق تلك النظرة النحوية إلى ميدان أرحب يبرز فيه جوانب الجودة والضعف في النصوص المختارة من الحماسة، فكان ينتقد الشعراء في أسلوب نحوي حين يراهم يخرجون في شعرهم عن قواعد الأعراب التي قننها النحاة⁽⁴⁾.

هذا هو عمل "ابن جني" في الحماسة، وتلك هي معالجته لعناصر الشرح فيه، وهي معالجة رهينة المنهج الذي سلكه صاحبها، وهو منهج علمي مُتخصِّص في مجالات معينة من الشرح، مجال المسائل التي تُثيرها النصوص في اللغة، وما يلحق بها من اشتقاق أو تصريف، ومجال المسائل الإعرابية وما يتّصل بها من خلاقات بين النحاة ومجال المسائل التي تتّصل بالعروض والقوافي، أو تتّصل بشذوذ التراكيب في استخدام الشعراء. ولقد كان "ابن جني" يتحرّك في هذه المجالات بأسلوب يغلب عليه الطريقة الجدلية المتأثرة أحيانا بطرق المتكلمين في التعبير، وهو أسلوب قد يثير في نفوسنا المتعة الذهنية، لكنه خال من الإثارة الوجدانية التي رأيناها عند "المرزوقي" بأسلوبه الأدبي. وربّما التقى "ابن جني" مع "المرزوقي" في الجنوح أحيانا إلى طريقة المعلمين في التعبير، غير أنّ غلبة أداء العبارات

(1) - ابن جني، مقدمة التنبيه، ص5.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص491.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص327.

(4) - ينظر: ابن جني، التنبيه، ص558.

عند الرجلين جد مختلفة، وهو أمر واضح لا يحتاج إلى دلالة يستطيع أن يدركه بوضوح كل من يقف على أسلوب الرجلين.

3- المنهج التبعي التقويمي: برز هذا المنهج عند علماء القرن الرابع وما تلاه من قرون، ويقوم على أعمال السابقين، يتتبع أعمالهم، يقف على ما فيها من أخطاء وأوهام يعرضها ويُفندها ويبين الوجه الصحيح فيها. ومن ثم فإنّ أعمال أصحاب هذا المنهج لا تقوم من تلقاء ذاتها، كما هو الحال عند أصحاب المنهجين السابقين، وإنما قيامها في التأليف رهين بأعمال السابقين، وهي بهذا تُشكّل منهجين مزوجين: منهج في إنشاء الكتب وتصنيفها، ومنهج في طريقة معالجة هذه الكتب(1).

يمتاز أصحاب هذا المنهج بالثقافة الواسعة في مختلف العلوم خاصة تلك التي تتصل بشرح الشعر، والاطلاع على الرواية وما فيها من اختلافات، وبالعلم بالأخبار التاريخية، التي تقف على أحوال الشعراء والمناسبات التي نظموا فيها شعرهم، وهم في ذلك مُستوعبون لوسائل الأداء الشعري، ومُدركون للغة وأسرارها، ومُجيدون لكل ما من شأنه أن يعينهم على النقد والتقويم.

ومن الذين اتجهوا نحو هذا المنهج "أبو هلال العسكري" (ت395هـ)، في مؤلفاته التي وصلت إلينا والتي تعدّ موسوعة في علوم الأدب والنقد والبلاغة ومنها: رسالة "ضبط مواضع من حماسة أبي تمام". والتي صنعها متتبعا رواية أحد الشيوخ لمتن الحماسة ضابطا ومقوما ما رآه من مواضع زلل فيها، يقول في مقدمة هذه الرسالة: «مرّ بي في نسخة الحماسة بخط بعض أجلاء الشيوخ، وذكر أنّه قرأها على أبي بكر الخياط (*) وأبي الحسن

(1)- ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص110.

(*)- هو أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط النحوي(320هـ)، أصله من سمرقند وقدم إلى بغداد، كان معاصرا للزجاج وناظره في النحو، وكان يخط المذهبين البصري والكوفي، له من الكتب: كتاب معاني القرآن، الموجز في النحو، والمقنع في النحو. ينظر ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأثير، ص185.

المهرياني، مواضع لم تُضَبِّطْ حقَّ الضَبِّطِ، ولم تَجْرِ على سُنَنِ العدلِ، فرأيتُ الإبانةَ عن مواقعِ الزلِّلِ منها لئلاً أُنسَبَ على الخطأ إذا رَوَيْتُ خِلافَها»(1).

هذه الرسالة تُبين لنا أن عمل "أبي هلال" فيها يقوم على ثلاثة جوانب:

1- التصحيف (*) : وهو الذي يحدث في روايات الحماسة، فيؤدي ذلك إلى فساد في المعنى. ففيه نجد "أبا هلال" يبين ما وقع فيه الشيخ صاحب النسخة من تصحيف في رواياته. وقد أفاد "أبو هلال" في هذا الجانب من شيخه "أبي أحمد العسكري" صاحب كتاب "شرح ما يقع فيه التصحيف". فهو لم يشر إليه صراحة في رسالته، إلا أنّ تلمذته تدفعنا إلى القول بأنه استفاد من شيخه في هذا الجانب بدليل ما جاء عنه في بيت قيس بن الخطيم الذي قال فيه:

إِذَا مَا شَرِبْتُ أُرْبَعًا خَطَّ مِئْزِرِي وَأَتَّبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا

قال أبو هلال فيه: « رواه هذا الشيخ "خط مئزري" بالخاء، ورواية الناس "خط"

بالخاء، قال خالد بن كلثوم (***) وأبو عمرو الشيباني: خط مئزري أي أرخاه فخط في الأرض، وكانوا يُسلبون أطراف الأرز فتخط أهدابها في التراب أي تشقه، والخط الشق قال النابغة:

أَعْلَمْتُ يَوْمَ عَكَظَ حِينَ لَقَيْتِي تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا خَطَّطْتُ غُبَارِي

(1) - ينظر: مخطوطة هذه الرسالة، ص 2.

(*) - التصحيف: هو كل تحريف ينشأ من تشابه صور الخط، أي هو تغيير نقط حرف أو أكثر، وقد ألف بعض العلماء كتب في ذلك، منها: "التنبية على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (360هـ)، و"شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لعبد الله العسكري (382هـ)"، ينظر: محمد التنوحي، المعجم المفصل في الأدب، ج1، ص254، 255.

(**) - هو خالد بن كلثوم الكوفي، لغوي ورواية لأشعار القبائل وأخبارها، كان عارفا بالأنساب والألقاب وأيام الناس، ينظر ترجمته في: أنباه الرواة: ج1، ص352.

أي ما شققتة" وهذا الكلام موجود في كتاب "أبي أحمد العسكري" المشار إليه سابقاً(1)، وقال أبو هلال عن رواية "حط" المصحفة إن حط المنزر إنزاله عن الحقو وليس ذلك مما يمدح به»(2).

إذا التصحيف في هذا المثال وقع بسبب خطأ في الإعجام، ذلك أن الكلمة إذا أسقط الإعجام في حرف من حروفها أدت إلى معنى مغاير للمعنى المراد كما وضّح في "خط" و"حط".

2- التحريف: وهو ما ينجم عنه عدة أمور، خلل في المعنى، أو خلل في الإعراب أو خلل في الوزن.

أما التحريف في الرواية، فيتضح لنا من مناقشة "أبي هلال"، إذ يقع في الضبط فيؤدي ذلك إلى فساد في المعنى أو إلى فساد في المعنى والإعراب معاً. ومن أمثلة فساد المعنى وجعله رديئاً ما جاء في قول أبي عطاء السندي:

فإنك لم تبعد على متعهدٍ بلى كل من تحت التراب بعيد

فقد رواه الشيخ صاحب النسخة "لم تبعد" بفتح العين من قولك: بعد الرجل يبعد إذا هلك. قال أبو هلال معلقاً على هذا التحريف: «وليس هذا بالجيد والجيد ها هنا فإنك لن تبعد» بضم العين من قولك بعد يبعد لقوله: «كل من تحت التراب بعيد» ولو قال: فإنك لم تبعد لم يحسن إلا أن يقول في آخر الخطاب بعد، ومن حق الصنعة أن يرد ما ابتدأ به كقولك: من اجتم سواء حق به ما اجترم ولم يحسن أن تقول حق ما اكتسب، فإنه قال لم تبعد على متعهد، ومن العادة أن يقال إنك لم تبعد عليّ لتعهدي إياك بالذكر، وليس من العادة أن يقال إنك لن تمت عليّ لتعهدي إياك بالذكر»(3).

(1)- ينظر: أحمد العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف، ص214.

(2)- أبو هلال العسكري، الرسالة، ص2.

(3)- أبو هلال العسكري، الرسالة، ص2.

3- الخطأ في نسبة الشعر إلى قائله: وفيه نرى "أبا هلال" يهتم بنسبة الشعر إلى قائله، ففي القطعة الواردة في باب الهجاء، والتي نسبتها "أبو تمام" إلى "أبي الأسد" في هجاء "الحسن ابن رجاء"، وهي من بيتين هما:

فَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَى مَنَابِرِهَا بِطَرْفِ أَخْزَرِ
مَزَلْتُ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتُ عَلَى رُكُوبِ الْمُنْبَرِ

حرّف الشيخ صاحب النسخة اسم الشاعر إلى "أبو الأسود" فقال: "أبو هلال" مصححا إيّاه: «وهو غلط إنما هو أبو السود التميمي واسمه نباتة بن حمّان، ويعرف بأبي الأسد الدينوري شاعر رشيدي، وليس بأبي الأسود الدؤلي، وذلك أنّ أبا الأسود في أيام أمير المؤمنين عليّ -عليه السلام- والحسن بن رجاء في بعض أيام بني العباس» (1).

"أبو هلال" في هذه الجوانب يعتمد في تبيان كلّ ما يطرأ على الرواية من زلل على علوم اللغة والنحو والصرف والأخبار التاريخية وعلم العروض، وعلى ثقافته الواسعة، وعلى إدراكه العميق لمعاني الشعر ومرامي الشعراء، وذوقه الخاص في فهم الشعر ومعرفة دقائق القول فيه.

هذا هو "أبو هلال العسكري" من خلال عمله في هذه الرسالة، التي تتبّع فيها رواية أحد الشيوخ بالإصلاح والتقويم مُحققاً في ذلك منهجا في التأليف ومنهجا في معالجة ما تناوله من تقويم وإصلاح. وقد كشفت لنا هذه التقويمات والإصلاحات عن ثقافة "أبي هلال" في فن الشعر، وما تقتضيه هذه الثقافة من معرفة بعلم النحو واللغة والعروض ووقوف على الأنساب والأخبار التاريخية، الأمر الذي يؤكد ما قلناه سابقا أن أصحاب هذا المنهج ذوو ثقافة عالية في جميع العلوم التي تشكل عناصر الشرح في الشعر.

4- المنهج التجميعي الانتخابي التكميلي: إذا كان المنهج التبعي التقويمي يقوم على جمع أعمال السابقين من أجل تقويمها ونقدها وتصحيح ما فيها من أخطاء، فإنّ هذا المنهج يقوم أيضا على تجميع أعمال السابقين لكن من وجهة أخرى غير النقد والتقويم والتصحيح، إنّه

(1) - أبو هلال العسكري، الرسالة ، ص21.

المنهج الذي يتّجه فيه صاحبه إلى جمع أعمال السابقين بغية أن ينتخب شرحا يحاول فيه استيفاء جميع عناصر الشرح(1).

ومن الذين سلكوا هذا المنهج "التبريزي" صاحب شرح الحماسة، والشروح الأخرى التي قام بصناعتها مثل شرح المفضليات وشرح القصائد العشر. ويعتبر "التبريزي" مبتكر هذا المنهج الذي ظلّ ينمو ويتطور مع الزمن حتى اكتمل وتجلّى عند "البغدادي" في خزنة الأدب، وخاصة في شرح الشواهد الشعرية التي جاءت في اختيار الحماسة(2).

حاول "التبريزي" أن يجمع في شرحه ما يحقق جميع العناصر المتطلبة في الشرح، ويوفق بينها توفيقا تاما، وينسق بينها بانسجام. فاعتمد على "المرزوقي" محاولا أن يكمل ما فيه من نقص من الشروح.

و جاءت محاولة "التبريزي" في تحقيق هذا المنهج من خلال العناصر التي تحقق هذا الانتخاب:

1- شرح أسماء الشعراء والأعلام: من أجل تحقيق هذا العنصر، جمع "التبريزي" أعمال رجال سبقوه في هذا المجال هم، "ابن جني"، و"أبو العلاء"، و"أبو رياش"، و"أبو هلال"، و"أبو محمد الأعرابي". كما جمع أقوال بعض العلماء الأوائل أمثال: "الأصمعي" و"أبي زيد" وغيرهما. وقد استطاع بحق أن ينتخب من هذه الأعمال والأقوال ما يحقق لهذا العنصر وجوده البارز في صنعة شرحه(3).

2- تصحيح نسبة الشعر إلى قائله: لاشكّ أنّ اضطراب النسبة في الشعر القديم بين أكثر من شاعر يشكل عقبة للدارس في هذا الشعر. ولهذا فإن عمل "التبريزي" الانتخابي في هذا

(1)- ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص111.

(2)- من ينظر إلى مقومات هذا المنهج وصفاته ثم يعرضها على عمل البغدادي في الخزنة، خاصة في النصوص التي اختارها "أبو تمام" يجد هذا المنهج كاملا ناضجا من جميع جوانبه.

(3)- ينظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 23، ص106، والحماسية 38، ص140، والحماسية 175، ص378.

العنصر له قيمته في البحث الأدبي، إذ يعرض من خلال الشروح التي وقف عليها، وشكّلت مادة شرحه آراء هؤلاء الشّراح فيما وقع فيه "أبو تمام" من وهم في نسبة الشعر إلى غير قائله(1).

3- أخبار الشعر ومناسباته: اعتنى "التبريزي" بهذا العنصر كثيرا، لأنّه كان ينساق وراء "أبي رياش" في نقولات مسهبة، حقق بها فائدة في فهم الجو الاجتماعي والنفسي الذي قيل فيه الشعر المختار في الحماسة، كما أفاد من "أبي محمد الأعرابي" في سبعة مواضع(2)، ونقل عن "أبي هلال" في موضعين(3) وكلها إفادات ساعدت على فهم الشعر وإدراك معانيه.

4- أوزان الشعر، أضربه وقوافيه: اهتم "التبريزي" بتحديد وزن الشعر في قطع الحماسة وأضربه وقوافيه، وأنه استطاع أن يحقق ذلك في جل قطع الحماسة وأنّ نحو من اثنتين وستين قطعة فقط لم تحظ بتحديد الضرب والوزن والقافية. وهو في كل هذا كان يُحدّد الضرب أولا فالبحر فالقافية، كأن يقول في صدر شرح أول بيت من كل قطعة: "الأول من الطويل والقافية من المتواتر" أو الأول من البسيط والقافية متدارك" ونحو ذلك(4).

5- الرواية: إنّ المفاضلة والاختيار هما المعيار السليم الذي يُقاس به ذكر اختلافات الرواية، وهذا ما وجدناه عند الشراح السابقين "المرزوقي" و"ابن جني"، "أبي هلال العسكري"، و"أبي محمد الأعرابي". أمّا "التبريزي"، فكان يورد أقوال هؤلاء الشراح ومناقشتهم في الرواية

(1)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 109، ص237، والحماسية192، ص414،

(2)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية50، ص168.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 29، ص120.

(4)- وفي هذا المجال لم يورد "التبريزي" قضايا تتصل بالوزن أو القافية في شيء من الشرح والتوضيح إلا في ستة مواضع: أربعة جاءت منقولة نصّا من شرح أبي العلاء المعري، وموضعان نقلهما عن المرزوقي ولم يعزه إليه.

واختيارهم لها، يرصفها جنباً إلى جنب دون أن يتدخل بالوقوف إلى صف واحد منهم بالرأي والتعليل. ف جاء عمله في هذا العنصر مجرد عرض للرواية لا أكثر ولا أقل (1).

6- شرح الألفاظ والتراكيب: ليس "التبريزي" في هذا العنصر عمل شخصي فيه، سوى أنه قد أفاد من أعمال السابقين في مجال اللغة والنحو في شرح الألفاظ والتراكيب، وإذا كان له فضل في هذا العنصر فإنه قد استطاع من خلال انتخابه أن يحقق توسعاً في الشرح اللغوي سواء في شرح الألفاظ أو التراكيب. وذلك أن هؤلاء العلماء الذين كان ينتخب من أعمالهم- ابن جني وأبي العلاء والمرزوقي وغيرهم- قد حققوا في شروحهم مناقشات مستفيضة في القضايا اللغوية والنحوية، فكان تجميع ما أثاروه في شرح واحد عملاً له قيمته من حيث استيفاء المادة المعروضة للنقاش والمساجلة من مختلف النواحي المتصلة بفروع اللغة.

ونلاحظ أنّ انتخاب "التبريزي" في القضايا اللغوية (2) كان أبرز منه في القضايا النحوية، وذلك أنه كان في جانب النحو المتصل بشرح التراكيب، (3) وما يتبعه من مسائل الإعراب يعتمد كثيراً يكاد يكون كلياً على المرزوقي، ولهذا قلّ انتخابه في مسائل النحو والإعراب.

7- المعنى: يعتبر هذا العنصر من أبرز العناصر التي عوّل فيه "التبريزي" على "المرزوقي"، ذلك أنّ "المرزوقي" كان قد اهتم بهذا العنصر اهتماماً ملحوظاً، حيث وضّح معاني الشعر وما فيها من تأويلات، كما أنه كان يعرض تلك المعاني في أسلوب أدبيّ جذاب. من هنا نجد أنّ "التبريزي"، إلى جانب تعويله على "المرزوقي" فإنّ عمله في هذا العنصر لم يخل من الانتخاب من الشروح الأخرى، وجاء ذلك في مواضع مختلفة من شرحه

(1) - ينظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 132، ص272، والحماسية 61، ص178. والحماسية 9، ص56.

(2) - ينظر: التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، الحماسية 446، ص730، والحماسية 191، ص413.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 199، ص425.

وهي مواضع دلّت على إثراء هذا العنصر بالكثير من آراء الشراح في معاني الشعر بحيث ترى في الموضوع الواحد أكثر من رأي (1).

هذا هو "التبريزي" شارح الحماسة، حاول أن يبتكر منهجا مُغايرا لسابقه في شرح الشعر، وجد شيوخه وسابقيهم قد عالجوا الحماسة في شروحهم من نواح مختلفة كُلُّ شَرِحٍ يركّز على ناحية دون الأخرى، فأراد بمنهج جديد أن يجمع بين هذه النواحي في شرح واحد أي أن يجمع شروحا في شرح، ومن ثم جاء عمله جامعا بين مناهج مختلفة، وأساليب متباينة.

5- المنهج الاختصاري التسهيلي: قام هذا المنهج وفق مجموعة من العوامل منها (2):

- اقتناع أصحابه بأن الغاية من شرح الشعر هي الوصول إلى معنى الشاعر ومقصده، وما دام الأمر كذلك فليكن الوصول إليه من أسهل الطرق وأيسر السبل.
- الاقتناع التام بأنّ الشروح السابقة التي صنعها شارحو ديوان الحماسة، قد جاءت مُسَهِّبة في تناول عناصر الشرح بل إنّ بعضها دال على ميول أصحابها نحو تخصص معين في العلوم التي تخدم الشرح، مما أدّى إلى طغيان عنصر على سائر العناصر. ثمّ إنّ جملة من تلك الشروح قد عَجّت بالآراء النحوية وما فيها من خلافات، وباللغة وقضاياها، كما امتلأت بتأويلات المعاني القريبة والبعيدة، وبالخلاف في الرواية وما يتبعها من رفض أو قبول، كما زخرت بمناسبات الشعر وأحداثه وما يتصل بذلك من أنساب وأعلام، وأمثال وأخبار. الأمر الذي دفعها نحو تصفية هذا الفيض وتنقيته وتقديمه في ثوب جديد موشى بالاختصار والإيجاز بدلا من ثوبه القديم الموشى بالإسهاب والإطناب.

إنّ هذه العوامل مُجمِعة، شكّلت لنا منهجا اعتمد اختصار المعلومات في الشرح مَسَلْكا، والتسهيل في عرضها سبيلا، إنّه المنهج الاختصاري التسهيلي، الذي يقوم على

(1)- ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 58، ص174، والحماسية 127، ص264.

(2)- ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام "دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها، ص118-119.

مقومات وصفات تختلف من حيث المادة والعرض عن سائر المناهج الأخرى، أو هو منهج يقوم على مراعاة المتلقين وقدراتهم واختلاف مشاربهم، يقدم لهم عناصر الشرح سهلة ميسرة خالية من الاستطراد، بعيدة عن التشعب والإغراب، منهج تجد فيه اللغة لكن بقدر محدود، والنحو بصورة تحقق إدراك المعنى وحسب، وتجد فيه الرواية، لكنّها في لمحات تفي بالغرض وإسقاط لكلّ ما من شأنه أن يُؤدّي إلى التطويل، نجد فيه البلاغة والنقد لكن في غير مغالاة أو إسراف. منهج اعتمد أصحابه أسلوبا ليس بالعلمي البحت، كما هو الحال عند أصحاب المنهج العلمي التخصصي، ولا بالأدبي الذي يقوم على اختيار الألفاظ والتجويد في صوغ العبارة وإحكامها، على النحو الذي نجده عند أصحاب المنهج الإبداعي الفني، إنّما هو أسلوب يختار من الألفاظ أوضحها وأبينها، يصوغ العبارات بصورة يحوطها الإيجاز، وتحكمها السهولة، ويقيدّها الوضوح(1).

ولعلّ خير ما نطبّق عليه هذا المنهج من شروح الحماسة "الشرح المنسوب إلى أبي العلاء المعري".*

لعلّ أوّل إشارة إلى الشرح المنسوب "لأبي العلاء" هو مصادره، فقد أثبتت الدراسات أن صاحبه قد أفاد من شروح سبقتّه، "كأبي رياش"، و"أبي عبد الله النمري"، و"أبي علي المرزوقي"، ومن "ابن جني" في كتابيه "النتبيه والمبهج" كما أفاد من أقوال العلماء الأوائل خاصة في مجال اللغة والنحو من أمثال "أبي عبيدة بن المثني" و"عبد الملك الأصمعي"

(1) - ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص 119.

* - إنّ صاحب هذا الشرح يعود إلى أحد علماء القرن السادس الهجري الذين تلقوا العلم على أبي منصور موهوب الجواليقي(ت539هـ)، وذلك حسب الدراسة التي قدمها "عثمان محمد علي" شروح حماسة أبي تمام " ص 81. مؤيّدًا ذلك بمجموعة من الأسباب. هذا وقد نفى "عبد الرحيم عسيلان نسبة هذا الشرح لما ذكرناه سابقًا. ينظر ذلك: في دراسته "حماسة أبي تمام وشروحها" ص138. في حين نجده مثبتًا في الشروح التي أحصاها "كارل بروكلمان"، ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص79.

و"أبي زيد الأنصاري"، "وابن جني"، كما نقل عن شيخه "أبي منصور الجواليقي" في موضع واحد فقط(1).

إنّ عناصر الشرح في هذا العمل المنسوب لأبي العلاء المعري هي كالآتي:

1- **أسماء الشعراء والأعلام:** أفاد صاحب هذا الشرح من كتاب المبهج "لابن جني" في تحقيق هذا العنصر، فكان ينقل معلوماته منه بإيجاز بالغ واختصار شديد، كان يأخذ منه ما يحقق شرح الإسم أو العلم دون مجازاة له في إسهابه واستطراداته، كقوله في شرح اسم "الفند الزماني": «الفند الشمراخ من الجبل، كان يقال له عديد الفوارس لشجاعته، واسمه شهل بن ربيعة بن زمان، جاهلي»(2). إذا فهو بهذا شرح موجز لهذا الشاعر وصفته واسمه ونسبه وعصره.

أمّا "ابن جني" فقد أسهب في شرح لقب هذا الشاعر، ذكر أنّ اسمه "شهل ابن شيبان" ثمّ وضع أنه لقب بالفند لعظم خلفته تشبيها بفند الجبل وهو قطعة منه، وبين أنّ جمع الفند أفناد، ثمّ انتقل فشرح "زمان" وبين احتمالات اشتقاقه مستطردا كعادته في الحديث عن الأعلام المختومة بألف ونون مما يجهل أصل نونه هل هي زائدة أو أصلية وهل الاسم على وزن فعلان بحكم زيادة نونه أو فعّال بحكم أصليتها، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى شهل فأطال في شرحه وبين اشتقاقه.(3)

2- **أخبار الشعراء ومناسبات الشعر:** استعان صاحب هذا الشرح في هذا العنصر بما أورده "أبو تمام" في مقدمات ما اختاره من قطع، وبالشرح التي سبقته خاصة "شرح أبي رياش" الذي كان أكثر الشراح عناية بهذا العنصر. غير أنّ صاحب الشرح كان لا يعرض الأخبار

(1)- ينظر: مخطوطة الشرح الورقة 165. نقلا عن شروح حماسة أبي تمام "دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها"، محمد عثمان علي، ص 279.

(2)- ينظر، الشرح المنسوب إلى المعري، الورقة 6.

(3)- ينظر: ابن جني، المبهج، ص 70.

والمناسبات لا كما يقرؤها في تلك الشروح، وإنما يعرضها وفق منهجه القائم على الاختصار والتسهيل (1).

3- بحور الشعر وأضرابه وقوافيه: لم يهتم صاحب هذا الشرح بهذا العنصر اهتماما تاما، فهاهو في الباب الأول من الاختيار وهو الحماسة، يوضح في جملة من قطع هذا الباب بحر الشعر فقط دون أن يذكر نوع الضرب أو نوع القافية، يقول مثلا في صدر القطعة "وقال أبو الغول الطهوي من الوافر" (2) أو "وقال الفرّار السلمي من الكامل" (3) أو "وقال محمد بن عبد الله الأزدي من الطويل وهو مخروم" (4). لكنه لم يلتزم بهذا في جميع قطع الاختيار بأبوابه العشرة، إنما ظل يذكر بحر كل قطعة حتى بداية الثلث الثالث من باب الحماسة تقريبا، ثم عدل عن ذلك، فلم يعد يُحدّد البحر في القطع الأخيرة من باب الحماسة أو الأبواب التي تلتها، وليس من تعليل في هذا المسلك.

4- الرواية: وجدت الرواية شيئا من الاهتمام في هذا الشرح، غير أنّ صاحبه كان يعالجها في اختصار واضح، فهو في أغلب الأحيان يشير إلى اختلاف الرواية دون شرح أو مفاضلة، وفي بعض الأحيان كان يتولى شرح الرواية التي يشير إليها أثناء عملية الشرح. (5)

5- شرح الألفاظ والتراكيب: حاول صاحب هذا الشرح أن يستفيد من اللغة والنحو في تحقيق هذا العنصر الذي يعدّ أهم العناصر في عملية الشرح إذ لا يتّضح معنى النص إلاّ به، غير أنّ إفادته من اللغة والنحو جاء وفق منهجه، فهو يشرح الألفاظ والتراكيب إذ رأى أنّ ظاهر النص يقضي ذلك. فإن كان النص لا يشتمل على الغريب الذي يحتاج إلى شرح أي بالمعنى

(1)- ينظر: الشرح المنسوب إلى المعري، ص 96.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 7.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص 28.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

(5)- ينظر: المرجع نفسه، ص 48، 53.

مباشرة، وربما رأى أنّ في شرح الألفاظ ما يدلُّ على المعنى فيشرح الألفاظ فقط دون أن يأتي بالمعنى. فكان يُركِّز على جانب لغوي يعرضه ويكتفي به في عملية الشرح، وأحيانا أخرى يُركِّز على لفظة نحوية يعرضها ثم لا يذكر بعدها شيئا في النص (1).

6- المعنى، فكان صاحب هذا الشرح يُعالجُه وفق مسار متّصل باللغة والنحو، فهو يعالج الألفاظ لغويا ثم يورد المعنى، وقد يطرح مسألة إعرابية يستعين بها على إيضاح المعنى، وهو حين يعرض المعاني يعرضها بعبارات سهلة غايتها أداء الغرض في غير تنميق للأسلوب أو تَخْيُر للألفاظ، فهو في أسلوبه مختلف عن أصحاب المنهج الإبداعي يتخيرون الألفاظ ويجودون سبكها في قالب أدبي رفيع، ومختلف كذلك عن أصحاب المنهج العلمي التخصصي الذين يعمدون إلى العبارات التي تدل على أسلوب علمي بحت، إنّه حين يعرض المعنى يعرضه مجردا دون اللجوء إلى عبارات إيحائية مؤثرة، فأسلوبه في عرض المعنى لا هو بالأدبي الذي يُمتّع قارئه ويؤثر في وجدانه، ولا هو بالعلمي الذي يثير الذهن ويُمتّع العقل، إنّه أسلوب أشبه بنثر البيت لا أكثر ولا أقل (2).

7- البلاغة والنقد، إنّ الشارح لم يهتم بهما، ولا حظيا منه بعناية تُذكر، فهو في مجال النقد لم نجد له سوى نقد الرواية (3). أمّا في البلاغة فقد أهمل جلّ نواحيها في ميادينها الثلاثة "البيان والمعاني والبديع"، والذي يقرأ شرحه لا يجد سوى وقفات ضئيلة تخص الاستعارة والمجاز (4)، وعمله فيهما لا يدلّ على عناية تهدف إلى تبيان أثر هذين اللونين في جودة الشعر وحسنه وإنّما يأتي الحديث عنهما عرضا أثناء الشرح كأنّ الأمر ليس من مطلبه ولا غايته.

(1)- ينظر: الشرح المنسوب إلى المعري ، ص 125، 137، 217، 219.

(2)- ينظر: المرجع نفسه ، ص 8، 28، 87، 140.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص 20، 129.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص 103، 22.

هذه هي العناصر التي قام عليها عمل هذا الشارح، وهو في أغلبه حَقَّقَ به مقومات المنهج الاختصاري التسهيلي وصفاته. إلا أنَّ المُعَابَ عليه، هو نقله عن "ابن جني" ومجاراته إياه في الاستطراد اللغوي والنحوي. وكذلك عدم إفادته من المصادر التي بحوزته إفادة تعصمه من الخطأ في تفسير الشعر. هذا فضلا عن تركه الكثير من القطع دون شرح.

تلك هي مناهج الشراح الذين شرحوا ديوان الحماسة "لأبي تمام"، وهي في مجموعها كشفت لنا عن ظواهر عامة في عملية شرح الشعر. حيث انصبَّ اهتمام بعضهم على ناحية من النواحي التي تُشكِّلُ عناصر شرح الشعر فمنهم من اهتمَّ بالغريب ومناقشته "كأبي العلاء المعري" ومنهم من قصر جهده على النحو "كأبي الفتح ابن جني"، ومنهم من وقف عند الأخبار "كأبي ريش"، ومنهم من توخى المعاني لا يتجاوزها "كأبي عبد الله التَّمْرِي" ثم كان منهم من حاول أن يجمع بين هذه العناصر جميعا في تفاوت واضح مثل "أبي علي المرزوقي".

ثم إنَّ هؤلاء الشراح الذين تصدوا لشرح الحماسة قد ساروا في طريق التحول الذي كان عند شراح الشعر عامة، وهو التحول الذي لاحظناه في نقل شرح الشعر من مقصده التثقيفي إلى مقصده التعليمي. ومن ثمَّ كانت مناهج شراح الحماسة في جملتها مناهج تعليمية تشمل دروس النحو واللغة والبلاغة والنقد والأخبار والأيام والأنساب على تفاوت في جميع ذلك، وهو تفاوت ينجم في المقام الأول عند مقدرة الشارح وحذقه في عنصر من هذه العناصر.

تلك هي حركة شرح الشعر وتطوره حتى ظهور شروح حماسة "أبي تمام"، إذ حاولنا أن نُوضح أنَّ هذه الشروح تُعدُّ جُزءًا من شرح الشعر عامة، فهي صورة منه ومُمَثِّلَةٌ له، بل إنَّ جِلَّ الذين تصدوا لشرح ديوان الحماسة لم يكتفوا بما شرحوه منها، وإتَّما أسهموا إسهامات طيِّبة في شرح كثير من الدواوين والمختارات سواء في ذلك دواوين شعر الجاهلية والإسلام ومختاراتهما أو دواوين الشعر في العصور التي تلتها.

المبحث الرابع: حماسة أبو تمام في الأندلس:

بعد أن اختار "أبو تمام" من الأشعار ما اختار، وما لاقته من الشهرة والاستحسان، أقبل الناس على قراءتها وروايتها وشرحها والاهتمام بقضاياها باعتبارها من الآثار العظيمة. من هنا أخذت الحماسة تتصدّر كل الاختيارات، وصار كل عالم حريصا على تعليمها في حلقات دروسه، يُسارع إلى شرحها وإيضاح المُستغلق منها كما يُسارع إلى شرح "سيبويه" أو إلى بعض الكتب المشهورة .

كانت هذه الحركة العلمية حول الحماسة، أول ما قامت كانت في المشرق باعتباره المهد الأول للثقافة العربية، ثم انتقلت عدوى تلك الحركة إلى البيئة الأندلسية باعتبارها مظهرا من مظاهر تلك الثقافة.

وعليه نتساءل كيف عرفت الأندلس شعر "أبي تمام"؟ أو بالأحرى كيف وصل إليهم شعره؟

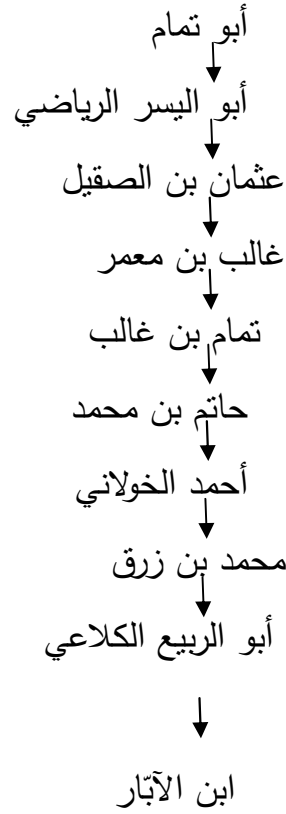
لقد عرفت الأندلس وأهلها "أبا تمام" وصار إليهم شعره، فشغلوا وتفننوا به ، ونال من الحظوة ما لم يدركه إلا "المتنبي" بعد ظهوره، ويبدو أنّ اهتمامهم به من خلال مظاهر مختلفة وفي مستويات متعددة ، منها:

1- على مستوى الرواية: نجد شعر "أبي تمام" انتشر في الأندلس عبر عدد من الطرق والروايات:

1-1- رواية الرحالة البغدادي "أبي اليسر ابراهيم بن أحمد الرياضي" الذي جاب بلاد الإسلام شرقا وغربا، وأدخل إلى إفريقية والأندلس أشعار المحدثين وأخبارهم، منها شعر "أبي تمام". (1) وقد ظلّت روايته لشعر "أبي تمام" موصولة السند حتى القرن السابع الهجري، ونجد هذا السند عند الحافظ ابن الآبار على النحو التالي (2):

(1)- ينظر: المقرّي، نفع الطيب، تح: إحسان عباس، ج3، ص134-135.

(2)- ذكر "ابن الآبار" هذا السند في ترجمته لعثمان بن الصيقل، ينظر: ابن الآبار: التكملة، تح: عبد السلام الهراس، ج3، ص171.



1-2- رواية عثمان بن المثنى المؤدب والشاعر القرطبي (ت273هـ) يقول "ابن الفرضي" في ترجمته عنه: « وَقَرَأَ عَلَى حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ: دِيْوَانَ شِعْرِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْأَنْدَلُسَ رِوَايَةً عَنْهُ»(1). وقال عنه "الزبيدي" في الطبقات: «.. رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَلَقِيَ حَبِيبَ بْنِ أَوْسٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ شِعْرَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْأَنْدَلُسَ»(2).

1-3- وثمة رواية أندلسي آخر لشعر "أبي تمام"، وهو الشاعر الفحل "مؤمن بن سعيد" الذي لقي "أبا تمام" ببغداد وأخذ عنه شعره وأدخله الأندلس، وكانت له حلقة يقرئ فيها هذا الشعر،

(1) - ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه: عزت العطار الحسيني، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص346.

(2) - الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1973، ص266.

وروايته أتمّ من رواية ابن المثنّى. إذ يبدو أنّه أدرك "أبا تمام" في آخر حياته وقد ذكر أنّه لقيه في بغداد (1).

4-1 وهناك مُؤدّبون أندلسيون آخرون ظهروا بعد هؤلاء المذكورين الذين لقوا "أبا تمام" ورووا عنه شعره مباشرة ومنهم "أبو عبد الله محمد ابن الأصغر القرشي" الذي كان له «بصر بمعاني شعر حبيب» (2)، و"أبو عبد الله الغابي" الذي «وَكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ شِعْرَ حَبِيبٍ» (3)، و"أبو العباس وليد الطبيخي" شارح شعر "أبي تمام". (4)

1-5- لقد بلغ الاهتمام بشعر "أبي تمام" غايته في عهد "عبد الرحمان الناصر" الذي كلف لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، وفي طبقات "الزبيدي"، خبر مُفصّل عن ذلك، إذ أنّ أمير المؤمنين "عبد الرحمان" أمر جماعة من الأدباء بانتساخ شعر حبيب، منهم "محمد بن أرقم"، و"موسى بن محمد الحاجب"، وتلك النسخة قديمة جمعت بين المحفوظ والمكتوب الذي كان بين يديّ أدباء الأندلس آنذاك. وكان معيار ترتيبها جودة القصائد، لا على الحروف والأغراض. وغير بعيد عن التاريخ الذي جُمعت فيه هذه النسخة، دخل "أبو علي القالي" الأندلس وأدخل معه فيما أدخل شعر "أبي تمام" في صورتين: احدهما قراطيس ذكر أنّها بخط يد "أبي تمام"، والأخرى ما قيّده "أبو علي" من شعر "أبي تمام" في سفر الكاغد الذي قرأ فيه على "أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه" (5).

إنّ ما أدخله "أبو علي" أتمّ ما دخل من شعر "أبي تمام" إلى الأندلس، لذا طغت روايته على الروايات السابقة عليها واعتمدها رواة الأندلس والمغرب، ونسخة "أبي علي" غير

(1)- ينظر: ابن سعيد، المغرب في خلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، ص132.

(2)- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص328.

(3)- المرجع نفسه، ص290.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص306.

(5)- ينظر: المرجع نفسه، ص188.

مرتبة على الحروف كذلك وقد نقل عن أصلها نسخ متعددة توجد مخطوطاتها في الإسكوريال باسبانيا والخزانة الحسنية وغيرها(1).

إنّ النسخة التي أصلها "أبو علي القالي" ووثقها بعده بمدة "ابن الإفليلي" هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها مخطوطات متعددة إلى اليوم في المغرب، وعلى أساسها وضع "الأعلم الشنتمري" شرحه(2).

2- على مستوى الإقراء والتدريس: في كتاب الطبقات أسماء جماعة من المؤدبين اشتغلوا بتدريس شعر "أبي تمام" وإقراءه في الأندلس، منهم "محمد بن عبد الله" المعروف "بابن الأصفر". و"أبو عبد الله الغابي"، قال الزبيدي «كان يُقرأ عليه شعر حبيب»(3)

ولعل أشهر حلقة قرئ فيها شعر "أبي تمام" في الأندلس قديما، هي حلقة "مؤمن بن سعيد"(ت267هـ)، وقد وصلت إلينا بعض أصداء هذه الحلقة، ويبدو أنّها لم تكن تخلو من طبيعة التنكيت وروح التندرّ الذي كان غالبا عليه. قال "ابن سعيد" في المغرب: «وقرأ عليه يوما أحد المتعلمين قول حبيب:

أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِي خَاتَمِي فِيهَا وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثًا

فقال له: «من سرور هذه أصلحك الله؟ فقال: هي امرأة حبيب، وقد رأيتها ببغداد»(4). هكذا كانت حلقات الإقراء لشعر "أبي تمام" في مساجد قرطبة وإشبيلية وغيرها، ومن هذه الحلقات كان يتخرّج الشعراء والكتاب والأدباء والعلماء.

بعد "مؤمن بن سعيد"، نجد حلقة "أبي علي القالي" الذي أقرأ شعر "أبي تمام" في جامع مدينة الزهراء الملكية. وحمل هذه الرواية "أبو القاسم أحمد بن أبان" ثم تلقّتها "أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف "بابن الإفليلي". فنشر سندها بواسطة تلاميذه، وكلّهم

(1) - ينظر: محمد بن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المشاركة والمغاربة، ص17.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص290.

(4) - أبو الحسن علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص132.

ظهروا في عصر الطوائف، أشهرهم "الأعلم الشنتمري"، أكبر شارح أندلسي، وصاحب أوسع حلقة أدبية في مملكة "بني عبّاد". ويذكر بعض تلاميذه بخصوص تدريسه "الشعرين"، أنه كان يستمر في إقراء شعر "أبي تمام" في رمضان ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب (1). ونظير "الأعلم" في ذلك "أبو مروان عبد الملك بن سراج" الذي قال فيه ابن بسام: «لم ير مثله قبله ولا يرى بعده» (2).

وثالث الفرسان من تلاميذ "الإفليلي" "أبو بكر خازم ابن محمد بن خازم القرطبي، فقد كان « وافر الأدب ، وله تصرف في اللغة وقول الشعر". وكان زميله أبو مروان ابن سراج المذكور آنفا يتكلم فيه ويضعفه، ولكن هذا لم يمنع الناس من الرواية عنه والسماع منه» (3)، وممن روى عنه شعر أبي تمام أبو الحسن علي ابن حنين القرطبي مستوطن فاس الذي بنى بها مسجدًا ودرّس فيه ستًا وستين سنة، وقد استمر سند روايته عن شيخه خازم عن ابن الإفليلي مرويًا حتى القرن الحادي عشر الهجري.

3- على مستوى الشرح: من الطبيعي أن تؤدي حركة رواية شعر "أبي تمام" وتدرسه إلى وضع شروح عليه، ولعلّ أقدمها هو شرح "أبي العباس وليد الطبيخي" (ت352هـ)، الذي وصل إلينا شرحه لشعر "مسلم بن الوليد"، وللأسف ضاع شرحه لشعر "أبي تمام". وهو شرح أخذه عنه الناس، كما يقول "ابن الفرضي". (4)

إذا كان شرح "الطبيخي" لشعر "أبي تمام" مفقودًا، فإنّ ما بقي من شرحه لشعر "مسلم بن الوليد" على الأقل يعطينا فكرة عن طريقته في الشرح، وهي طريقة تتميز ببسط المعنى

(1) - ينظر: محمد بن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المشاركة والمغاربة، 21.

(2) - ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، مج1، ص 811. وينظر: ترجمته في انباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، ج2، ص207.

(3) - محمد بن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المشاركة والمغاربة، 22.

(4) - ينظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه: عزت العطار الحسيني، ج2، ص159.

وتقريبه إلى مختلف المستويات، وتلك أيضا كانت طريقته في الإقراء والتدريس يقول الزبيدي: « وكان بصيراَ بمعاني الشعر، حسن التلقين لم يتبدل فهمه عنها، وكان يُقربها ويضرب الأمثال فيها، حتى عُرفَ بذلك» (1). وما هذا إلا دليل على مهارة في الطريقة وتمكّن في المادة.

وهناك شرح آخر لشعر "أبي تمام"، وذلك في القرن الخامس الهجري، "للأعلم الشنتمري"، المعروف بشروحه المتعددة لعدد من المتون الشعرية والأدبية والنحوية، قال عنه القفطي: « وكان حافظا للأشعار قائما عليها، عظيمُ السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتنبي، كثير العناية بهما خاصة» (2).

لقد ذكر "الأعلم" شرحه لشعر "أبي تمام" عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته. وقد روى "القاضي عياض" هذا الشرح عن "أبي الحسن علي بن الأخضر الإشبيلي" تلميذ "الأعلم". وذكر من مروياته عنه في فهرسته المعروفة "بالغنية". لكن على ما يبدو أنّ هذا الشرح لم يشتهر وينتشر مثل بقية شروح "الأعلم". وقد وقف عليه "الخطيب التبريزي" معددا مصادره في شرح شعر أبي تمام ما نصّه: « وما وقع إليّ مما روي عن أبي علي المعروف بأبي القالي وغيره من شيوخ المغرب» (3).

وقراءة على هذا الشرح، نجد أنّ "الأعلم" قصد فيه على ما يبدو إلى تقريب شعر "أبي تمام" من عامة الطلاب ولهذا اقتصر على شرح الأبيات بأوجز عبارة، والاختصار هو السمة الغالبة عليه، فهو يخلو تماما من الشواهد التي يلجأ إليها في شروحه الأخرى، كما يخلو شرحه من ذكر الروايات وسرد الأقوال على نحو ما نجده في شرح شواهد الكتاب، وطريقته هذه أشار إليها "الأعلم" في المقدمة، كما أنّنا نجده أنه يشير في شرح الصّبا من ديوان

(1) - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 329

(2) - القفطي، انباه الرواة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 4، ص 65.

(3) - التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ج 1، دار المعارف، ط 4، القاهرة، 1951، المقدمة، ص 2.

المتنبي إلى بعض الشراح الذين سبقوه ، إلا أنه في شرحه هذا لا يذكر أحدا من شراح "أبي تمام" قبله كالطبيخي أو الصولي مثلا.

وفي أواخر القرن الخامس قام الأديب "البطليوسي محمد بن رزق الله الأموي" باختصار شرح "الطبيخي" يقول "ابن الآبار" عن هذا الاختصار: «وله في شرح شعر حبيب بن أوس الطبيخي اختصاراً أفاد به وأضاف إليه من غيره ما دلّ على مكانه من النباهة رحمه الله»⁽¹⁾. وقد قال عنه "ابن عبد الملك المراكشي" «واختصر شرح الطبيخي شعر حبيب اختصاراً حسناً، وأضاف إليه فوائد شهدت بنبه وسعة معرفته»⁽²⁾.

يستفاد من كل هذا الكلام أنّ شرح "الطبيخي" كان مطوّلاً، وأنّ شرح "ابن رزق الله" جمع بين شرح "الطبيخي" وشروح غيره، وقد يكون المقصود بها شرح "الصولي" وشرح "الأعلم" وغيرها.

ومما قدّمنا يظهر لنا بجلاء التأثير الذي تركه "أبو تمام" في الحياة الأدبية بالأندلس ، سواء كان ذلك بواسطة شعره أولاً وحماسته ثانياً.

(1) - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر للطباعة للنشر، بيروت، 1995، ص340.

(2) - محمد بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس وآخرون، مج:4، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ص216.

الفصل الثاني: منهج الأعلام الشنتمري في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام

المبحث الأول: الأعلام الشنتمري في ظلّ دولة بني عباد ملوك إشبيلية

1- اسمه وكنيته، نسبه ومولده.

2- ثقافته .

3- شيوخه .

4- تلاميذه.

5- آثاره.

6- وفاته.

المبحث الثاني: منهج "الأعلام" في شرح الشعر

1- دوافع الشرح وأهميته.

1-1- الاتجاه العام للشرح.

1-2- منهج "الأعلام الشنتمري في الشرح

2- وصف كتاب الحماسة الأعلمية:

2-1- المتن

2-2- الشرح.

المبحث الثالث: عناصر الشرح عند الأعلام في شرحه حماسة أبي تمام:

1- ترتيب الموضوعات.

2- عبارة الاستهلال (التعريف بالشعراء)

3- افتتاح الشرح بكلمة يقول

4- علوم اللغة في شرح الأعلام

4-1 - شرح الكلمات الغامضة

4-2- شرح الأسماء المختلفة

5- الاقتصاد في استعمال المعاني

- 6- العروض والقوافي
- 7- الشواهد في شرح الأعلم
- 7-1- القرآن الكريم
- 7-2- الحديث النبوي الشريف
- 7-3- الشعر
- 7-4- النثر
- 8- الرواية في شرح الأعلم الشنتمري .
- 9- النحو في شرح الأعلم الشنتمري.
- 10- علوم البلاغة في شرح الأعلم الشنتمري.
- أهمية شرح الأعلم لديوان الحماسة.
- موازنة بين "الأعلم" لديوان الحماسة وبعض الشروح الأخرى كشرح "المرزوقي" وشرح "التبريزي".

الفصل الثاني: منهج "الأعلام الشنتمري" في شرح ديوان الحماسة "لأبي تمام":

كانت عجلة شرح الشعر مستمرة، فكان اللآحق يعتمد على السابق ويتجاوزه ويحاول التفوق عليه، هذا ما حدث بالفعل مع شراح حماسة "أبي تمام"، كل واحد منهم لديه طريقة خاصة في الشرح، فمثلا طريقة "ابن جني" تختلف عن "طريقة" المرزوقي"، وطريقة "المرزوقي" تختلف عن طريقة "أبي هلال العسكري" وهكذا دواليك. وهذا بالتأكيد يعود إلى اعتماد كل منهم على جانب معين من جوانب الشرح، فهذا يعتمد علوم اللغة، والآخر على الرواية، والآخر يميل إلى النقد والبلاغة، والآخر يجمع كل هذه الجوانب. الأمر الذي أدى إلى الإسهاب، ومن ثم ميل أصحابها نحو تخصص معين في العلوم التي تخدم الشرح، مما أدى إلى طغيان عنصر على سائر العناصر. فكان الشرح عند هؤلاء أشبه بثوب مُرَصَّع لا يَسُرُّ الناظرين، الأمر الذي أدى إلى التنقية والتنقية وإعطاء بديلٍ مُوسَمٍ بالاختصار والإيجاز بدل الإسهاب والإطناب. إنّه " المنهج الاختصاري التسهيلي"، وخير من يمثله "الأعلام الشنتمري".

ولعلّ التعرّف على الشنتمري يُقرّبُ القارئ من منهجه في الشرح، لذا نعرض سيرة موجزة له.

المبحث الأول: الأعلام الشنتمري في ظل دولة بني عباد ملوك إشبيلية:

1- اسمه وكنيته، نسبه ومولده:

هو "يوسف بن سليمان بن عيسى، أبو الحجاج"، وقد سمّته بعض المصادر "يوسف بن عيسى" (1). لُقّب بالأعلم (*)، لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقا واسعا (1**). ولم

(1) - ينظر: ابن بشكوال، الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، مج:2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2008، ص313.

(*) - هناك عالم أندلسي آخر يدعى بهذا اللقب، وهو "أبو اسحاق ابراهيم البطلوسي" (ت637هـ)، ينظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، دار المعارف، ط4، القاهرة، دت، ص369. له ترجمة في البغية، ج1، ص422. يقول "السيوطي": " ويعرف بالأعلم، وليس بالأعلم المشهور، فذاك اسمه يوسف أديب شاعر، أخذ النحو عن الأستاذ هُنَيْل، ويرع فيه. قرأ عليه أبو الحسن علي بن سعيد. وله تصانيف منها=

تذكر المصادر إن كان ذلك خلقه أو واقعا بسبب حادث معين أصابه في فترة من فترات حياته.

أُطلق لقب "الأعلم" عليه، عندما استقر في اشبيلية، حيث صار له بها شأن مرموق، وربما كان أفراد البيت العبادي هم الذين نبزوه بذلك، كما كانوا يصنعون مع غيره من العلماء، فما هو ذا "المعتضد العبادي"، قد لُقّب "أحمد بن سعيد بن عبد البر الأنصاري" زرقون"، وذلك لحمرة شديدة كانت في وجهه. (2)

ولد "الأعلم" سنة أربع مئة وعشرة (3)، في مدينة شنتمرية. و"الشنتمري" كان نسبة إلى مسقط رأسه شنتمرية (*) الغرب» وهي مدينة من مدن أكشبونة، وهي أتقن حصون بنبلونة تقع على معظم البحر الأعظم، فيما بين شلب واشبيلية من مغرب الأندلس، بها دار لصناعة الأساطير وشنتمرية الغرب **Santa Maria De Algarve**، تسمى اليوم

=الجمع بين الصحاح للجوهري، والغريب المصنّف، وتاريخ بطليوس. كان صعب الخلق، يطيرُ الذباب فيغضب، وأما من تبسّم من أدنى حركاته، فلا بدّ أن يُضرب. توفي سنة اثنتين - وقيل ست - وأربعين وستمائة. ومن شعره:

يَا جَمُصُ لَا زِلْتُ دَارًا لِكُلِّ بؤْسٍ وَسَاخَةٍ
مَا فِيكَ مَوْضِعَ رَاحَةٍ إِلَّا وَمَا فِيهِ رَاحَةٌ

(**) -يقابل هذا اللقب، لقب "الأفّح"، وهو من كان في شفته السفلى شقّ (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فلح، ص 3459).

(2) - ينظر: عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج4، ص23.

(3) - ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص2848.

(*) - وردت "شنتمرية" في معجم البلدان، مج3، ص367. بـ" شنت مريّة: بفتح الميم، وكسر الراء، وتشديد الياء، ويراد به مريم بلغة الإفرنج: وهو حصن من أعمال شنتبرية، وبها كنيسة عظيمة عندهم، ذكر أن فيها سوارى فضة ولم ير الراؤون مثلها، وقد قال عنها أبو محمد عبد الله بن السيد البطليموسي النحوي:

تَنَكَّرْتُ لَنَا الدُّنْيَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ وَحَقَّتْ بِنَا مِنْ مُعْضَلِ الْخَطْبِ أَلْوَانُ
أَنَاخْتُ بِنَا فِي أَرْضِ شَنْتِ مَرِيَّةِ هَوَاجِسَ ظَنِّ خَانَ، وَالظَّنُّ خَوَانُ
رَحَلْنَا سَوَامَ الحُمُرِ عَنْهَا لغيرها فَلَا مَاؤَهَا صَدَى وَلَا الذَّبْتُ سَعْدَانُ

فارو (Faro) (*1)، وتقع في المنطقة الجنوبية من البرتغال حكمها بنو هارون وأخذها منهم المعتضد بن عباد» (2).

2- ثقافته:

تلقى "الأعلم" مبادئ اللغة والأدب في مسقط رأسه، إذ درج في تعلمه على طريقة أهل الأندلس، إلى أن حصل من المعرفة على ما يؤهله إلى الهجرة إلى مدينة أعظم منها وأهم، وهي قرطبة وكان ذلك سنة ثلاث وثلاثين وأربع مائة. وعمره يقارب أربعة وعشرين عاما (3).

إلا أنّ إقامته بقرطبة لم تدم طويلا، إذ نجهل الفترة التي قضاها بهذه المدينة. رغم الهدوء الذي كانت تتعم به في تلك الفترة تحت ظلال "بني جهور". فرحل إلى إشبيلية قبل سنة أربعين وأربع مئة، والتحق ببلاط "المعتضد بن عباد" (***) والذي كان في أوج تألقه، فعني بالأدب وأهله. وكانت مكانته بين ملوك وأمراء شبه الجزيرة عظيمة لا تضاهي. وقد

(*-) أشار ليفي برونسال في دائرة المعارف الإسلامية (مادة شنتمرية)، أنّ اسم فارو هو كل ما بقي من بني هارون، شاهدا على مجد المدينة أيام تلك الأسرة، ومن أجل ذلك كان بعضهم يسميها شنتمرية بني هارون، لتكون في مقابل شنتمرية بني رزين. ينظر: ابن بسام، الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج3، ص336.

(2-) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، ص395.

(3-) ينظر الأعلام الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1994، ص11-12.

(***)- دولة بني عباد: تأسست هذه الدولة بعد انقراض الخلافة الأموية في الأندلس، إذ تكوّنت ممالك صغيرة يعرف عهدها بعهد ملوك الطوائف، إذ استبدّ كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات، فنشأت بينهم حروب دامية، أسفرت عن بقاء أربع ممالك رئيسية، منها مملكة "بني عباد" في إشبيلية والتي كانت أقواها، وكان "بنو عباد" أبعد ملوك الطوائف أثرا في النهضة العلمية والأدبية وحفظ التراث الفكري والحضارة العربية في الأندلس. وقد قال عنها "المقرّي" في معرض حديثه عن ملوك الطوائف "ومن أشهرهم بنو عباد ملوك إشبيلية وغرب الأندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق". ينظر: المقرّي، نفع الطيب، تح: إحسان عباس، ج1، ص438.

اختصه "المعتضد بالله" بتدريس ولده ، وكذلك فعل ابنه "المعتمد". فكان يزف إليهما ما جاد به ذهنه من مشاريع علمية مشروعاً مشروعاً. (1)

بعد وفاة "المعتضد"، كان "الأعلم" قد استوى على غارب الشهرة، وصار فحل اشبيلية، والمرجع المُرْتَكَن عليه في كثير من المسائل العلمية. الأمر الذي عاد عليه بالإجهاد والتعب خاصة على مستوى البصر، والذي كان يعوقه عن مواصلة التأليف، فانصرف بذلك إلى العناية بتلاميذه الذين كانوا يتكاثرون على حلقات دروسه باستمرار، الذي كان لا يضاويه في ذلك أحد، يقول عنه "ابن بسام عن عبد الجليل بن وهبون" أنه كان قد وفد على اشبيلية « مُنتحلاً للطلب، وقد شدا طرفاً من الأدب، وكان الأستاذ "أبو الحجاج الأعلام" يومئذ زعيم البلد وأستاذ ولد المعتمد، فعول عليه في رحلته وانقطع إليه بتفصيله وجملته» (2).

لكن، في الفترة الأخيرة من حياة "الأعلم" لا نجد نشاطاً علمياً هاماً حبره بيده، شأن ما قام بتأليفه أيام المعتضد ما عدا بعض الرسائل أو الردود المعدودة، منها، مثلاً: المسألة الرشيدية، المسألة الزنبورية، رد على ابن سراج... إلخ.

ومن مظاهر الزعامة العلمية التي كان قد حظي بها "الأعلم"، ما ورد من سؤال المعتمد له مرة عن الفرق بين المسهب والمسهب، حيث كان قد كتب إليه: «سألك -أبقاك الله- الوزير الكاتب أبو عمرو ابن غطمش، سلمه الله، عن "المُسهب"، وزعم أنك تقول بالفتح والكسر، والذي ذكره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" والزبيدي في "مختصر العين" أسهب الرجل فهو مُسهب، إذ أكثر الكلام، بالفتح خاصة. فبين لي -أبقاك الله تعالى- ما تعتقد فيه، وإلى أي كتاب تسند القولين ، لأقف على صحة من ذلك» (3) .

(1) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، تح: علي المفضل حمودان، مج1، دار الفكر العربي، بيروت، 1992، ص13.

(2) - ابن بسام، الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، مج2، ص474.

(3) - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، مج4، ص77.

إذا في كنف "المعتمد" وأبنائه الأمراء، أحسّ "الأعلم" بأنه قد حقق مُناه وساهم في بناء صرح المعرفة بالإمارة، ووصل إلى كثير مما كان يطمح إليه في هجرته. وها هو ذا يُدلي بشهادته على الحُطوة الشديدة التي كان يتلقاها من "المعتمد" بقوله(1):

يا من تَمَلَّكَنِي بالقول والعمل ومُبْلِغِي في الذي أَمَلْتَه أُمْلِي
كيف الثناء وقد أعجزتني نعمًا ما لي بشكري عليها الدهر من قبل
رفعت للجدِ أعلامًا مُشَهَّرَةً فبائِكَ الدهر منها عامرُ السُّبُلِ
وهكذا أمضى "الأعلم" ما بقي من حياته في كنف آل عباد في اشبيلية.

كان هذا ما وصلنا خبره عن ثقافة "الأعلم" ومركزه من علوم العربية في تلك الفترة من التاريخ الفكري، فإنّ ما يمكن أن نتوقعه من تمام ثقافته تؤهله للثناء الذي سنجده في كتبه وللاحترام الذي جعله مؤثلاً للفتوى في اللغة والأدب والنحو على السواء.

3-شيوخه:

لا نعرف شيئاً عن دراسة "الأعلم" في مراحل حياته الأولى قبل سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وهي السنة التي رحل فيها إلى قرطبة، وكانّ مدينة شنتمرية عجزت عن إشباع طموحه ، يقول محقق حماسة أبي تمام: «ومهما يكن من أمر فإنّ الأعلم قد رحل إلى قرطبة في عهد ابن جهور، لإشباع نهمه المتعطش للعلم، وهو ما عجزت شنتمرية الغرب أن تمد به»(2).

كذلك لا نعرف أحداً من شيوخه الذين تلمذ عليهم في تلك الفترة، وقد اقتصرنا المصادر على ذكر ثلاثة من شيوخه الذين درس عليهم في قرطبة الأشعار واللغة والنحو وأنساب العرب وأخبارها، وذلك في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري، "وأخذ عن أبي

(1) - ينظر: المقرئ، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، ج4، ص75.

(2) - الأعلم، شرح ديوان أبي تمام، تح: ابراهيم نادن، ص42.

القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي ، وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب" (1) وهؤلاء الشيوخ هم:

1- أبو بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي الأديب(ت433هـ). روى عن أبي عمرو الحباب النحوي، وأبي محمد بن أسد وأبي القاسم عبد الرحمان بن أبي زيد المصري. له دراية بعلم العربية واللغة ورواية الشعر وكتب الأدب.

حضر "الأعلم" فيما يبدو بعض حلقات هذا الشيخ، بمجرد وصوله إلى قرطبة، فقرأ عليه جميع كتاب سيبويه وشيئا من كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة ، مجيزا إياه بباقيه وبعض الدواوين الشعرية كديوان الحطيئة.(2)

2- أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكرياء، المعروف بابن الافليلي(ت441هـ). نسبة إلى الإفليل وهي قرية بالشام، من أهل قرطبة، من أئمة اللغة والنحو، له معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر وشرح ديوان المتنبي شرحا جيدا.

روى عن جملة من الشيوخ، أمثال: أستاذه أبي بكر محمد بن حسن الزبيدي عددا من كتبه ، وكتب شيخه أبي علي القالي البغدادي وكتب غيره، وروى عن أبي عمر أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن أبي الحباب.

أخذ "الأعلم" عن شيخه هذا جملة من المعارف وروى عددا من الكتب والمصنفات التي اختلفت اتجاهاتها العلمية، مما كان يتقنه الشيخ في باب اللغة والنحو والشعر والأخبار. وكان أخذه عنه يتمّ بأساليب مختلفة وكيفيات متعددة، فأحيانا عن طريق السماع أو عن طريق الإجازة.فما رواه عنه كتاب "الغريب المصنف"، لأبي عبيد القاسم بن سلام" وكتاب الألفاظ "لابن السكيت"، والغالب أنه أخذ عنه كتاب البيان والتبيين "للجاحظ". وأخذ عنه أدب الكاتب والكامل "للمبرد" وقد قرأ عليه كتاب الفصيح "لأبي العباس ثعلب" ونوادر "أبي علي

(1) - ينظر: ابن بشكوال، الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، مج2، ص313.

(2) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، تح: علي المفضل حمودان، ص23.

القالبي "زيادة على شعري" أبي تمام وأبي الطيب" وقد خالط قلبه واستحوذا على ذهنه بسببه، فكان لهما صدى طيب في أعماله العلمية التي أنجزها. (1)

3- أبو سهل يونس بن أحمد بن يونس بن عيسون الجذامي، المعروف بابن الحراني (ت442هـ). من أهل قرطبة، كان حافظا للغة، خاصة أشعار الجاهليين ، عارفا بالعروض وأوزان الشعر وعلله .

قرأ "الأعلم" عليه كثيرا من التصانيف وعددا من الدواوين الجاهلية، ومن جملة تلك التصانيف كتاب " الأمثال للقاسم بن سلام" وإصلاح المنطق وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وأدب الكاتب والفصيح ونوادر القالبي. (2)

وكثيراً ما لا يشير "الأعلم" إلى آراء شيخه هذا فيما شرح، وألاً ينقل عنه بعض الأقوال فيما ألف، وكذلك الأمر بالنسبة للسابقين . وحسب اعتقادنا أن ذلك راجع إلى شعور "الأعلم" بأن آراء شيوخه واهية أو عادية لا تنطوي على جديد أو اجتهاد حتى يستأنس بها، ويُذكر من أجلها، ولكنها عادة منهجية دأب عليها "الأعلم" في تأليفه. (3)

لم تكن علاقة "الأعلم" بشيوخه مقتصرة على الأخذ والتلقي، بل زادت على ذلك، فقد ساعد شيخه "ابن الإفليلي" على شرح شعر "المتنبي" (4)، يقول ابن خير: « وحدثني به أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة رحمه الله، قال: حدثني به أبو الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الأعلم رحمه الله قراءة عليه، قال حدثني به أبو القاسم ابراهيم بن

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، تح: علي المفضل حمودان ، ص24-25.

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، ص26.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص27.

(4) - ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ص2848. وينظر أيضا: الصفدي، نكت الهميان، ص314.

محمد بن الإفليبي قراءة مني عليه»⁽¹⁾ وهذا أمر يُبيّن مدى قدرة أبي "الحجاج" وتمكّنه من اللغة والشعر .

وهكذا فإن معرفتنا بهؤلاء الشيوخ ومروياتهم نكون قد وقفنا على المعالم الكبرى لثقافة "الأعلم" ومكوناتها.

هذا وقد صيّرت هذه المنابع الثرة (الشيخ) "أبو الحجاج" إمام نحاة زمانه، وصارت الرحلة إليه في زمانه، لأته كان « عالما بالعربية واللغة، واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيّد الضبط كثير العناية بهذا الشأن»⁽²⁾ الأمر الذي دعا "المعتضد بن عبّاد" إلى اختياره مؤدّباً لولده، وكذلك فعل ابنه "المعتمد" الذي كان يوجه إليه الأسئلة فيما يعنّ له من أمور اللغة.

لم ينفرد "أبو الحجاج" بهذا الفضل، فقد كان معاصراً للأستاذ "أبي مروان ابن سراج" (ت489هـ)، وكان بينهما من الخصومة « ما يكون بين فحلين في هجمة، وزعيمين في أمة»⁽³⁾ ويتجلّى ذلك في استنقاص "ابن سراج" الأعلّم حين ألف رسالته الرشيدية. وهكذا اشتهر "الأعلم" بالنحوي مرة، وأخرى بالأديب، وبالأستاذ حيناً، وبالفقيه تارة، وكلّها تعنى أنّه كان واسع المعرفة، وكلّها أيضاً نعوت تكشف عن مكانة "الأعلم" المرموقة في مجال المعرفة وطول باعه بين علماء زمانه.

4- تلاميذه:

شُغل "أبو الحجاج" بالتدريس وأمضى فيه جزءاً كبيراً من حياته، قرابة خمس وعشرين سنة، وقد اختصه آل عباد بتدريس أولادهم، فكان أستاذاً لولد "المعتضد بالله" ومن بعده "المعتمد على الله".⁽¹⁾

(1) - ابن خير الإشبيلي، الفهرسة، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص362.

(2) - الصفدي، نكت الهميان، في نكت العميان، ص313.

(3) - ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج2، ص474.

انثال على حلقات تدريسه، عدد هائل من التلاميذ الذين اختلفت أصقاعهم وتباينت مشاربهم ومستوياتهم الاجتماعية، فقد كان عالماً بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، فعلا صيته وشاع ذكره وكثر تلاميذه، فكانت الرحلة إليه في وقته وأخذ عنه "أبو علي الغساني" وآخرين.(2)

لقد ذكرت المصادر عددا كبيرا من هؤلاء التلاميذ الذين درسوا عليه أو رروا عنه مؤلفاته أو مروياته عن شيوخه، وهم(3):

- أبو عبد الله بن أبي العافية النحوي المقرئ(ت509هـ)، كان من أهل المعرفة، أخذ عنه الناس اللغة والأدب ، وكان يؤم بجامع اشبيلية .
- أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن محمد بن مهدي بن عمران التنوخي، المعروف بابن الأخضر(ت514هـ). نحوي وأستاذ مشهور، من كبار علماء اشبيلية المبرزين.
- أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون (ت520هـ). شاعر مشهور ومترسل، بارع عالم بالخبر، كان من أهل يابرة ، وقد عول من بين ملوك الطوائف على "المتوكل بن المظفر بن الأفتس" صاحب بطليوس وغيرها. وكان يكتب له ورحل إلى المعتمد وكأته لم يجد لديه قبولا .وهو صاحب الرائية المشهورة في رثاء بني الأفتس.
- أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله المالقي، المعروف بابن الطراوة، من أهل مالقة،ت(528هـ).أستاذ نحوي مشهور وأديب متمكن وأحد المعتنين بكتاب سيبويه.
- عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى الزهري الشنترني(ت530هـ).

(1) - ينظر: ابن بسام الشنترني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج2، ص474.
 (2) - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص81.
 (3)- ينظر: الأعلام، تحصيل عين الذهب، ص13-14. وينظر أيضا: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام،تح: على المفضل حمودان، ص29-32.

- أبو بكر محمد بن ابراهيم بن غالب بن عبد الغافر العامري (ت532هـ)، الذي روى عن أبي الحجاج مؤلفاته ومروياته عن شيوخه. كان من أهل شلب، اشتهر بسعة الأدب وحسن السمات والصلاح وأسندت إليه الخطبة بشلب فترة طويلة من الزمن.

- أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن عبد الله ابن فندلة (ت533هـ). اشبيليّ أصله من مرتيلة يُدعى بالوزير، كان أديبا لغويا شاعرا فصيحاً، صحب الأعلام كثيرا واختص به وروى عنه "ابن خير" عددا من مصنفات الأعلام وغيرها.

- أبو الوليد اسماعيل بن عيسى بن حجاج اللخمي (ت534هـ)، الذي روى عنه كثيرا من مؤلفاته ومروياته عن شيوخه. وزير عالم من أهل إشبيلية، كان عمدة ابن خير في كثير من مروياته، واختص "بالأعلام" وأكثر النقل عنه في جلّ مروياته.

- أبو محمد عبد الجليل بن وهبون، أصله من مرسية، شاعر مشهور مقدّم. ذاعت صيته في غرب الأندلس، وكان قد وفد على اشبيلية « منتحلا للطلب وكان الأستاذ أبو الحجاج يومئذ زعيم البلد، وأستاذ ولد المعتمد فعول عليه في رحلته وانقطع إليه بتفصيله وجملته»⁽¹⁾. فحفظ له الودّ ورثاه عند موته بالقصيدة

العصماء. أولها:

سَبَقَ الفَنَاءَ فَمَا يَدُومُ بَقَاءُ تَفَنَّى النُّجُومُ وَتَسْقُطُ البَيْضَاءُ

بقي "ابن وهبون" في اشبيلية بعد موت أستاذه هذا بنحو أربع سنوات، إذ أنّه في سنة

480هـ خرج منها قاصدا مرسية مسقط رأسه فخرجت عليه خيلٌ من خيول النصارى فمات

شهيدا.

بالإضافة إلى هؤلاء هناك تلاميذ آخرون ورد ذكرهم في مواضع عديدة⁽²⁾، وكلهم

اشتهروا بالفضل والأدب والنباهة، منهم: أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني

(1) - ابن بسام، الذخيرة، ج2، ص474.

(2) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص32. و الأعلام، تحصيل عين الذهب، ص13.

الجَيَّاني(ت498هـ)، وأبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي كاتب الدولة للمتونة، المعروف بابن القصيرة(ت508هـ). أبو عامر محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة(ت511هـ)، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي(ت533هـ)، وعبد المجيد بن عبد الله بن عبد ربّه الفهري(ت527هـ)...وغيرهم كثير ممّن يطول إحصاؤهم، إلى جانب عددٍ من أبناء المعتمد ، وكان "عبيد الله بن المعتمد" الملقّب بالرشيد على رأسهم.(1)

5- آثاره:

في ظلال دولة بني "المعتضد" ألف "الأعلم" الكثير من الكتب، والتي بسببها عَظُم شأنه وعلت مكانته، وبفضلها أصبح مذكورا بين أقران عصره. إذ قضى حوالي خمسة عشرة سنة في الكتابة والتأليف ولم يتوقف عن ذلك، بالرغم من أنّ التدريس كان قد استحوذ على نشاطه العلمي آنذاك. وكان الطابع العام الغالب عليها الاقتضاب والاختصار ، وتكاد تلفها الضرورة الملحة في معرفة الرأي القاطع مما له علاقة بجملة من المسائل المستعصية. ومن تلك المسائل ما كان يأتي نتيجة استفسارات كانت تعتمل في نفس من ارتبط به ثقافيا، من تلميذ أو صديق، أو تصطبغ بموقف الدفاع عن شرعة التوجّه والرغبة في ردع الخصم(2). إذا كانت الفترة التي قضاها "الأعلم" في اشبيلية من أغنى الفترات العلمية في حياته، التي اتّسمت بالعتاء والخصب، إذ قدّم عددا من المشاريع العلمية الهامة ، وذلك لتؤكد وجوده الفكري في إمارة شابة ناهضة متطلعة.

نقول أنّ "الأعلم" خلف عددا من الآثار، التي ألمّت بموضوعات مختلفة من نحو ولغة وأدب حتى شرح الشعر القديم. لكن ما وصل إلينا من هذه الآثار ما يلي:

1- شرح شواهد كتاب سيبويه، وسمّاه "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، وقد صحّفه ابن خير الإشبيلي إلى "عيون الزهد في شرح أبيات كتاب

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص32.

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، ص34.

سيبويه"، وقد طبع هذا الكتاب على هامش كتاب سيبويه في مطبعة بولاق عام 1316هـ. (1)

قدّم "الأعلم" هذا الكتاب إلى "المعتضد" سنة 457هـ بعد أن قضى في إعداده سنة أو نحوها. وزعم في المقدمة أنّ فكرة تأليفه نابعة عن الأمير العبادي، وأنه لم يكن سوى منفذ لها. ثم بعد ذلك أخذ في تناول الشاهد الشعري وفق تسلسله في الكتاب، مشيراً أحيانا إلى الخلاف بين النسخ التي كان يستعملها ذاكرا قائله إن استطاع. موردا وجه الاستشهاد به، شارحا معناه في أسلوب واضح يفى بالمقصود متجاوزا كل تكرار ولغو. (2)

2- شرح الأشعار الستة الجاهليين: أودع "الأعلم" في مقدمة هذا الشرح تفسير الستة من أشعار العرب. والأشعار التي شرحها هي أشعار: امرئ القيس، النابغة الذبياني، علقمة بن عبدة الفحل، زهير بن أبي سلمى، طرفة بن العبد، عنتر بن شداد. وقد طبعت شروح دواوين هؤلاء الشعراء منفردة. (3)

كتاب نال من عناية الدارسين في مختلف العصور ما لم ينله كتاب آخر، فدرسوه متنا وشرحا ونسخا واستيعابا، وعدوه من كتب المجالس، وتواردوا على إصابة بغيتهم من مادته واستظهارها. فنقلوه في أسفارهم، كما تنقل التحف، فشرّق صيته بسبب ذلك وغرّب. كتاب قدّمه إلى "المعتمد بن عباد" الذي قال عنه بأنه خير مثال للشاعر الأندلسي ولحماة أدب المهذبين" يقول الأعلم في تقديم كتابه إليه: «...ولما صحّ لي من ذلك ما أمّلته، وظفرت منه بما رجوته وتمنيته، سميته باسم من شهد أهل العصر بسموه وتقديمه وأجمعت الجماعة على تعظيمه وتكريمه...الظافر أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله، أدام الله علاءهما وفي درج العز ارتقاءهما»(4).

(1) - ينظر: الأعلم، تحصيل عين الذهب، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ص14.

(2) - ينظر: الأعلم، شرح حماسة أبي تمام، ص36.

(3) - ينظر: الأعلم، تحصيل عين الذهب، (مرجع سابق)، ص15.

(4) - الأعلم، مقدمة كتاب أشعار الشعراء الستة الجاهليين.

3- الفرق بين المُسَهَّب والمُسَهَّب، وهو جواب "الأعلم" عن سؤال وجَّهه إليه "المعتمد بن عبّاد"، بيّن فيه "أبو الحجاج" الفرق بين المُسَهَّب والمُسَهَّب، وقد أورد "المقري" هذا الجواب. (1)

4- المسألة الزنبورية، وهي إجابة "الأعلم" عن سؤال وجَّهه إليه بعض الأدباء عن المسألة الزنبورية، التي جرت بين "سيبويه" و"الكسائي" أو "الفراء"، والقضاء بينهم فيها. وعن نسب "سيبويه" وسبب لزومه "الخليل" بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير، وعن كتابه الجاري بين الناس. وقد ذكر "المقري" جواب أبي الحجاج في كتابه نفع الطيب. (2)

5- شرح كتاب سيبويه: وسماه في مقدمة هذا الشرح كتاب "النكت في تفسير الخفي من كتاب سيبويه". وسمي في صدر النسخة الوحيدة التي وصلت إلينا "كتاب النكت في تفسير على كتاب سيبويه رحمه الله وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبها". (3)

يُعتَبَر هذا الكتاب أول ما ألف "الأعلم"، وهو بعدُ مقيمٌ في قرطبة، وذلك سنة 440هـ. وفي بدايته يحدد الأهداف العلمية، وفي مقدمتها الرغبة في مساعدة المتعلّمين على قراءة "سيبويه" من المتوسطين وأشباههم. كما يتناول فيه بالإيضاح كلُّ ما هو غامض، أصاب المادة النحوية أو الأدبية الكامنة في شواهد أو أسلوبه، وما التوى منه، واستعمل استعمالاً خاصاً، مُتَّبِعاً سبيل الإيجاز والتلخيص ممن تقدّمه مازجا بين المادة النحوية والأدبية في تمثّل شَيْقٍ دَأَبٍ عليه في كثير من مؤلفاته. (4)

صُدِر هذا الكتاب عن معهد المخطوطات العربية في الكويت، عام 1987. (5)

(1) - ينظر: المقري، نفع الطيب، تح: إحسان عباس، ج4، ص77.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص79-86.

(3) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص34.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص35.

(5) - ينظر: الأعلام، تحصيل عين الذهب، ص15.

6- شرح **جمل الزجاجة**، لم يشر الأندلسيون فيما وُجِدَ في مصنفاتهم أنّ "الأعلم" قد شرح هذا الكتاب، لكنه نُسِبَ إليه في بعض المصادر. (1)

7- شرح **شعر أبي تمام**، وسماه في مقدمة هذا الكتاب "تأليف في شعر أبي تمام". ولقد أشار إليه القاضي عياض وغيره، وهو شرح اعتمد فيه "الأعلم" على صنعة لأشعار الطائي، كان قد حققها من مختلف المصادر (2).

8- شرح **قصائد الصّبا في شعر أبي الطيّب المتبّي**، وسمّاه عدد من العلماء (3) "شرح أبي الطيّب" على الإطلاق. واعتبر من الشروح الأندلسية الهامة في أشعار هذا الشاعر المشهور.

9- **المسألة الرشيدية**، أملاها خصيصاً لتلميذه النبيه "عبيد الله بن المعتمد" الملقّب بالرشيد، وكان يتولى القضاء لأبيه وكان أحبّ أبناء المعتمد إلى نفسه. وهذه المسألة تدور فيما يبدو حول اشتقاق اسم الله عز وجل وقد سماها ابن خير الاشبيلي "المسألة الرشيد". وقد أملى "الأعلم" هذه الرسالة في نهاية حياته. وأنّ معاصره "أبا مروان بن سراج كان قد تعقّب في بعض عبارات تحميداتها " ونسب إليه الكُفْرَ " فأجابه برسالة فريدة وهو في مرضه، وأشار في تحميده إلى تخطئة ذلك المتعقّب وتقنيده". (4)

10- **كتاب المخترع**، وقد سمّاه "الأعلم" بـ"المخترع في إذاعة سرائر النحو"، وقد ذكره ابن خير الاشبيلي باسم "المخترع في النحو". (5)

11- هناك كتب أخرى على شكل أجزاء في بعض العلوم منها: (6)

(1) - ينظر مثلاً: الحموي، إرشاد الأريب، ج6، ص2848. ، والقفطي، انباه الرواة، ج4، ص66.

(2) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، (المقدمة) ص93-97.

(3) - ينظر مثلاً: الحموي، إرشاد الأريب، ج6(مرجع سابق)، ص2848.، والقفطي، انباه الرواة، ج4، ص66.

(4) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص39.

(5) - ينظر: ابن خير، الفهرسة، ص315.

(6) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص38.

- جزء فيه معرفة حروف المعجم.

- جزء فيه معرفة الأنواع.

- جزء فيه مختصر الأنواع.

كان هذا كلّ ما وصل إلينا عن آثار "الأعلم"، ولم تصل إلينا أعمال تشير إلى موهبته الأدبية وقدرته على تصريف فني الشعر والنثر.

6- وفاته:

كفّ بصر "الأعلم" في آخر عمره⁽¹⁾، وقد قيل في سبب عماء: "أنه سُئِلَ عن وجه منع اعتبار محل اسم إنّ في النعت قبل استكمال الخبر دون غيره من التوابع. فقال وجه المنع عند الجمهور في النعت أن الغرض منه بيان المنعوت ليصح الإخبار فحقّه أن يكون قبل الخبر، فإن جاء بعده فعلى نية التقديم والتأخير، والحمل على الموضع لا يكون إلا بعد تمام الكلام" ⁽²⁾. فتكلف "الأعلم" الجواب مما كان سببا لنزول الماء في عينه لأنه كان أرمداً فعمي.

وفي يوم الجمعة 25 شوال من عام 476هـ زاره أحد تلاميذه وهو "أبو الحسن ابن شريح" وهو دامع العينين، ليحمل إليه نبأ وفاة أبيه العالم "عبد الله محمد بن شريح"، فخفق قلب الشيخ الواهن الذي أضناه المرض لذلك الخبر. وانتحب وبكى إذ كانا كالأخوين محبة وودادا، واعتزته حال عصبية تلمّ بالفضلاء أحيانا. ودُكِرَ أنّ مكوثه في الحياة لم يتأخر بعد ذلك الراحل أكثر من شهر واحد، فكان الأمر كذلك حيث توفي في آخر ذي القعدة من سنة 476هـ، بمدينة اشبيلية في الأندلس (*).

(1) - ينظر: ابن بشكوال، الصلة، مج2، ص313.

(2) - الصفدي، نكت الهميان، الهامش رقم 1 ص314.

(*)-لقد ذكرت بعض المراجع، خاصة المشرقية منها، تواريخ أخرى متقدمة أو متأخرة عما دُكِرَ عن وفاة الأعلام، فذكر الفيروز أبادي في البلغة، أنه توفي في سنة 446هـ، وفي شذرات الذهب ج3، ص403، إنّه توفي في 495هـ، وذكر الياضي في مرآة الجنان ج3، ص59 أن وفاته في سنة 496هـ. ولعل كل هذا أو معظمه كان سببه تصحيف سبعين إلى أربعين أو تسعين.

وقد رثاه تلميذه المخلص الشاعر "عبد الجليل بن وهبون المرسي" بقصيدة غراء جلي

فيها عن حبه لأستاذه، وهذه أبيات مختارات منها (1):

سَبَقَ الْفَنَاءُ فَمَا يَدَوْمُ بَقَاءُ	تَفَنَى النَجْوَمُ وَتَسْقُطُ الْبِيضَاءُ
كَذَبَتْ حَيَاةَ الْمَرْءِ عِنْدَ وُجُودِهَا	وَجِدَ الْحَمَامُ وَمِنْهُ كَانَ الدَّاءُ
جِبِلٌّ تَقْوُضُ لَوْ تَشَخَّصَ عَظْمُهُ	لَتَوَاصَتِ الْغِبْرَاءُ وَالْخُضْرَاءُ
مَاتَ ابْنُ عَيْسَى مَنْ يَقُولُ بِهِ عَسَى	شَفَقًا وَلَيْسَ مَعَ الْحَمَامِ رَجَاءُ
شَهَرُوا سِلَاحَ الدَّمْعِ خَلْفَ سَرِيرِهِ	إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْبَاتِرَاتِ غِنَاءُ
رُحْنَا بِهِ بَلْ بِالسِّيَادَةِ وَالْعُلَا	وَالشَّمْسِ نَجْمٍ وَالنَّهَارِ مَسَاءُ
نَطَأَ الْقُلُوبَ عَلَى سِوَاءِ سَبِيلِهِ	فَالسَّيْرُ مَهْلٌ وَالْعِشَارُ وِلَاءُ
يَا تُرْبَةُ اسْتَبْقِي سِنَاهُ، وَيَا فَلَا	لَا تَلْحَقَنَّكَ جَرِيمَةٌ شَنْعَاءُ
أَبْنِيهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ شَرَعٌ بِهِ	وَعَلَى الْمُصَابِ بِفَقْدِهِ شِرْكَاءُ
يَا زَائِرِيهِ تَكْحَلُوا بِصَعِيدِهِ	كُحْلُ الْبَصَائِرِ تَلْكُمُ الْبُوغَاءُ
فَسَمَّ الْأَنَامُ تَرَاثَ عِلْمِكَ فَاسْتَوَى	فِي نَيْلِهِ الْبُغْدَاءُ وَالْقُرْبَاءُ
كُنَّا عَبِيدَكَ فِي اعْتِقَادِ نَفُوسِنَا	إِذْ فِي اعْتِقَادِكَ أَنَّنَا أَبْنَاءُ
وَبَكَيْتَ عَلَيْكَ الشَّمْسُ حَقَّ بُكَائِهَا	أَنْ كَانَ قَدْ تَتَّفَاقَدُ النُّظْرَاءُ
خُذْهَا غَلَالَةً خَاطِرٍ دَلَّهَتْهُ	مَنْ حَيْثُ يَنْشُطُ جَاءَهُ الْإِعْيَاءُ
قَامَتْ تُنَاوِحُ فِيكَ كُلَّ قَصِيدَةٍ	تَقَفَّتْ هِيَ وَقَنَاتُهَا زُورَاءُ

المبحث الثاني: منهج "الأعلام الشنتمري" في شرح الشعر:

1- دوافع الشرح وأهميته:

من خلال الشروح التي وصلت إلينا عن "الأعلام الشنتمري"، نستطيع أن نرسم صورة

واضحة لمنهجه في الشرح، ودواعي التأليف، وذلك من خلال بعض مقدمات كتبه، منها:

(1) - ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ج2، ص478-483.

1- مقدمة تحصيل عين الذهب: يقول الأعلام: « هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه وتهذيبه وتلخيصه المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو بن عباد بن محمد ... أمر باستخراج شواهد كتاب سيبويه وتلخيصها منه، وجمّعها في كتاب يخصّها ويفصلها عنه، مع تلخيص معانيها، وتقريب مراميها، وتسهيل مطالعها ومراقبها، وجلاء ما غمض وخفي منها من وجوه الاستشهادات فيها ، ليقرّب على الطالب تناوّل جملتها، ويسهّل عليه حصر عامّتها، ... وألفته على رتبة وقوع الشواهد، وأسندت كلّ شاهد منها إلى بابه أولاً، ثم إلى شاعره إن كان معلوماً آخر، ولم أطل فيه إطالةً تُملُّ الطالب المتلمس للحقيقة، ولا قصرتُ تقصيراً يُخلُّ عنده بالفائدة»(1).

إذا من خلال هذه المقدمة تظهر لنا خطة "الأعلم" في شرح الأبيات وبيان الشاهد النحوي فيها، ومثالنا على ذلك قوله في شرح الشاهد وهو بيت لجرير(2):

إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقدّ أبي اليتيم

استشهد به على تأنيث تعرقتنا فعل بعض، لإضافته إلى السنين، ولأنه أراد به سنة، فكأنه قال: إذا سنة من السنين تعرقتنا، عنى بالبيت هشام بن عبد الملك، فيقول: إذا أصابتنا سنة جذبّ نذهب المال قام للأيتام مقام آبائهم، لأنه ذكر الأيتام أولاً، لكنه أفرّد حملاً على المعنى، لأنّ الأيتام هنا اسم جنس، فواحدّها ينوبُ مناب جمّعها، وجمّعها ينوبُ مناب واحدّها، فمعنى كفى الأيتام فقدّ أبي اليتيم ومعنى كفى اليتيم فقدّ أبيه واحدٌ، ومعنى تعرقتنا أذهبت أموالنا، وأصله من تعرقت العظم إذا أذهبت ما عليه من اللحم(3).

لقد سلك "الأعلم الشنتمري" في شرح شواهد كتاب "سيبويه" النهج التالي:

- نسب الشاهد إلى بابه.

- ثم ذكر قائله إن كان معلوماً.

(1) - الأعلام، كتاب تحصيل عين الذهب، تح: زهير عبد المحسن سلطان، (المقدمة)، ص 29-30.

(2) - ينظر: جرير، الديوان، ص 45.

(3) - ينظر: الأعلام، تحصيل عين الذهب (مرجع سابق)، ص 30

- ثم ذكر موضع الشاهد في البيت.

- ومن ثم شرح المعنى العام للبيت، ومعاني المفردات.

تلك كانت بعض الأمثلة من شرح "الأعلم" لشواهد كتاب سيبويه ، وهي تظهر ميله إلى النحو ، وسعة علمه بلغة العرب، ومعاني الشعراء وأخبارهم، مع مهارة في التحليل والتعليل.

2-مقدمة شرح الأشعار الستة: وهذا أثر آخر من الآثار التي خلفها "الأعلم الشنتمري"، وقدّم له بمقدمة بالغة الأهمية، تحدّث فيها عن اللسان العربي وأهله وعن الشعر والغرض منه، وعن موضوع كتابه، والداعي إلى تأليفه وعن الرواية التي اعتمدها، وعن الدواوين التي شرحها: وهي ديوان: "امرئ القيس"، "عنترة بن شداد"، "النابغة الذبياني"، "طرفة بن العبد"، "زهير بن أبي سلمى"، و"علقم بن الفحل"، كما تكلم عن طريقته في الشرح، والجوانب التي قصد إلى تبيانها، وعلّل اختياره بأنّه أراد أن يجمع من أشعار العرب ديوانا يعين على التصرف في جملة المنظوم والمنثور "فهدفه من البداية تعليمي، يقصد به على تربية الناشئة على طريقة تعينهم على الإجابة في التعبير وفهم تراث العرب. ثم علّل اقتصاره على ما شرح" وأن أقتصر منها على القليل، إذ كان شعر العرب كلّه متشابه الأغراض متجانس المعاني والألفاظ". وأضاف إلى ذلك أنّه انتقى من "الشعر ما أجمع الرواة على تفضيله، وأثر الناس استعماله على غيره، وأضاف أنّه اختار أصح الروايات. ثم بينّ طريقته في الشرح منتقدا شروحا اطلّع عليها وعاب تشاغل أصحابها بجلب الروايات دون الاهتمام بشرح المعاني والألفاظ، وقال أنّ فائدة الشعر معرفة لغته ومعناه، وهو لا يزال يرسم في ذهنه أحسن ما يقدم للطالب وأنجع ما يفيد، يقول: "وشرحت جميع ذلك شرحا يقتضي تفسير جميع غريبه، وتبين معانيه وما غمض من إعرابه، ولم أطل في ذلك إطالة تخل بالفائدة، وتمل الطالب المتلمس للحقيقة، فإنّي رأيت أكثر من ألف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوا عن كشف المعاني وتبيين الأغراض بجلب الروايات، والتوقيف على الاختلافات، والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة، حتى إنّ كتبهم خالية من

أكثر المعاني المحتاج إليها، ومشملة على الألفاظ والرواية المستغنى عنها، وفائدة الشعر معرفة لغته ومعناه،... وقد فسرت جميع ما تضمنه هذا الكتاب تفسيراً لا يسع الطالب جهله ويتبين للناظر المنصف فضله»(1).

من هذه المقدمة يضع لنا "الأعلم" ستة ملامح رئيسية تنظم شرحه:

- 1- الاهتمام بجلاء وتوضيح معنى اللفظ الغامض على طلابه وقارئيه وهذا يستدعي "تفسير جميع غريبه".
- 2- إدراك جوانب المعنى وفهمه، فاخترق حاجز اللفظ يؤدي إلى الإحاطة به.
- 3- الاهتمام بالغامض من الإعراب.
- 4- الإيجاز من دون إخلال أو إملا في النقاط السالفة الذكر. فلا يريد الإسراف في الروايات والتوقف عند الخلافات، وتقصي معاني الغريب.
- 5- التناسب بين هدفي فائدة الشعر " معرفة لغته و معرفة معناه"، إذ لن يكون للفظ وقضاياه الغلبة، ولن يكون الانصراف إلى المعنى من دون أن يدرك حدود اللفظ ودوره وأثره.
- 6- إنَّ شرح "الأعلم" لن يكون للطالب فقط، بل فيه حاجة للمبتدئ بحيث لا يسع الطالب جهله" وهو في الوقت نفسه محل للناظر المنصف حيث يتبين فضل هذه القصائد.

ومن أمثلته قوله في شرح قول امرئ القيس(2):

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعْرَعْرَا

يقول: "سما لك الشوق أي ارتفع وذهب بك كل مذهب، لبعد الأحبة عنك بعد ما كان أقصر عنك وكف بقرب من تحب دنوه منك. وقو وعرعر موضعان. يقول: حل قومها بهذين الموضعين المتباعدين عن ديارك، واشتد لذلك شوقك وتضاعف حزنك".

إنَّ هذا المثال لشرح الغريب، وشرح المعاني، يوجز ويؤدي المعنى ويكتفي عن

فضول الكلام.

(1) - امرؤ القيس، الديوان، شرحه حسن السندوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 05.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

3- الفرق بين المُسَهَّب والمُسَهَّب، وهو جواب "الأعلم" عن سؤال وجهه إليه "المعتمد بن عباد"، بيّن فيه "أبو الحجاج" الفرق بين المُسَهَّب والمُسَهَّب، وقد أورد "المقري" نص السؤال والجواب، يقول: (1)

"سألك-أبقاك الله- الوزير الكاتب أبو عمرو ابن غطمش، سلّمه الله، عن "المُسَهَّب"، وزعم أنك تقول بالفتح والكسر، والذي ذكره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" والزبيدي في "مختصر العين" أسهَب الرجلُ فهو مُسَهَّب، إذ أكثر الكلام، بالفتح خاصة. فبيّن لي -أبقاك الله تعالى- ما تعتقد فيه، وإلى أيّ كتاب تسند القولين ، لأقف على صحة من ذلك".

فأجابه: وصل إليّ- أدام الله تعالى توفيك- هذا السؤال العزيز، ووقف على ما تضمنه، والذي ذكرته من قول ابن قتيبة والزبيدي في الكتابين موضوع كما ذكرته، والذي أحفظه وأعتقده أنّ المسهب بالفتح المكثّر في غير صواب، وأن المسهب بالكسر البليغ المكثّر من الصواب، إلّا أنّي لا أسند ذلك على كتاب بعينه، ولكني أذكره عن أبي علي البغدادي من كتاب "البارع" أو غيره، معلقاً في عدة نسخ من كتاب "البيان والتبيين" على بيت في صدره لمكي بن سودة وهو:

حَصِرَ مُسَهَّبٌ جَرِيءٌ جَبَانٌ خَيْرٌ عِيَّ الرَّجَالِ عِيَّ السُّكُوتِ
والمعلقة: " تقول العرب: أسهب الرجل فهو مُسَهَّبٌ وأحصن فهو مُحْصَنٌ وألْفَجٌ فهو مُفْلَجٌ، إذا افتقر، قال الخليل: يقال رجل مُسَهَّبٌ ومُسَهَّبٌ، قال أبو علي: أسهب الرجل فهو مُسَهَّبٌ بالفتح إذا أكثر في غير صواب، واسهب فهو مُسَهَّبٌ بالكسر إذا أكثر وأصاب، قال أبو عبيدة: أسهب الرجل فهو مُسَهَّبٌ إذا أكثر من خرف وتلف ذهن، وقال أبو عبيدة عن الأصمعي: أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف وأهتر، فإن أكثر من الخطأ قيل: أفند فهو مُفْنَدٌ " ، انتهت المعلقة. فرأيت مملوكك- أيدك الله تعالى- واعتقاده أن المُسَهَّب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن، ولا المكثّر المصيب، ألا ترى إلى قول الشاعر "حصر

(1) - ينظر: المقري، نفح الطيب، تح: إحسان عباس، ج4، ص77.

مسهب" أنه قرن فيه المسهب بالحصرِ وذمه بالصفتين، وجعل المسهب أحقَّ بالعيِّ من الساكت والحصر: فقال:

خَيْرُ عِيِّ الرِّجَالِ عِيُّ السُّكُوتِ

والدليل على أنّ المُسْهَبَ بالكسر يقال للبلّغ المكثّر من الصواب أنّهم يقولون للجواد من الخيل مُسْهَبٌ بالكسر خاصة لأنّها بمعنى الإجادة والإحسان، وليس قول "ابن قتيبة" و"الزبيدي" في المُسْهَبِ بالفتح هو المكثّر من الكلام بموجب أنّ المكثّر هو البلّغ المصيب، لأنّ الإكثار من الكلام داخل في معنى الذم، لأنه من الثرثرة والهذر، ألا تراهم قالوا: رجل مِكَثَّر، كما قالوا: ثرثار، ومهذار، وقال الشاعر:

فَلَا تُمَارُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْثَارِ

فهذا ما عندي، والله تعالى الموفّق للصواب.

قال الأعلام: ثمّ نظمتُ السؤالَ العزيز والجواب المذكور ، فقلت:

سَـلَامُ الإِلهِ وَرَبِّـحَانُهُ	عَلَى الْمَلِكِ الْمَجْتَبَى الْمُنْتَخَلِ
أَتَانِي سَوَالُكَ أَغْزَرُ بِهِ	سَوَالِ مَبْرَ عَلِيٍّ مِنْ سَأَلِ
يَسْأَلُ عَنْ حَالَتِي مُسْهَبٌ	وَمُسْهَبٌ الْمُبْتَلى بِالْعَلَلِ
لَمْ اخْتَلَفَا فِي بِنَائِيهِمَا	وَحَكْمُهُمَا وَاحِدٌ فِي فَعَلِ
أَتَى ذَا عَلَى مُفْعَلٍ لَمْ يُعَلِّ	وَذَاكَ عَلَى مُفْعَلٍ قَدْ أُعَلِّ
فَقَلْتُ مَقَالاً عَلَى صَدَقِهِ	شَهِيدٌ مِنَ الْعَقْلِ لَا يَسْتَزَلُّ

وعليه، ومما سبق ذكره من نماذج، وغيرها كثير، نستطيع أن نحدد عدّة أمور تتصل

بشرح "الأعلم":

أولها: الاتجاه العام للشرح.

وثانيها: منهجه في الشرح.

1-1: الاتجاه العام للشرح:

أمّا عن الأمر الأوّل، فالرجل من خلال ما أُلّف تظهر لنا سعة اطلاعه وعلمه، مع التركيز على تبليغ المعنى المراد، وطول النفس في التحليل والحرص على أن تكون التعابير

موفية للمعاني المقصودة وجودة في الربط بين هذه التعبيرات. كما أنّها تُظهر لنا جانباً من ثقافته النحوية خاصة في كتابه "شرح شواهد سيبويه"، الأمر الذي جعل منه أديباً نحويّاً ماهراً في إيجاد العلل لكل قضية نحوية تعرض لها أثناء تحليله. ولعل انتقال عدوى هذه الثقافة النحوية إلى شروحه الأدبية ما جعلها تتحوّل إلى نوع من الاختصار والإيجاز والابتعاد عن الإسهاب في الشرح.

1-2- منهج الأعلام في الشرح:

أمّا منهجه في الشرح أيّ طريقته في تناول النصوص وتحليلها، فالملاحظ أنّ "الأعلام" كان ملتزماً بتقديم المعنى، ومحاولة إيصاله إلى القارئ بأسر السبل، ناهيك عن اهتمامه بغامض الإعراب، ومحاولة كشفه وإزالة اللبس عنه. دون الإخلال بالعناصر التفسيرية الأخرى من لغة وروايات وغيرها. لذلك قلنا أنّ "الأعلام" خير من يمثّل المنهج الإختصاري التسهيليّ.

ونقصد به، ذلك المنهج الذي يقوم أساساً على الوصول إلى معنى الشاعر ومقصده، كما أنّه يعتمد اختصار المعلومات في الشرح مسلكاً والتسهيل في عرضها سبيلاً، كما أنّه يقوم على مراعاة المتلقين وقدراتهم، منهج يقدّم عناصر الشرح سهلة مُيسرة خالية من الاستطراد، بعيدة عن التشعب والإغراب. (1)

هذا هو منهج "الأعلام الشنتمري" في شرح الشعر، وتلك كانت دعائمه.

لكن، قبل أن نعرف مدى مطابقة معايير هذا المنهج على شرح "الأعلام" لديوان حماسة "أبي تمام"، نعالج إشكال طُرِح بخصوص هذا الديوان، ولإزالة اللبس، قررنا ما يلي:

2- وصف كتاب الحماسة الأعلامية:

تعتبر حماسة "الأعلام الشنتمري" من آخر ما كتبه في ظل دولة "بني عباد"، فاشتهر اسمها بين تلاميذه بـ"الحماسة الأعلامية"، ومن أجل التعرف عليها، يتوجب علينا توزيعها على النحو التالي:

(1) - ينظر: الفصل الأول من هذا البحث، ص141-142.

2-1- المتن: في المتن حاول "الأعلم" أن يجمع نصوص الحماسة وذلك من خلال رواياتها (*1) المتعددة المنتشرة شرقا وغربا ، ليتحصل في الأخير على مؤلف كامل ليس له نظير من قبل، ويستطيع إخراجه إلى القارئ كأول صورة جامعة مانعة مشتملة على كل ما ذهبت إليه تلك الروايات، ويرتبه وفق هيئة حسنة تسهل استخراج ما يُراد منها من نصوص. ووفق هذه الصورة، صاغ "الأعلم" الحماسة، وترسخت في اعتقاد بعض الناس من عامة المثقفين أنها حماسة جديدة تضاف إلى الحماسات السابقة، فأطلقوا عليها "الحماسة الأعلامية" أو حماسة "الأعلم". وذلك بسبب ظهورها في شكل جديد. وفعلا هناك ما يؤكد أنّ "الأعلم" قد صاغ هذا المتن، هو وجود نسخ له مخطوطة في بعض المكتبات منها: النسخة المخزونة بتونس، وعنوانها: كتاب الحماسة ترتيب الأعلام وهي نسخة ملوكية مزخرفة ، قدّمت إلى معتضد إشبيلية ، وقرئت بحاضرتة سنة 465هـ، الأمر الذي يؤكد وجود هذه الصورة إلى الشرح جنبا إلى جنب، جاهلين المدة التي استغرقها الأعلام في جمعها وترتيبها وتبويبها.

إلى جانب وجود نسخ مخطوطة، ها هو "البغدادي" يسمي هذا المتن "حماسة الأعلام"، وعاد إليها في كثير من المواضع خاصة وأتته لم يطلع على شرحه لها. وهو أثناء المقارنات وسائر أوجه النقل عنها، يؤكد أنّها ليست حماسة "أبي تمام"، وأشار صراحة إلى أنّها حماسة مستقلة قائمة بنفسها(2).

(*)-لقد اعتمد "الأعلم" في صياغته للحماسة وفق الصورة الجديدة على روايات ثلاث، ووفق بينها، وأورد كل ما فيها سواء تعلق الأمر بزيادة أبواب أو بإضافة قصائد ومقطعات أو عدد من الأبيات، وهي ليست كثيرة بالنسبة لما ورد في شروح أخرى لهذه الحماسة. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص57-58. وهذه الروايات هي:

1- الرواية القديمة للحماسة المنحدرة عن "أبي تمام" مباشرة ، وقد كانت موجودة في الأندلس منذ عهد قديم، دخلت إليه مع من روى عن "أبي تمام" من الأندلسيين ومع آثاره الشعرية الأخرى واختياراته، وبينها ديوانه.

(2) - ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزنة الأدب، ولب أبواب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997، ص280، ج4، ص233 ، ج7، ص438،321، ج8، ص535، ج9، ص583.

من هنا، يمكننا الخروج بنتيجة تطرح نوعاً من التساؤل مفادها: إذا كانت هذه الحماسة من إنتاج "الأعلم"، فهي بذلك حماسة أخرى تضاف إلى الحماسات الأخرى غير حماسة "أبي تمام"، أو أنها عين تلك الحماسة، وما فضل "الأعلم" فيها إلا جمع ما كان ماثوفاً من مختلف رواياتها، والتوفيق بينها، ومجرد مُرتَّب لشعرها على القوافي؟. وعليه، إنّ جملة من الأسباب هي التي أدت إلى قيام هذا الخلط بين "حماسة أبي تمام" وبين ما ألفه "الأعلم"، نذكر منها:

- 1- ذكر "ياقوت الحموي"، أن "الأعلم" قد «شرح الحماسة شرحاً مطوّلاً، ورتّبها على حروف المعجم»⁽¹⁾، مشيراً إلى أنه قد اطلع على ذلك أو نقله عن مصدر موثوق.
- 2- أما "الصفدي"، فقد أبدى بعض الشك في الأمر، حين قال: «وقيل شرح الحماسة شرحاً مطوّلاً ورتّب كل باب منها على حروف المعجم»⁽²⁾، فهو بذلك أضاف إلى قضية الترتيب بعض التفصيل في القضية.
- لكن، ما ذكره "الصفدي" أو "الحموي"، لا يُؤكِّد أو يبين لنا ماهية الحماسة أو علاقة "الأعلم" بما شرح، أو بالأحرى ما يفيد أنه صاحب الحماسة التي شرحها، أو ليس صاحبها، لأنّ الإشارة في كلتا الحالتين كانت منصبّة على الشرح لا على الحماسة.
- 3- أمّا "الفيروز أبادي"، وهو يستعرض مصنفات "الأعلم"، يذكر من بينها شرحه لحماسة أبي تمام". يقول: «له مؤلفات منها شرح حماسة أبي تمام»⁽³⁾.
- إنّ ما ذهب إليه "الفيروز" يجعل من "الأعلم" شارحاً، مثلما ذكر "الحموي" و"الصفدي"، وأنّ المشروح إنّما هو من اختيار أبي تمام لا من صنّعه.

(1) - الحموي، معجم الأديباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ج6، ص2848.

(2) - الصفدي، نكت الهميان، ص314.

(3) - الفيروز أبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972، ص293.

وقد سار على هذا الرأي بعض المحدثين، على رأسهم محقق الحماسة البصرية،⁽¹⁾ وكذلك محقق التذكرة السعدية، حيث قال: « والرأي الراجح أنها ترتيب لحماسة أبي تمام الطائي حسب حروف الهجاء مع شرحها وإيضاحها »⁽²⁾. هذا، إذ هناك من اعتبر الحماسة من تأليف "الأعلم"، وهي حماسة مثل الحماسات الأخرى، نذكر منهم:

1- عبد القادر البغدادي: وقد ذكرها أثناء عدّه للمجامع العلمية التي أخذ عنها "الأعلم" أو بالأحرى رجع إليها في تأليفه. يقول: « ومختار شعر الشعراء الستة: امرؤ القيس والنايعة وعلقمة وزهير وطرفة وعنترة، وشرحها للأعلم الشنتمري... ومختار شعراء القبائل لأبي تمام، والحماسة أيضا وشرحها للشمري وأبي محمد الأعرابي ولإمام المرزوقي، وللخطيب التبريزي، ولأبي الفضل الطبرسي. والحماسة البصرية، وحماسة الشريف الحسنّي، وحماسة الأعلام الشنتمري »⁽³⁾.

2- أمّا "عبد المنعم أحمد صالح" وهو ناشر ديوان "الحماسة" وفق رواية أبي منصور الجوالقي، فقد قال إنّ "للأعلم" حماسة على غرار حماسة "أبي تمام"، وذلك من خلال تتبّع الشروح التي تناولت حماسة "أبي تمام"، من بينها شرح "الأعلم" أيضا. الأمر الذي يفيد أن "للأعلم" حماسة خاصّة به تذكر من بين الحماسات وأنّه في نفس الوقت جرّد شرحا لحماسة "أبي تمام"، وكأنّ لا صلة بين عمليه هذين إطلاقا. ⁽⁴⁾

3- ومن المحدثين الذين تبّنوا هذا الرأي "عبد الله عبد الرحيم عسيلان"، صاحب كتاب "حماسة أبي تمام وشروحها"، (وهو في الأصل مشروع قدّم لنيل شهادة الدكتوراه).

(1) - ينظر: مقدمة محقق الحماسة البصرية مختار الدين أحمد، طبعة حيدر آباد الدكن. ومقدمة محققها الآخر عادل سليمان جمال، طبعة المجلس الأعلى بالقاهرة.
(2) - عبد الله الجبوري، مقدمة الحماسة البصرية، ص 11.
(3) - البغدادي، الخزانة، تح: عبد السلام هارون، ج 1، ص 21-22.
(4) - ينظر: مقدمة، حماسة أبي تمام، رواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجوالقي، تح: عبد المنعم أحمد صالح، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد، 1980، ص 6.

ومما ذكره، مناقضا وجهة نظر محققي الحماسة البصرية، معتمدا في ذلك على ما تيسر له من قراءة صورة مقدمة شرح الحماسة للأعلم، يقول: « وقد اعتبر بعض الباحثين هذا الشرح شرحا لحماسة أبي تمام مثل الدكتور مختار الدين أحمد في مقدمة تحقيق الحماسة البصرية والدكتور عادل سليمان جمال في تحقيق الحماسة البصرية أيضا ، وقد تيسر لي الاطلاع على نسخة مخطوطة من هذا الشرح ، فتبين لي من خلالها أنّ من الوهم اعتباره شرحا لحماسة أبي تمام، وإنما هو شرح لحماسة ألفها الأعلم نفسه، وضمنها جلّ ما في حماسة أبي تمام والحماسات الأخرى ، ورتّب الشعر فيها على حروف الهجاء في كل باب، وزاد فيها بابين على ما جاء في حماسة أبي تمام ثم شرحها»(1).

إنّ ما ذهب إليه "عبد الرحيم عسيلان"، لا يخرج عما قاله "البغدادي"، بحكم أنّه صرّح أثناء تصفحه للحماسات المختلفة المؤلفة بعد "أبي تمام" ، أنّه اعتمد على ما صدر من "البغدادي" واستتاده في النقل عنه في قوله: « حماسة الأعلام الشنتمري(ت 476هـ) ذكرها البغدادي في الخزانة واستفاد منها، ولم أجد من عرف عنها شيئا، بل إنّها مجهولة عند بعض الباحثين، وقد يسّر الله لي اكتشافها بين ما لم يُفهرس من تراث معهد المخطوطات، فرأيت الأعلم استوحى فكرتها من حماسة أبي تمام ورتّب الشعر في كل باب على حسب حروف الهجاء، بالترتيب المغربي، وجعلها في ثلاثة عشر بابًا الأول في الشجاعة، والثاني في المراثي ، والثالث في الأدب ، والرابع في النسب والخامس في المديح ، والسادس في الأضياف ، والسابع في الهجاء، والثامن في الصفات، والتاسع في السير والنعاس، والعاشر باب في الملح والظرف والمفاحشات، والحادي عشر باب باب في مذمة النساء ، والثاني عشر باب في القصر ، والاثل عشر باب في الكبر، بينما نعرف أنّ حماسة أبي تمام في عشرة أبواب فقط، وقد ضمنها جلّ ما في حماسة أبي تمام من شعر،

(1) - عبد الله عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، ص 64-65.

وزاد عليه من حماسات أخرى كحماسة أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني، وحماسة أبي أحمد عبد السلام ابن الحسين القرميسيني»(1).

أمّا ما أورده "الأعلم" بنفسه في المقدمة ، أثناء حديثه عن الحماسة، فليس فيه ما يفصح أنّه ألف حماسة بمعنى الكلمة بعيدا عن جوّ "أبي تمام" ومن روى عنه أو شرح أثره، بل ليس فيه حتى ما يفيد التأليف الذي يقتضي استقصاء المصادر الكثيرة، الأمر الذي يدع حماسة "أبي تمام" جانبا. وأنّ ما أورده لا يعدو إلّا أن يكون بمثابة تعريف لبعض أو أغلب المصادر التي استقى منها النص ورجع إليها في صياغة ما يتعلق بجوانب من الشرح.(2)

هذا هو الذي حدث في هذه القضية وما قيل عنها، وإنّ الأمر يفضي إلى نتائج معقولة بمقدار ما يبعث على الحيرة والارتباك. إلّا أنّ ما صرّح به "الأعلم" بنفسه في مقدمة هذا الشرح، يدفعنا إلى نوع من الاطمئنان في هذه المسألة يقول أنّه قرر أن يختم الفترة العلمية التي خدم فيها "المعتضد" بجمع كتاب في أشعار الحماسة يقتضي تهذيبها وتنقيحها وتقييد ألفاظها وتصحيحها.(3)

إذا من خلال ما صرّح به "الأعلم"، نستنتج أن "الأعلم" سيكون مجرد جامع مهذب محرّر للروايات والأوجه المختلفة المنصبة حول أشعار الحماسة، وإنّ عمله فيها سيقوم على مجرد إلغاء حالة من الاضطراب الجاثم حولها، وتجميع ما تضارب من رواياتها وأنّه لن ينشئ عملا لم يكن له من حيث الجوهر وجود.

فمن خلال المصادر التي استقى منها "الأعلم" مادة ما جمع، استطاع أن يحتفظ لنا بعدد من الروايات، من بينها رواية عبد السلام البصري (*). ولعلّه في هذا كان ينسج على

(1) - عبد الله عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحا ، ص51.

(2) - وهذا واضح من خلال مقارنة بعض الفقرات في شرح "الأعلم" بمثلتها في شرح "الجرجاني" و"أبيات المعاني" للنمري. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، تح: علي المفضل حمودان.

(3) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام،(المقدمة)، ص93.

(*)-إنّ الصورة التي استوت عليها الحماسة بواسطة "عبد السلام البصري"، كان لها القسط الأوفر في العمل الذي أنجزه "الأعلم" ، وذلك نظرا لإمامها بعدد هائل من الأصول واعتمادها على كثير ممّا ألف حول حماسة "أبي=

منوال ما صنعه شيخه "ابن الافليلي" بديوان "المنتبي". وها هو يؤكد بشيء من الوضوح ذلك المقصود أنّ ما سيفعله لن يكون بعيدا عن دائرة حماسة "أبي تمام" بمقدار ما يكون لصيقا بها. بل إنّ ذلك لم يخطر له على البال إذ أنّ معنى الحماسات في ذهنه لا ينطبق على ما حاول فيه بعض العلماء وأصحاب الاختيار والشعراء مجارة "أبي تمام" به كحماسة "البحثري" وحماسة "الخالديين" و"حماسة ابن الشجري" و"الحماسة البصرية" وغيرها، وإتّما كان معناها ما أورده شراح ورواة حماسة "أبي تمام" بالخصوص من زيادة أو أخلّوا به من نقص وغيره، مما قد يقرب أو يبعد بينه وبين النص القديم بنسب تختلف من مصنّف إلى آخر.

2-2- الشرح:

وهو العمل الأساسي الذي كان يقصد إليه "الأعلم" عندما قام بإعداد المتن، شرحّ جمعه من مصادر مختلفة، رتبّه، وهو يقع في مجلدين كبيرين، تأنّق في اختيار عنوان له، سمّاه: **تجلّي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلّي بالقلائد من جوهر الفوائد** (1).
انتشر هذا الشرح في الأندلس إلى جانب مؤلفاته الأخرى، رُوِيَ وقُرئ مع عدد من الأصول والأمهات، واستجيز من قبل كبار العلماء، فها هو "القاضي عياض" (ت544هـ)، قد قرأه على شيخه "أبي الحسن ابن الأخضر"، وأخذ ابن خير (ت575هـ)، عن شيخه أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن فندلة" وهو تلميذ "للأعلم"، واعتبره أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت685هـ)، من شروح الأعلام المشهورة الكثيرة الانتشار، (2) أمّا أبو عبد الله ابن

تمام" وتطلّعها إلى تحقيق بعض التكامل، وربّما يكون ما أخلّت به هو السبب الذي حفزه على التفكير في إخراج هذا العمل لتدارك ما فاتها وجمع صورة حسنة شاملة لما تفرّق من رواياتها المختلفة ووضعها بين يديّ الناس كاملة.
ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص58.

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، (المقدمة)، ص93.

(2) - ينظر: المقري، نفح الطيب، ج3، ص184.

عذارى المراكشي (ت695هـ) فقد نقل عن ابن القطن خبره وذكر أنه قدّمه فيما قدّم من مؤلفات إلى المعتضد (1).

من خلال هذه الإشارات من طرف ما كتبه علماء المشرق خاصّة ما ورد في فن التراجم والطبقات، يظهر لنا أنّ هذا الشرح كان موجودا عند بعضهم، لكنّه لم ينل المكانة التي نالها في الأندلس، ولعلّ مرجع ذلك يعود إلى كونه تناول أثرا مشرقيا ألفّ حوله الكثير من المؤلفين، الأمر الذي جعله في رأيهم يدخل في دائرة المقولة المشهورة "هذه بضاعتنا ردت إلينا".

لقد أشار "ابن خلكان" في وفيات الأعيان إلى هذا الشرح، وذكره فيما ذكر من مؤلفات الأعلام، يقول: «وغالب ظني أنّه شرح الحماسة، فقد كان عندي شرح الحماسة للشنتمري في خمس مجلدات، وقد غاب عني الآن من كان صنّفه وأظنّه هو والله أعلم وقد أجاد فيه» (2).

إنّ ما أشار إليه "ابن خلكان"، فيه تحسّر على ضياع هذا المؤلف الجليل مما ضاع من المؤلفات الأخرى، وقريبًا منه، ذكر "الصفدي" (ت764هـ)، أنّ الأعلام قيل عنه أنّه شرح الحماسة شرحًا مطوّلاً (3).

هذا، وقد اختلفت المصادر المشرقية في عدد مجلدات هذا الشرح وفي حجمه، من بينها ما ذكره "حاجي خليفة واسماعيل "البغدادي"، أنّه كان في خمس مجلّدات (4) ومما نُعت به أيضا أنّه كان شرحًا مطوّلاً، وهذا الطول بطبيعة الحال يعود إلى كثرة أشعار الحماسة فيه وليس إلى كثرة التفاصيل والمعلومات والاستطرادات الواردة فيه.

(1) - ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ح: ج.س. كولان، وليقي بروفنسال، ج3، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ص284.

(2) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص28.

(3) - ينظر: الصفدي، نكت الهميان، ص314.

(4) - ينظر: اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين "أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين"، ج2، مؤسسة التاريخ العربي، استانبول، 1951، ص551.

والغريب في الأمر، أنه رغم شهرة هذا الشرح وانتشاره في البيئة الأندلسية، إلا أن المصادر الأندلسية لم تشر أي إشارة إلى حجمه.

ذكرنا فيما سبق، أن الفترة التي قضاها "الأعلم" في بلاط "المعتضد" كانت من أخصب الفترات العلمية في حياته، وكانت من أكثرها عطاء في عدد المؤلفات التي رزقها إليه، هاهو في آخر عمل له، بدا حريصا كل الحرص فيه، أراد من ورائه أن يمتنّ ببعض عمله السابق على دولته وذلك في أدب جمّ. قدّم له بمقدمة مسهبة، بالقياس إلى مقدمات أعماله السابقة، نوه فيها بجملة من الحقائق منها ما ناله من أيادٍ ونعم سابغة، وما كوفئ به من رعاية وكرم وكيف كان يقابل ذلك بالشكر والابتهال وتخليد ذكرى المنعم فيما اجتهد في تأليفه من آثار تخلّد على مدى الدهر. وبعد عدّها واحدة واحدة، إدلالا بخدمته وإشعارا منه بالتمكّن في دولته، قرر أن يختم نصيبه في ميدان المعرفة، بتأليف كتاب جليل ينطوي على فوائد جمّة، يُتوّج به أخصب حقبة في حياته، يقول: « ثم رأيت الآن أن أختّم ما اعتمتُ فيه قديماً وحديثاً، من ذلك، بجمع كتاب في أشعار الحماسة». (1) . وقد حدد في مقدمة عمله الطريقة التي سيتبعها فيه فهي تقوم على:

- تحرير النص وتوثيقه من مختلف المصادر الموجودة بين يدي الناس.
- شرح غريبه والكشف عن معانيه وتيسير ألفاظه للإفهام .
- تذليل ما في مُشكل إعرابه.

وقد نهج "الأعلم" هذه الطريقة، حتى يكون مؤلّفه فريدا في بابهِ مُغنيًا عن الشروح الكثيرة التي تناولت الحماسة وخاضت بمناهج مختلفة جوانبها المتنوعة، يقول مُوضّحا منهجه « فيقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقييد ألفاظها وتصحيحها، وتبيين معانيها، وتقريب أغراضها، وتفسير غريبها وغامض إعرابها، حتى يكون هذا الكتاب مُرَبِّيا على جميع التأليف فيها، ومُغنيًا عن استعمال التصنيفات المحيطة بها» (2) .

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، (المقدمة)، ص91-93.

(2) - المرجع نفسه، ص93.

وفي المقدمة ذاتها قدّم "الأعلم" وصفاً طيباً للمصادر التي اعتمدها في شرحه مازجا بين ما حرّكه على مستوى إعداد المتن وما استفاد منه على مستوى تحبير الشرح، مشيراً إلى علوّ مكانة بعضها وقيمتها العلمية، وهي (1):

- الحماسة القديمة المنسوبة إلى أبي تمام، التي هي أصل لغيرها.
- حماسة أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني.
- حماسة أبي أحمد عبد السلام بن الحسين ابن محمد بن طيفور القرميسينيّ البصريّ، ممّا رواه عن شيوخه، كأبي ريش أحمد بن أبي هاشم بن الرديني بن شُبَيْل القسيّ الرّبيعي، وأبي سعيد الضرير، وأبي العمَيْثَل، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وأبي عبد الله اليزيدي، وأبي حفص عمر بن عبد العزيز الهمذاني، عن أبي محمد الديمرتي.
- ما نقل من التّرمذي، ومن خط الأقرع وراق آل طاهر، ومن خط ابن سعيد السُّكْرِيّ، وحروف وجدها بخطّ أبي موسى الحامض.
- ما ثبت في كتاب أبيات المعاني في الحماسة للثمريّ.
- ما ثبت في شرح ابن جنّي.

وفي الأخير ختم "الأعلم" هذا الشرح بخاتمة، بيّنت مقدار النّصب الذي كان يلاقه في معالجة تأليفه والسرعة الكبرى التي أنجز بها ما كان بين يديه، حيث استطاع أن ينجز هذا الشرح إملاءً وصنعةً وإنشاءً في مدة لا تزيد عن أربعة أشهر من سنة 459هـ/1066م. غير غافل عن إبداء قسط كبير من التواضع كعهده، ولا متهاون في وصف الحال التي كان عليها أثناء تلك المدة. (2)

والغريب في الأمر ألاّ تصدر عن "الأعلم" في غضون شرحه أيّ إشارة إلى مؤلف من تلك المؤلفات التي أوردها في المقدمة ممّا خطّته أقلام الآخرين قبله بل حتى إلى تلك

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 93-96.

(2) - ينظر: الأعلام، مقدمة شرح حماسة أبي تمام.

التي صدرت عن قلمه . غير أنّ عمله الوحيد الذي يشير إلى شيء من ذلك هو الكتاب الذي شرح فيه سيبويه. وهذا دليل على تشبّث مستميت بالمنهج الصارم الذي جعله "الأعلم" لنفسه كمبدأ لا محيد عنه.

ولعلّ "الأعلم" في كل هذا، كان حريصاً بشدة على أن تكون مادة تأليفه مستقلة بموضوعاتها بصفة عامة، أو عمّا سبقها من تأليفه بشكل خاص، أن تقوم بنفسها، حتى لا يحدث بينها وبين تلك المؤلفات، أو بينها وبين عدد من المصادر التي ساهمت في إعدادها أيّ ضرب من ضروب التشاجر المؤدّي بالقارئ إلى الشعور بضرورة العودة إلى غيرها. ومن أجل ذلك كان "الأعلم" ينشد لمؤلفاته نوعاً من التكامل والتكافؤ الذي يجب أن يغنيه عن ذلك الربط وما أشبهه ، ولعلّ إشارات في كتاب النّكت في الكتاب الذي شرح فيه أبيات سيبويه كانت منطوية على شيء من تأكيد الذات حيال النشاط العلمي الذي قام به في اتجاه شرح كتاب سيبويه.

ومع ذلك، فإنّ "الأعلم" في هذا الشرح، يبدو شديد الحرص على تطبيق منهاج صارم وتنفيذ خطة محكمة لا يخرج عنها، تستوعب النص وتستخرج عصارته وتقدّمه إلى المتعلمين وأشباههم، مثلاً موطأ الأكناف. ويتجلى هذا الحرص في تطرّقه إلى عامة الجوانب والزوايا التي تقرّب فهمه والتعامل معه والاستعانة به وتيسير استخدامه، ويتمثّل ذلك بجلاء في الخطوات المنتظمة التي سلكها عند كلّ نص أو سلك معظمها، ويتجسد مجموعها بشكل ملموس فيما يلي:

المبحث الثالث: عناصر الشرح عند "الأعلم" في شرحه ديوان الحماسة "لأبي تمام":

بعد أن وصلنا إلى تحديد مفهومنا للمنهج الإختصاري التسهيلي، لم يبق أمامنا إلاّ أن نستعرض العناصر التفسيرية التي يتركب منها الشرح عند "الأعلم".

على العموم، إنّ الشرح عند "الأعلم" إنّما يتركب من مجموعة من العناصر يُكَمِّل بعضها بعضاً، وتتركز في الجوانب الآتية:

1- ترتيب الموضوعات:

رتّب "الأعلم" متن الحماسة في ثلاثة عشر باباً « فالأول باب في الشجاعة، والثاني باب في المراثي، والثالث باب في الأدب، والرابع باب في النسيب، والخامس باب في المديح، والسادس باب في الأضياف، والسابع باب في الهجاء، والثامن باب في الصفات، والتاسع باب في السير والتعاس، والعاشر باب في الملح والطرف والمفاحشات، والحادي عشر باب في مذمة النساء، والثاني عشر باب في القصر، والثالث عشر باب في الكبر * » (1).

لكن، اختلف في ترتيب هذه الأبواب فيما بينها عما هو موجود في بعض الروايات، حيث قدّم "الأعلم" المديح والأضياف على الهجاء وما بعده. ثم وجدناه يفصل بين البابين الأولين - المديح والأضياف - الذي جاء باباً واحداً في سائر الشروح (2)، ما عدا شرح "المرزوقي" إذ وجدنا أنّ نساخ شرحه هم من جعلوه باباً واحداً (3).

وكلّ هذه الأبواب ضمت تسع مئة وأربعون حماسية، وقد اقتفى بذلك بما أورده "عبد السلام البصري". ثم عمد إلى محتوى كلّ بابٍ فرتبّه على الحروف الألفبائية، وفقاً للترتيب الأندلسي، وهو الترتيب الذي يتبع في المغرب أيضاً، وأتّه يختلف عن الترتيب المشرقي بعد حرف "ز" حيث يتتابع الترتيب هكذا: أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق - س - ش - ه - و - ي. (4) يقول: « ورتّبته على حروف المعجم، » (5).

* - إنّ الباب الأخير ، وهو الثالث عشر زائد على ما تضمنت حماسة أبي تمام القديمة، وحماسة أبي الفتح الجرجاني وغيره، وهو ثابت في حماسة أبي عبد السلام". ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام (المقدمة)، ص97.

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص97.

(2) - ينظر مثلاً: التبريزي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص925.

(3) - ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، علق عليه: غريد الشيخ، فهرس المحتويات.

(4) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام (مقدمة المحقق)، ص79.

(5) - المرجع نفسه، ص93.

لكن، لا ندري لمن تعود أسبقية هذا الترتيب، إن كان من اختراع "الأعلم"، أو أنه عمل قد أتاه بعض من سبقه من شراح الحماسة، ومعالجو قضاياها، إلا أن ما ذكره في المقدمة، يشير صراحة أنه اقتدى في الترتيب ببعض معاصريه، يقول: «ورتبته على حروف المعجم ليقرّب بذلك تناوله، ويسهّل على الطالب مرأته، على حسب ما صنعه أهل العصر» (1).

لكن، ما كان معمولاً به في المشرق ومن ثم في الأندلس هو ترتيب الدواوين الشعرية على القوافي في فترة يُظنُّ أن "الأعلم" لم يكن بعدُ قد جمع نصوص الحماسة ورتبها، إذ يُذكر حيال ذلك ديوان يحيى بن الحكم الغزال (ت250هـ) الذي جمعه الشاعر القرطبي حبيب بن أحمد الشطجيري (ت430هـ) ورتبه على الحروف. ونفس الشيء مع ديوان ابن الحدّاد (ت480هـ) -وهو معاصر للأعلم- الذي رتبّه على حروف المعجم، وكان في ثلاثة أسفار (2).

بعد، ترتيب الأبواب في متن الحماسة، ومن ثم ترتيبها على الحروف الألفبائية، وفقاً للترتيب الأندلسي، ومن ثمّ وما يظفر به كل باب من قوافٍ، يجعل "الأعلم" حرف القافية عنواناً لما يأتي وراءه من أشعار على ذلك الحرف، بمعنى أنه كان يرتب الحماسيات داخل الأبواب بحسب القوافي، يبدأ بقافية الهمزة وينتهي بقافية الياء، لذا جاءت الحماسية الأولى في كل باب على قافية الهمزة أو الألف وهكذا. (3)

وكان يُقرّب بين قصائد الشاعر إذا كانت من قافية واحدة أو من بحر واحد. كما يحافظ على انسجام حركة الروي، ويورد قوافٍ على حركة واحدة غير مبال باختلاف بحرهما. وربما كان عمله هذا قائماً على نوع من التقارب بين مضامين حماسية وأخرى، بحيث

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام (مقدمة المحقق)، ص93.

(2) - ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، مج4، ص11.

(3) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، مثلاً، ص101.

تسلم الواحدة إلى التي تليها لتكتمل الصورة الشعرية ويستوفي القول فيها عدد من العناصر في الغرض الواحد.

إنّ ما ذهب إليه "الأعلم" من ترتيب على مستوى القوافي، والأبواب، وقع الإعجاب به في الغرب الإسلامي واتبعه في معالجة الحماسة وشرحها كل من "أبي إسحاق ابن ملكون ابراهيم بن محمد بن منذر الحضرمي" (ت581هـ-1185م)⁽¹⁾، و"أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي" (1120هـ - 1708م).⁽²⁾

أمّا ترتيب الحماسيات فواضح أنّ "الأعلم" قد حذف جملة من الحماسيات التي رواها "أبو تمام" في كل باب من الأبواب، كما أضاف لهذه الأبواب حماسيات لم تكن من اختيار أبي تمام، لعلّه أخذها من كتب الاختيارات التي تلت اختيار "أبي تمام" ومن ذلك حماسية رواها في باب النسيب- قافية الهمزة- ونسبها إلى أبي زيد الطائي، ومطلعها:⁽³⁾

إِنَّمَا مُتُّ غَيْرَ أَنِّي حَيٌّ يَوْمَ بَانَتْ بِوُدِّهَا أَسْمَاءُ

وكذلك حماسية رواها في الباب ذاته جاءت على قافية الباء وهي⁽⁴⁾:

أَلَا لَا أَرَى وَادِي الْمِيَاهِ يُثِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَنْ وَادِي الْمِيَاهِ تَطِيبُ
أَجِيبُ هُبُوطَ الْوَادِيَيْنِ ، وَإِنِّي لَمُشْتَهَرٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبُ

ومن أمثلة ما أضافه "الأعلم" إلى حماسة "أبي تمام"، حماسية الهديل بن مشجعة

البولاني، ومطلعها:⁽⁵⁾

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي غَائِبًا لَمُدَافِعٍ مِنْ دُونِهِ وَوَرَائِهِ

(1) - وهو كتاب المنهج في الجمع بين التنبيه والمبهج.

(2) - وهذا الشرح جاء بعنوان "النفاسة في شرح الحماسة".

(3) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص737.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص739.

(5) - ينظر: الأعلام، شرح الحماسة، ص872. وروي هذا البيت في "شرح المرزوقي" و"شرح التبريزي" (لمقادف

من خلفه). ينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 739، ص1177. وقد أوردها في باب الأضياف. وينظر: شرح التبريزي، الحماسية 937، ص987.

هذه الحماسية رُوِيَتْ في الشروح الأخرى بستة أبيات، لكن "الأعلم" أضاف إليها ثلاثة

أبيات أخرى وهي: (1)

وَ إِذَا اسْتَرَّاشَ حَمِدْتُهُ وَوَفَّرْتُهُ
وَ إِذَا أَرَدْتُ عِتَابَهُ أَنْظَرْتُهُ
وَ إِذَا غَدَا يَوْمًا لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا
وَ إِذَا تَصَغَّلَكَ كُنْتُ مِنْ قُرْبَائِهِ
حَتَّى أُعَاتِبَهُ بِبَعْضِ خَلَائِهِ
صَغَبًا، فَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَائِهِ

هذا، وحسب ما ورد في بعض الروايات التي كانت تُصِرُّ على أنَّ الشاعر الكبير لم يكن ليخطئ في إخراج نص من الرثاء إلى الشجاعة أو من الشجاعة إلى الأدب. بما عرف عنه من نظام ودقَّة وحسن ترتيب. لهذا نجد عدد من الحماسيات بباب الأدب وقد أوردها غيره في باب الشجاعة.

إنَّ "الأعلم" قد غيَّر في الحماسة تغييرا طفيفا، وهو تغيير مسَّ أبواب الحماسة، وحماسيات هذه الأبواب وترتيبها، ورواية عدد الأبيات في الحماسية الواحدة. وهي الطريقة التي اعتمدها في ترتيب الموضوعات.

2- عبارة الاستهلال (التعريف بالشعراء):

كان "الأعلم" شديد الحرص على افتتاح شرحه بعبارة الاستهلال التي يذكر فيها اسم الشاعر معروفا كان، أو مجهولا، فالمعروف ذكره كثيرا، بقوله: « وقال الأخنس بن شهاب التَّغْلِبِيُّ، أو "بلال بن جرير"، أو "أبو العتاهية"، أو "النابغة الذبياني، أو "حسان بن ثابت..»، أو "الأقرع بن معاذ...، أو "عميرة بن جَعْل التَّغْلِبِيُّ، أو "موسى بن جابر الحنفي...» (2). أمَّا المجهول، فجاء في قوله: « وقال: حُنْدُجُ بْنُ حُنْدَجٍ...، و أبو

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 873.

(2) - المرجع نفسه، ص 148، 1162، 1060، 979، 917، 999، 1065، 115. على الترتيب.

الغَطْمَشِ، وَجَوَّاسُ بْنُ الْقَعَطْلِ، قَرَوَاشُ بْنُ حَوَظِ الضَّبِّيِّ، مُضَرِّسُ بْنُ رَبِيعٍ...» (1).
وغيرهم كثير في ذلك. (2)

وفي بعض الأحيان، يُعرّف "الأعلم" الشعراء، ويحدّد صحّة أسمائهم، فالأفوه الأوديّ «اسمه صلاحة بن عمرو» (3). أمّا "المقتّع الكنديّ" « فاسمه : محمد بن عميرة» (4).

إضافة إلى ذلك، يذكر سبب تسمية بعضهم، يقول دائماً في "المقتّع الكنديّ" « وسمّي المقتّع لأنه كان من أجمل الناس، وأطولهم، فكان إذا نُظر إليه لُقِعَ أي أُصيبَ بالعين فتقنّع دهره خوفاً من ذلك» (5). أمّا "ابن هزّمة"، « وهو إبراهيم بن هزّمة ((الخلجيّ، والخلج من قيس عيلان، ويُقال هم)) من قريش، وسمّوا بذلك لأنهم اختلجوا منهم، أي اقتطعوا منهم» (6). في حين نجد أنّ "الفنّد الزّمانيّ: « سميّ فنّداً لأنه وفّد ساعياً في صلح وكان شيخاً هرمًا» (7). أمّا "الفرزدق" لقب بذلك، « لجّهومة وجهه» (8).

غير بعيد من ذلك، يسرد "الأعلم" بين يديّ عبارة الاستهلال بعض الأخبار المقتضبة التي تتعلق بنسب الشاعر أو حياته وما اشتهر من أخباره ممّا يسهّل معرفته ويرسّخ ذكره في الذهن، مثلاً يقول في "الرّاعي الثّميريّ"، «: ونزل به رجلٌ من بني أبي بكرٍ بن كلابٍ في ركبٍ معه لئلاً، في سنّةٍ مُجْدِبَةٍ، وقد عزّبت عن الرّاعي إبله فعمد إلى نابٍ من رواحِلهم،

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 1130، 1190، 1102، 1078، 970. على الترتيب.

(2) - المرجع نفسه، ص 1201، 1151، 1125، 1109، 1113، 1116، 1102، 1096، 1091، 1087، 1090، 1086، 1024، 998، 985، 979، 977، 972، 964، 922.

(3) - المرجع نفسه، ص 111.

(4) - المرجع نفسه، ص 646.

(5) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) - المرجع نفسه، ص 994.

(7) - المرجع نفسه، ص 305.

(8) - المرجع نفسه، ص 140.

فنحرها لهم وصَبَحَتْهُ إِبْلُهُ فَأَعْطَى رَبَّ النَّابِ نَابًا مِثْلَهَا وَزَادَهُ ثَنِيَّةً» (1). ويقول في "مُحْرَرُ
 بَنُ الْمُكْعَبِرِ الضَّبِّيِّ لِبْنِي عَدِيِّ بْنِ جُنْدُبٍ"، و« كان نزل ببني العنبر من تميم فأغبر عليه
 فاستغاث بجيرانه فلم يُغيثوه، وجعلوا يُدافعون قومه حتى خافوا الموت فاستغاثوا ببني مازن
 بن مالك بن عمرو بن تميم فركبوا وردوا عليهم ما أخذ منهم» (2). وفي قوله عن « سالم
 بن قحطان العنبري، وأتاه طالب فأعطاه بعيرا وقال لامرأته: ادفعي له حبلًا. فأعطته،
 ثم أعطى بعيرا ثانياً وثالثاً على تلك الحال، ثم ضجرت امرأته ورمت إليه خمارها، فقال:
 عَلِيَّ الْجِمَالِ وَعَلَيْكَ الْحَبَالُ» (3). وفي قوله عن: « المعدل البكري، وأخذ بجُرْمٍ فكفل عنه
 النهس بن ربيعة العتكي، والعتيك من الأزدي، وكان حيث كفل به دفع إليه، فحمله على
 فرسٍ ويغلٍ وأمره أن ينجو بنفسه وأسلم نفسه مكانه، فقال له المعدل: أخيرك بين أن
 أمدحك أو أمتدح قومك. فاختر قومك فقال. ويروي أنه مرَّ على المهلب فقال لقومه:
 أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ قالوا: لا. قال: هذا المعدل الذي يقول فيكم، وأنشد هذا الشعر. فانطلق
 منهم مائة كهلٍ وأتوا بمائة وصيفٍ ووصيفةٍ وقالوا: أصلح الله الأمير، أعطه هذا عَنَّا وَقُلْ
 لَهُ يَغْذُرْنَا» (4).

لا يكتفي "الأعلام"، بذلك بل كان حريصا على إسناد كل شاعر إلى القبيلة التي
 ينتسب إليها،: «يقول يزيد بن الطثيرة القشيري، وقشير من الأزدي» (5)، ويقول أيضا: «
 قطري بن فجاعة المازني، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم» (6). ويقول: «

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 1020

(2) - المرجع نفسه، ص 1017.

(3) - المرجع نفسه، ص 981.

(4) - المرجع نفسه ص 951.

(5) - المرجع نفسه، ص 950.

(6) - المرجع نفسه، ص 117.

« الأخرم السنبيسي، من طيء » (1). ويقول: « القطامي، واسمه عمير شبيم وهو من بني تغلب بن وائل » (2).

أما إذا تعذر على "الأعلم" معرفة صاحب الشعر يصطنع عبارة" وقال آخر" (3) . ولكنه لا يقف عندها مشدوها بل قد يشفعها بذكر اسم الشاعر ، و « قالت امرأة من طيء، وهي عاصية البولانية » (4). وقال آخر : « وهو الغنوي » (5). أو كما قالت امرأة من العرب « وهي حميدة بنت النعمان ابن بشير الأنصاري، وكان تزوجها الحارث بن خالد بن العاص بدمشق... » (6). أو يكتفي بذكر القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر دون ذكر اسمه، من ذلك قوله: « قال رجل من طيء » (7). أو يُطلق عبارة « وقال بعضهم، ... قال أعرابي » (8) . وقس على ذلك (9).

ومن ثمّ، يحاول "الأعلم" أن يلقي شيئاً من الإيضاحات حول نسبة النص وتردد الحماسية بين اثنين أو أكثر ، كالحماسية التي نسبت إلى " عارق الطائي" وهو يهجو المناذرة، ويقال هي لثزملة الطائي على لسان عارق ، والتي مطلعها (10):

والله لو كان ابن جفنة جاركم لكسا الوجوه غضاضة وهوانا

أو الحماسية التي نسبت "للحزین اللیثی"، إذ قالها في "علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"م، وقيل أنها قالها في "عبد الله بن عبد الملك بن مروان"، ...

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص 203.

(2) - المرجع نفسه، ص 226.

(3) - ينظر: المرجع نفسه ، ص 872، 968، 458، 623، 741، 1140.

(4) - المرجع نفسه، ص 1029.

(5) - المرجع نفسه، ص 1009.

(6) - المرجع نفسه ، ص ، 1165،

(7) - المرجع نفسه ، ص 1198، 118، 1056، 1149، 1056، 997، 963،

(8) - المرجع نفسه ، ص 1196، 440، 1164، 1157، 1176، 1199.

(9) - ينظر: المرجع نفسه، ص 1134، 941، 1132، 953.

(10) - المرجع نفسه ، ص 1084.

وقيل إنَّ بعض هذه القصيدة للفرزدق في الحسين بن علي، وبعضها لجرير، وبعضها لداود بن سلم يمدح قُتَمَ بن العباس، وقيل هي لكُتَيْر السَّهْمِيَّ يمدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وهي (1):

إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَمِي الْكَرْمُ
وفي ذلك كله، يسعى "الأعلم" إلى تحقيق بعض الأسماء بهذه المناسبة وتمييزها عن نظائرها والتنبيه إلى ما يقع فيها من خطأ. من ذلك قوله: « وقال أبو الطَّمْحَانِ الْأَسْدِيَّ... ووقع في بعض النُّسَخِ أَبُو الطَّمْحَانِ، وَالصَّحِيحُ أَبُو الطَّمْحَانِ لِأَنَّ أَبَا الطَّمْحَانِ قَيْنِيَّ » (2). وقال أيضا: « قال جَوَّاسُ الضَّبِّيِّ، وَلَيْسَ بِجَوَّاسِ بْنِ الْقَعْطَلِ » (3). وقال: « عمرو بنُ الْهُذَيْلِ الْعَبْدِيُّ، وَيَقَالُ هِيَ لِرَجُلٍ مِنْ عَجَلٍ » (4).

وفي ذلك كله، يحاول "الأعلم" تصحيح رواية بعض الأشعار، والتي تنتسب إلى غير أصحابها، منه ما قاله « أَعْشَى رِبِيعَةَ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ بْنِ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ، ... وَتُرْوَى أَيْضًا لِمَشَاوِرِ بْنِ هُنْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ » (5). أو ما قالته ليلي الأَحْمَلِيَّةُ، فَإِنَّهُ « يُرْوَى لِحَمِيدِ بْنِ ثَوْرِ الْهَلَالِيِّ » (6). أمَّا ما « قاله الْمُتَوَكَّلُ اللَّيْثِيُّ مِنْ لَيْثِ بْنِ كِنَانَةَ، وَهُوَ جَاهِلِيٌّ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ، وَتُرْوَى لِبَعْضِ الْفَرَسِيِّينَ مِنْ وَدِّ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » (7).

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 935

(2) - المرجع نفسه، ص 1142.

(3) - المرجع نفسه، ص 1076.

(4) - المرجع نفسه، ص 1071.

(5) - المرجع نفسه، ص 943.

(6) - المرجع نفسه، ص 930

(7) - المرجع نفسه، ص 921.

وفي خضم كل ذلك، لا ينس "الأعلم" ذكر بعض مناسبات القصائد، فهو حريص على تسجيل الأسباب المُحَرِّكة، والعوامل المهيجة لقرائح الشعراء، والتي تجعل الشعر يسيل على ألسنتهم. فالحماسية التي مطلعها:»:

سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلًا
قالها حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ يَمْدُحُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ»(1).

أو ما قاله "عباس بن مرداس" في قتل أخيه هُرَيْمٍ(2):

أَبْلَغُ أَبَا سَلْمَى عَلَى نَائِي دَارِهِ مُغْلَغَةً مَنِي تَخُصُّ وَتَجْمَعُ
هذا ما يمكننا قوله في عبارة الاستهلال.

3- شرح الأبيات الشعرية:

الخطوة الأخرى من خطوات الشرح عند "الأعلم" هي شرح الأبيات الشعرية ، فإنها تتأرجح بين شرح البيت الواحد أو شرح أكثر من بيت.

فمما جاء في شرح البيت الواحد قول الآخر: »

وَأَعْرِضْ عَن مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا وَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاءً
يَقُولُ لَا أَطْعَمُ إِلَّا خَمِيصًا، كَرَمًا وَنَزَاهَةً، وَإِنْ كُنْتُ جَائِعًا مُحْتَاجًا. وهذا مثلٌ ضربه،
وإنما يريد: لا آتي من الأمور إلا أكرمها وأبعدها من اللؤم وإن كنت مضطرًا إلى إتيان ما لا
يَجْمَلُ منها».(3)

ومن أمثلة شرحه لأكثر من بيت قول أمية بن أبي الصلتِ يمدح عبد الله بن جُدعان

التَّيْمِيَّ»:

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ، إِنَّ شِيَمَتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص916.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص409.

(3) - المرجع نفسه ، ص623.

يقول حياؤك يَمْنَعُكَ من أن تُحْرَجَ إلى سؤالٍ، فأنت تُبَادِرُ المعروفَ قبل السؤال. وعطف قوله "وعلمك على قوله" حياؤك" أي علمك بما يجبُ عليك من حقِّ القاصد لك يَحْمِلُكَ على مبادرة المعروف وتَعْجِيلِ العطاءِ. و"الْفَرْعُ" كناية عن الشرف، وأصل الفرع العُصْنُ، لأنه أشرفُ ما في الشجرة وأعلى. و"المهْدَبُ" الخالصُ. و"السَّنَاءُ" الرِّفْعَةُ وهو ممدود، وسنى البرق ضوءه مقصورٌ» (1).

مثلا، يقول في شرح قول المثلَّم بن عمرو التَّنُوخِيّ، وثروى لرجُلٍ من هُدَيْلٍ:»:

إِنِّي أَبِي اللَّهِ أَنْ أَمُوتَ وَفِي صَدْرِي هَمٌّ كَأَنَّهُ جَبَلٌ
يَمْنَعُنِي لِنَدَّةِ الشَّرَابِ وَإِنْ كَانَ قِطَابًا كَأَنَّهُ الْعَسَلُ
حَتَّى أَرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَأَنَّهَا الْإِبِلُ

يقول: قد جعلني الله من الحَزْمِ وشرف الهِمَّةِ بحيث لا أقعد عن طلب ثارٍ ونِكايةِ عدوٍّ، ولا أنطوي على همٍّ كالجبل في النَّقْلِ يُنْعَصُ عليَّ العيشُ. والقِطَابُ" المزاج، وإذا مُرَجَّتْ الخمرُ كان أسلس لها وأعذب. والصَّمُوتُ" اسمُ فرسه. والأكْسَاءُ" جمع كسءٍ وهو مؤخر كل شيءٍ. يريدُ حتى يهزمَ أعداءَه فيسوقهم من ورائه كما تُساق الإبل وتُشدُّ». (2)

إنَّ "الأعلم" في شرحه هذا قام بتوزيع أبيات النص واحدا واحدا أو مثني مثني في أغلب الأحيان وقلما يتجاوز الثلاثة إلى الأربعة وخاصة في النصف الأول من الحماسة (3). كل ذلك وفق ما يقتضيه النص من حاجة إلى الشرح أو ما يحتضنه من مفردات وتعابير مستعصية أو ما يحمله من ملامح تخلق ارتباطا عضويا بين الأبيات أو معنويا لا يجوز تخطيه.

4- افتتاح الشرح بكلمة يقول:

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص 869.

(2) - المرجع نفسه، ص 300.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، "باب الحماسة"، ص 100.

من عادة "الأعلم" أن يفتتح شرحه بكلمة "يقول" مثلما كان يصنع وهو يشرح أبيات "سيبويه"، فيفتتح القول بعبارته "الشاهد فيه". يقول في شرح قول طرفة:»:

أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي؟
الشاهد في رفع أَحْضُرُ، لحذف النَّاصِبِ وتَعْرِيه منه، والمعنى لَأَنْ أَحْضُرَ الْوَعَى،
وقد يجوز النصب، بإضمار أن ضرورةً، وهو مذهب الكوفيين». (2)

وهذه العبارة المختزلة الصادرة عن "الأعلم" تبين ضرباً من التباين الجوهري في الغاية التي من أجلها أَلَفَ الكتابين حيث يكون المعنى والتفسير هاهنا مقدماً ويكون الشاهد النحوي هناك رائداً، ثم يردف تلك العبارة بنثر يُلَخِّصُ معنى ما تقدّمها من شعر أو جزء منه في جمل حسنة الترتيب واضحة الدلالة. كشرحه قول مَرّة بن مَحْكَان التميمي:»:

لَا يَنْبُحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلْفًا عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا
يقول: لشدة البرد لا يَنْبُحُ الْكَلْبُ إِلَّا نَبْحَةً وَاحِدَةً ثُمَّ يُلْوِي ذَنْبَهُ عَلَى أَنْفِهِ مُتَدَقِّقًا بِذَلِكَ.
و"الْخَيْشُومُ الْأَنْفُ". (3)

أو كشرحه قول خلف بن خليفة، ويقال إنها للحارثي:»:
فَمَا حِيلَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ بِكَ رَحْمَةً عَلَيَّ وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ
وقوله "رحمة علي" كان الوجه رحمة لي، لأنك تقول رَحِمْتُهُ وكانت مِنِّي رَحْمَةٌ لَكَ،
ولا تقول رَحِمْتَ عَلَيْهِ، ولكن لَمَّا كَانَتْ الرَّحْمَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْعَطْفِ وَالْحُنُوقِ عَضْدَاهَا بِعَلَى،
لأنك تقول عَطَفْتَ عَلَيْهِ وكانت مِنِّي عَطْفَةً عَلَيْهِ. ورفع "فَأَصْبِرُ" على القطع ولو نصبه على
الجواب بالفاء لكان أجود». (4)

أو كشرحه قول "أبو العطاء السندي" يرثي يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الْفَزَارِي:»:

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، تح: درية الخطيب، ولطفي الصقّال، المؤسسة العربية، ط2، بيروت، 2000، ص45.

(2) - الأعلام الشنتمري، تحصيل عين الذهب، شرح سيبويه، ص34.

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص959.

(4) - المرجع نفسه، ص786.

فَإِنْ تُمْسِي مَهْجُورَ الْفِنَاءِ، فَرَبِّمَا أَقَامَ بِهِ، بَعْدَ الْوُفُودِ، وَوُفُودٌ
يقول: **إِنْ هُجِرَ فَنَاؤُكَ بِفَقْدِكَ** وانقطاع الرجاء منك، فقد كُنْتَ في حياتك معمورَ
الفناء، تَأْمِيلاً لَكَ وَطَلَبًا لِمَعْرُوفِكَ، كَلَّمَا رَحَلَ عَنْهُ وَفَدَّ حَلَّ بِهِ وَفَدَّ». (1)

كانت إذا أفاظ الأبيات السابقة الذكر سهلة ميسورة الفهم، لا تحتاج إلى شرح، لذا
لجأ "الأعلم" إلى شرح المعنى مباشرة وذلك ضمن سياق البيت مباشرة.
هذا، وقد يفتح الشرح بكلمة "يقول" أو "تقول" متلوة بلفظة أو عبارة من المشروح تمتل
حجر الزاوية فيه أو في البيت الأول ويتصدى لها بالشرح والإيضاح ليفضي عن طريقها إلى
هناك المعنى وتبسيطه ويكشف عن المضمون ويضعه أمام القارئ مشرقاً واضحاً لا غبار
فيه. الأمر الذي يدل على قدرة فائقة في تحريك مفاتيح النص ويعكس درية طويلة وبراعة
في التبليغ ومعاناة راسخة في حقل التدريس واستلانة لما يستوعره المتعلم وما يمكن أن يبيل
أوامه بلمسات سحرية رقيقة تذوقه النص بأوجز عبارة وأقرب طريق. كشرحه قول قيس بن
الخطيم الأنصاري الأوسي:»

مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا
يقول: كانت حاجات نفسي في إدراك تآري فقضيتها بإدراكه فما أبالي متى متُّ.
وقوله: "قضيتُ قضاءها" أي قضيتها قضاءً، فقدّم "القضاء" وأضافه إلى ضمير "الحاجة"
كما تقول قُصدتُ قضاءها أي قصدته قصدًا، ويجوز أن يكون "قضيتُ" بمعنى أحكمتُ ،
فيكون التقديرُ أحكمتُ قضاءها، أي جوّدته وبالغتُ فيه». (2)

وذلك يظهر جلياً، في شرحه قول جميل وقد حارب القبيلة التي منها بُئينة:»

كَأَنَّ لَمْ نُحَارِبْ يَا بُئِينُ، لَوْ أَنَّهَا تَكْشَفُ عَمَّاها، وَأَنْتِ صَدِيقُ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص482.

(2) - المرجع نفسه ، ص104.

وقوله "كأن لم نُحارب" أي لو انجَلت تلك الحربُ التي بينَ قَوْمِي وقَوْمِكَ وأنتِ لي

صديقٌ وصولٌ لهانتَ عَلَيَّ ولكنها أوجبتَ البُعدَ بيننا والقطيعةَ فتضاعفتَ شدتها». (1)

أو ما نجده في شرحه قول نافع بن سعد الطائي:»:

وَلَسْتُ بِلَوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وقوله "وَلَسْتُ بِلَوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ" أي لا أَفْصِدُ بِلَوْمِي عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ يَفُوتُ

صَاحِبِي إِلَّا تَأْدِيبَهُ وَوَعظَهُ وَالتَّقَدُّمَ فِي إِرْشَادِهِ وَتَبْصِيرِهِ، وهذا كما قال الآخر: (2)

قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَحْيَى مِنْ شِمَالِيَا

والتَّقْدِيرُ وَلَكِنْ أَلَوْمُهُ لَعَلِّي أَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ بِالموعظة، أي أَلَوْمُهُ رَجَاءٌ لِهَذَا». (3)

هذا هو "الأعلم" في شرحه، نلمس صدق قوله، فلا إفاضة ولا استطراد، جعلنا ندرِك

جوانب معنى البيت بأقلّ قدر من الكلمات والإشارات.

5- علوم اللغة في شرح "الأعلم":

عالج "الأعلم" في شرحه لحماسة "أبي تمام" قضايا لغوية متنوعة، منها ما يتّصل

بغريب الألفاظ، ومسائل الاشتقاق، وتحديد الأوزان، والأضداد والمعرب، ولغات بعض

القبائل، وغيرها ممّا يُعيّن على فهم لغة "أبي تمام" وإزالة الغموض عنها.

5-1- شرح الكلمات الغامضة:

إذا أراد "الأعلم" شرح الكلمات الغامضة التي يصعب فهمها، قدّم ما يُشعر بمعالجة

أهمها ممّا قد يساعد على فهم غيرها وتمزيق قناع الشعر تمزيقا أوليا، مثل ما جاء في شرح

قول دُرَيْدُ بن الصَّمّة الجُشمي:»:

فَإِمَّا تَرِينَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ نَسَعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص855.

(2) - البيت لعبد يغوث في اللسان مادة (شمل)، ص2329. وصدر البيت: أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَأَمَةَ نَفَعُهَا.

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص683.

يقول: الواثِرُ: ذو الوَثْرِ وهو الذَّخْلُ والحَقْدُ في الدَّمِ، أي إن قُتِلْنَا وكانت دماؤنا عند ذي وَثْرٍ يَنْهَضُ بها، ما عاش، فتلك عادة القدر فينا، لأننا لا نموت حَتْفَ أنوفنا فنحن طالبون بدمائنا ، حتى نَقُتِلَ من أعدائنا مرَّةً ويقتلوا منا أخرى»(1).

أو ما جاء في شرح قول العباس بن مرداس السلمي:»

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدِرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَاصِرٌ
"الهَاصِرُ" الذي كأنه يَجْذِبُ الأشياءَ إليه غلبةً وظهورًا، يقال: هَاصِرَتُ الغصنَ إذا جَذَبْتَهُ إليك، أي قد يكون الحقيِرُ المنظرَ عظيمَ المخبرِ فلا ينبغي ن يُزْدَرَى، ويروى "أسدٌ يَزِيرُ" أي يَزِيرُ، فأبدل الهمزة ياءً ونقلَ حركتها إلى الرَّاي وأجراه على يبيع ونحوه من المعتل العين، ويروى "مَزِيرُ" وهو العظيمُ الخلقِ الشديدُ»(2).

وهو يشرح الكلمات الغامضة يعتمد "الأعلم" على الاشتقاق لإزالة الغموض عنها، مثل كلمة "التنواط" التي وردت في بيت سعد بن مالك بن قيس بن ضبيعة جد طرفة:»

وَتَسَاقَطُ التَّنَوَاطُ وَالذُّ نَبَاتٌ، إِذْ جُهَدَ الفِضَاحُ
"التَّنَوَاطُ" هنا التَّبَعُ والأدعياء، وهو اسم واحد يقع على جمع لأنه مصدر، واشتقاقه

من ناط الشيء ينوط إذا تعلق، ومنه مناط النُّريا»(3).

أو ما جاء في شرح قول أبي بن سلمى بن ربيعة:»

وَحَيْلٌ تَلَافَيْتُ رِيْعَانَهَا بِعِجْلَةٍ جَمَزَى المَدَّخِرُ
"ريعانُ" الشباب أوله، واشتقاقه من راع العجين ريعًا إذا زادَ ونما، لأنَّ نماء الشيء من أوله وإقباله، وإنما يريد أول جزي الخيل عند سنِّ الغارة. والعِجْلَةُ الفرسُ الصُّلبة المكتنزة».(4)

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص514.

(2) - المرجع نفسه ، ص667.

(3) - المرجع نفسه، ص171.

(4) - المرجع نفسه، ص237.

ولا يفوت " الأعلام" في هذا المضمار ، تحليل أسماء الشعراء إشتقاقياً، كاسم "تماضر" الذي جاء في بيت سُلمِي بن ربيعة من بني السّيد بن ضبّة»: **حَلَّتْ تُمَاضِرُ عَزْبَةً فَاحْتَبَّتْ فَجَاً، وَأَهْلُكَ بِاللَّوِي فَالْحَلَّتِ** "تماضر" اسم امرأة مشتقّ من المَضِيرَة وهي طبيخٌ من لحم ولينٍ ماضر، وهو الحامض، ومنه اشتقاق مُضَر لبياضه»(1).

وفي هذه المضمار يشير "الأعلام" إلى أصل بعض الألفاظ، منها كلمة "الترشيح" الواردة في بيت سعد بن ناشب المازني»: **فِيَا لِرِزَامِ رَشِّحُوا بِي مَقْدِمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَائِبَا**

"...والتَّرْشِيحُ" النهيئة والإعداد، وأصلُ التَّرْشِيحِ تَحْرِيكُ النَّاقَةِ الوحشية ولدها للثُهْوِض، و"التَّرْشِيحُ" أيضا تغذيةُ الولد وحسُنُ القيام عليه»(2).

ومنها أيضا كلمة "المليئة" وهي حرارة الصدر من الحزن، وأصلها من المَلَّةِ وهي الرَّمَادُ الحارُّ الواردة في بيت فِدْكَيِّ البَهْرَانِيّ يمدح علقمة بن سيفِ العَتَابِيّ: (3)

وَلَقَدْ شَفَيْتُ مَلِيَّتِي فَتَمَيَّتْ عَنْ آلِ عَتَابٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ
أو مثل كلمتا "الموماة" و "يَعْرُورِي" الواردة في قول تَابُطِ شَرًّا»: **يَظُلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ**
ومعنى "يَعْرُورِي" يركبها على صعوبتها ، وأصلُ الإِعْرِيرَاءِ أَنْ تُرَكِبَ الدَّابَّةُ عُرْيًا لِأَنَّ

ذلك أصعبُ من ركوبها مُسْرَجَةً»(4). والأمثلة على ذلك كثيرة.(5)

هذا، وقد يعالج "الأعلام" الكلمات بالتتابع مقتفيا الترتيب الذي رصت به في الشعر، الأمر الذي يُبَيِّنُ النفاذ إلى تجسيد المعنى، من ذلك ما نجده في شرح بيت مِلْحَةَ الْجَرْمِيّ:»:

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص163.

(2) - المرجع نفسه، ص114.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص889.

(4) - المرجع نفسه، ص256.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، ص899، 1012، 932، 169، 404، 668.

تَحْنُ بِأَجْوَازِ الْفَلَا قُطْرَاتُهُ كَمَا حَنَّ نَيْبُ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ
 "والأجوازُ" الأوساطُ. و"الفلأ" جمع فلاتٍ. و"القطراتُ" جمع قطرةٍ، وإنما يريدُ كثرةَ
 الأمطارِ وتواليها. و"حنينها" صوتُها عندَ وقْعِها، و"النَيْبُ" المُسِنَّةُ من النوقِ «(1).

أو ما جاء في شرح قول آخر من بني مازن:»

أَقُولُ وَسَيْفِي فِي مَفَارِقِ أَغْلَبٍ وَلَقَدْ خَرَّ كَالْجِدْعِ السَّحُوقِ الْمَشْدَبِ
 "المفارق" جماعةُ مفريقِ الرأسِ، و"أغلبُ" هنا اسم رجل، و"الأغلبُ" الغليظُ الرقبة.
 و"الجذعُ" أصلُ النخلة. و"السحوقُ" الطويلُ البعيدُ النهاية، والسحوقُ البُعد. و"المُشدَّبُ" الذي
 نُزِعَ شَوْكُهُ وَقُطِعَتْ جَرْدَتُهُ فَطَالَ فِي السَّمَاءِ»(2).

وقد يعتمد "الأعلم" في شرحه للكلمات الغامضة على ما يسمى بالأضداد، فكانت
 ووقفته في لفظة "المتقاعس" التي وردت في بيت أعرابيٍّ من بني سعد بن زيد مناة بن تميم:»
 تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْغَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ
 "المتقاعِسُ" الذي يُدْخِلُ ظَهْرَهُ وَيُخْرِجُ صَدْرَهُ، وَالْقَعْسُ ضِدُّ الْحَدَبِ، وَالْعِرْزَةُ الْقَعْسَاءُ
 الشامخةُ بأنفِها، لأنَّ الأَفْعَسَ يمشي مُنْتَصِبَ الرَّأْسِ شامِخَ الأنفِ، والأحدبُ ناكسُ الرأسِ ،
 لانحناء ظهره، خاشعُ الأنفِ»(3).

ووقف أيضا عند لفظة "الوُقْعُ" التي جاءت في بيت موسى بن جابر:»
 فَمَا نَفَرْتُ جَنِّي وَلَا فُلَّ مِبْرَدِي وَلَا أَصْبَحْتُ طَيْرِي مِنَ الْخَوْفِ وَقَعًا
 و"الوُقْعُ" الواقعةُ بالأرضِ، واحدها واقِعٌ، وهو ضدُّ الطائرِ، والطائرُ إذا فزع من جارِحٍ
 يصيدهُ رمى بنفسِه على الأرضِ خوفا واستتارًا، فضرِبَ بذلك مثلاً»(4).

هذا، وقد يقوم "الأعلم" في شرحه بتقديم النظر، مثل ما ورد في شرح قول رُوَيْشِدُ
 بِنُ كَثِيرِ الطائِيَّ:»

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص1113-1114.

(2) - المرجع نفسه، ص118.

(3) - المرجع نفسه، ص426.

(4) - المرجع نفسه ، ص399.

وَقُلْ لَهُمْ: بَادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالتَّمَسُّوا قَوْلًا يُبْرِئُكُمْ، إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ
إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبِ عِنْدَكُمْ فَوْتُ

ومعنى قوله "فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبِ عِنْدَكُمْ فَوْتُ" أي لا يفوتني العفو عن ذنبكم والإبقاء عليكم ، فقال " فما عليّ بذنبٍ " وهو يريدُ بتجاوزه العفو عنه اختصارًا لعلم السامع، ونظيره أن تقول إن أذنبت فلا يضيقُ عليّ ذنبك ، أي لا يضيقُ عليّ العفو عنه»(1).

أو ما جاء في شرح قول الآخر:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهُ
وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطَرَبَ الْأَرْشِيَةَ
وَشُدَّ فَوْقَ بَعْضِهِمْ بِالْأَرْوِيهِ
هُنَاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي بِيهِ

يقول "الأعلم": و"الأنجيه" جمع نجى، وهُمُ الْقَوْمُ الْمُتَنَاجُونَ مِنَ النَّجْوَى، وهي السِّرُّ، وَنَجِيٌّ اسم واحدٍ يُوَدِّي عن جمع، كما قال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾ (2)، أي متناجين، ونظيره قوم رفيقٌ وظهيرٌ وصديقٌ، وإنما يتناجى القوم عند شدة الأمر ، من حرب وغيرها»(3).

أو ما جاء في شرح قول الحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرِ الْأَسَدِيِّ :

لَهُ يَوْمٌ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبُوْسٌ وَيَوْمٌ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعَمٌ
يقول: و"الأنعم" جمع نعمة على غير قياس، ونظيره شِدَّةٌ وَأَشَدُّ». (4)

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص159.

(2) - سورة يوسف، الآية80.

(3) - المرجع نفسه، ص443.

(4) - المرجع نفسه، ص928. وينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 694، ص 1118 إذ أوردها في باب الأضياف.

ونظرا للأهمية التي أولاها "الأعلم" للكلمات الغامضة، يأخذ البيت من نهايته ويشرح في شرح آخر مفردة فيه ثم يندفع يسارا مُقلِّبا النظر في باقي كلماته المستعصية، مثل شرحه قول سعد بن ناشب المازني من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم:»:

إِذَا هَمَّ ألقى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
"العواقب" أواخرُ الأمور، وعاقبةُ كلِّ شيءٍ آخره، "والتَّنْكِيبُ" عن الشيء العدولُ عنه.

أَي لَا أَتَهَيَّبُ سِوَاءَ الْمَعَبَّةِ فِيمَا أَهْمُ بِهِ، فَأُنْكَلُ عَنْهُ لِحُرَاتِي وَإِقْدَامِي»(1).

كذلك ما نجد في شرحه قول كلثوم بن صَعْبٍ:»:

فَلَيْتَ عَدَا يَوْمٍ سِوَاهُ وَمَا بَقِيَ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلٌ يَحْبِسُ النَّاسَ سَرْمَدًا
"وَالسَّرْمَدُ" الدَّائِمُ. وقوله "يَحْبِسُ النَّاسَ" أَي يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيَسْكُنُونَ فِيهِ. و"بَقِيَ"
لُغَةٌ طِيَّةٌ، يَفْرُونَ مِنَ الْكِسْرَةِ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَتَقْلَبُ الْيَاءُ أَلْفًا، وَهَمَّ مَعَ ذَلِكَ يَعْتَقِدُونَ الْكِسْرَ
بقولهم في المستقبل يَبْقَى عَلَى الْأَصْلِ»(2).

أو ما جاء في شرح قول رجلٍ من بني نصر بن فُعَيْن، وهم من بني أسد:»:

أَبْنَعُ قِبَائِلَ جَعْفَرٍ إِنْ جِئْتَهَا مَا إِنْ أَحَاوُلُ جَعْفَرَ بْنَ كِلَابٍ
"جَعْفَرُ بْنُ كِلَابٍ" بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان ، وأراد "بقبائل

جعفر" بني جعفر بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة من بني تميم»(3).

مما ينبغي الإشارة إليه، أن "الأعلم" ينبه على الألفاظ إذا استعملت في غير حقيقتها، مُقدِّمًا لشرحها بكلمة "أراد" أو ما يشبهها ليخصص المعنى المطلوب ويميزه عن غيره وربما أشار إلى معاني المفردات في بعض لغات القبائل العربية وقارنه بما في لغة غيرهم. من ذلك شرحه قول ملحَّة الجرمي:» :

تُبَارِي الرِّيَّاحَ الْحَضْرَمِيَّاتِ مُزْنُهُ بِمُنْهَمِرِ الْأُرَاقِ ذِي قَرَعٍ رَفْضِ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص115.

(2) - المرجع نفسه، ص767.

(3) - المرجع نفسه، ص459.

أراد "بالحضرميات" الرياح اليمانية، وهي الجنوب، ونكباواتها. و"المُنْهَمِرُ" السائلُ المُنْسَكِ. و"الأرواق" النَّوْاحِي. و"الْقَرْعُ" قَطْعُ السَّحَابِ واحِدُهُ قَرْعَةٌ. و"الرَّفْضُ" المُتَفَرِّقَةُ. وإذا تَفَرَّقَ السَّحَابُ كانَ مَطْرُهُ شَائِبِبَ فكانَ أروى للأرضِ» (1).

كذلك شرحه قول مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ:»:

وَإِنِّي لَأَدْعُو الضَّيْفَ بالضَّوِّعِ بَعْدَمَا كَسَا الأَرْضَ نَضَّاحَ الجَلِيدِ وَجَامِدُهُ
يُرِيدُ أَنَّهُ أوقد نَارَهُ للضَّيْفِ الطَّارِقِ لِيَهْتَدِيَ بضوئها في لَيْلَةٍ من لِيَالِي الشَّتَاءِ، شديدة
البرد، وقد نَضَحَ وَجْهُ الأَرْضِ بها الجَلِيدُ، و"النَّضْحُ" الرَّشْحُ. و"الجامدُ" ما صَلَبَ منه فلم
يَسِيلُ» (2).

أما ما يمكن الإشارة إليه في وجود مفردات في لغات قبائل العرب، مثل كلمة "المُشِيخُ" الواردة في بيت عمرو بن الإطنابة الأنصاري:»:

وَإِجْشَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً البَطْلِ المُشِيحِ
"والمُشِيخُ" والمشايعُ الجادُّ في لغة هذيل، وفي لغة غيرهم المُحَاذِرُ، يقال: شاح في
أمره، وَأَشَاحَ إِذَا جَدَّ فِيهِ، وَرَجُلٌ مُشَائِحٌ وَمُشِيخٌ وَشِيخٌ» (3).

كذلك شرحه قول: العَجِيْرُ السَّلُولِيَّ:»:

لَكَ الخَيْرُ عَلَّانًا بِهَا عَلَّ سَاعَةً تَمَرُّ وَسِعْوَاءٌ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ (4)
وقوله "علَّانًا بها" أي عَلَّانًا بالخمر. وقوله "علَّ" أرادَ لَعَلَّ، وهي لغة» (5).

و في شرحه قول الآخر:»:

رَعَاكَ ضَمَانُ اللهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
وَلِلَّهِ عَن يَشْقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعُ (6)

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 1114.

(2) - المرجع نفسه، ص 970.

(3) - المرجع نفسه، ص 174.

(4) - سعواء: وردت في شرح المرزوقي: ينظر الحماسية 706، ص 1131. (وسهوانٌ وبيروى وسهواء). وينظر شرح التبريزي، ج 4، ص 80. وتروى: (وسهواء).

(5) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 875.

(6) - يَشْقِيكَ: وردت في شرح المرزوقي: أن يَشْقِيكَ. ينظر: الحماسية 518، ص 921.

وقوله "عَنْ يُشْتَقِّكَ" أراد عن أن يُشْتَقِّكَ فحذف "أَنْ" وكسر الياء ضرورةً، ويجوز أن يكون "عَنْ" هنا بمعنى أَنْ، وهي لغة تميم، تُعْرَفُ بِعَنْعَنَةِ تَمِيمٍ»(1).

وفي شرحه أيضا قول سنانُ بِنُ فَحَلِّ الطائِي:»

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي وَبِئْرِي ذُو حَفْرَتُ وَذُو طَوَيْتُ
"ذو" بمعنى الذي والتي في لغة طيء، وهي على لفظ الواحد في الرفع والنصب والخفض والمذكر والمؤنث، بمنزلة مَنْ وَمَا وَأَيُّ، لأنها مبنية لصلتها بما بعدها، فهي بعضُ كلمة، وبعضُ الكلمة مبنيٌّ، ويروى "ومائي ذُو حَفْرَتُ"»(2).

وفي شرحه قول عارق الطائِي يخاطب عمرو بن هندٍ:»

لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لِأَنْتَحِينَ الْعَظْمَ ذُو أَنَا عَارِقُهُ
وقوله "لِأَنْتَحِينَ الْعَظْمَ ذُو أَنَا عَارِقُهُ" أي لأقصدنَّ قَصْدَهُ بِالْهَجْوِ وَالنَّيْلِ مِنَ الْعَرِضِ، وضربَ عَرَقَ الْعَظْمَ مَثَلًا، وَعَرَقُهُ أَكَلُ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ، وبهذا البيت سُمِّيَ عَارِقًا.
"وذو" بمعنى "الذي" في لغة طيء»(3).

إذا، إنَّ "الأعلم" حاول أن يفسر غريب ألفاظ "أبي تمام" معتمدا على مختلف الصيغ اللغوية، المهم أن يتحصل القارئ على فهم جيد للفظ.

إن لم يكن ذلك، يورد "الأعلم" بدل الكلمة الجملة الشعرية برمتها من غير أن يغير منها، تقديمًا أو تأخيرًا أو حذفًا، ويظهر ذلك جليًا في شرحه قول يزيد بن الجهم الهلالي:»

فَإِنِّي امْرُؤٌ عَوَّدْتُ نَفْسِي عَادَةً وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
وقوله "وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تَعَوَّدَا" أي لو اعتدَّتُ الْبُخْلُ اعْتِيَادِي الْجُودَ لِأَطْعَمْتُكَ
فيما دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ، وَلَكِنِّي اعْتَدْتُ الْجُودَ فَلَا سَبِيلَ إِلَيَّ تَرَكَهُ، لِأَنَّ تَرَكَ الْعَادَةَ شَدِيدٌ»(1).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 846.

(2) - المرجع نفسه، ص 168.

(3) - المرجع نفسه، ص 1100.

وتكون تلك الجملة مجموع شطر البيت أو ما يشيع في معظمه صدرا وعجزا،
ويعالجها بالشرح مستعينا بأبي أو "يعني" أو "معناه" وغير ذلك مما يردفها.

من ذلك شرحه قول دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ الجُسَمِيِّ:»

وَعَبْدُ يَغُوثَ تَحَجَّلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ المَصَابُ حَتَّى قَبْرٍ إِلَى قَبْرِ
أَبِي القَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةٍ إِنَّهُمْ أَبُوا غَيْرَهُ، والقَدْرُ يَجْرِي إِلَى القَدْرِ

قوله "تَحَجَّلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ" أي هو قَتِيلٌ تَقَعُ الطَّيْرُ عَلَيْهِ "تَحَجَّلُ"، يريد الغريبان، لأنَّ الغراب "يَحَجَّلُ" في مَشِيهِ، وهو مَشِيُّ المُقَيَّدِ. وقوله "وَعَزَّ المَصَابُ حَتَّى قَبْرٍ" أي عَزَنِي وغلَبَ صَبْرِي قَبْرٌ حَتَّى الترابِ على المدفون فيه، مضموم إلى قبر آخر، وأراد "بالمصاب" نفسه، ونصبه "بعزاً".

وأراد "بآل صمّة" نفسه وإخوته ومن دنا من أهله، أي لا يموتون حَتْفَ أنوفِهِم، لأنهم أهلُ حُرُوبٍ طالبون فيها مطلوبون. وقوله "والقَدْرُ يَجْرِي إِلَى القَدْرِ" أي قَدَّرَ اللهُ ذلك عليهم فلا يتعدّونه»(2).

ومن ذلك أيضا شرحه قول الآخر:»

فَأَوْفَضَنَ عنها وهي تَرْغُو حُشاشَةً بِذِي نَفْسِهَا، والسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ
يقول لما عُقِرَتْ ثُمَّ نُحِرَتْ "أَوْفَضَ" عنها صواحِبُها، أي أَسْرَعَنَ نافرَاتِ
عنها. و"الحُشاشَةُ" بقية النفس، ونصبها على الحال من الضمير في قوله "عنها" والضمير في
"ترغو" والمعنى ذات حُشاشَةٍ. ويجوز نصبها على التمييز، والمعنى ترغو حُشاشَتُها»(3).

وربما تصرّف في الجملة بالحذف فشرح مفرداتها وقرب معناها، ثم عاد إلى المحذوف منها فعالجه بما يناسب أهميته ومكانته الوظيفية، مبددا التراكم اللغوي والخزونة المتراكبة فيها. كشرحه قول عَدِيِّ بْنِ الرَّعْلَاءِ:»

رُبَّمَا ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ بَيْنَ بُصْرَى وَطَغْنَةَ نَجْلَاءِ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص895.

(2) - المرجع نفسه ، ص513.

(3) - المرجع نفسه، ص975.

أراد رُبَّ ضربةٍ ضربتها وطعنة نجلَاءَ طعنَتْها، فحذف لعلم السامع. وقوله "بينَ بُصْرَى" أراد بين بُصْرَى وموضعٍ آخر "يليه" فحذف، لأنَّ "بين" تقتضي حاجزا بين شيئين ،يحتملُ أن يريدَ بين نواحي بُصْرَى ، فحذف، لأنَّ بصرى وإن كانت بلدةً بعينها فهي تقعُ عليها وعلى ما يليها من أقطارها وأعمالها»(1).

أو ما جاء في شرح قول رجل من يَشْكُرُ فيما كان بينهم وبين بني ذُهَلِ بنِ شيبان: «: فَإِنْ تَرَضَوْا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَإِنْ تَأَبَوْا، فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ يقول إن رضيتم بمن قتلنا منكم عن المُعَلَّى فقد رَضِينَا، وإلا فالحرب بيننا وبينكم. وقوله "فأطرافُ الرِّمَاحِ" مبتدأ، وخبره محذوفٌ لعلم السامع، والتقدير فإطراف الرماح حاكمةٌ بيننا وبينكم»(2).

وقد يسوق في بعض الأحيان تلك الجملة على ما تقدّم ليؤيّد بها رواية أو وجهها من أوجه الشرح المحتملة في الشعر. من ذلك شرح قول دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ الجُسَمِيِّ: (3)
قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرٍ
وقوله "قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ" أي مرّة ننالُ من عَدُوِّنَا ومرّة يُنالُ مِنَّا، لأنَّا أهلُ حروب
نُصِيبُ مرّةً ونُصَابُ أُخْرَى، كما قالت الخنساء(4):

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلَاقِي الحُرُوبَ بَأَنَّ لَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا
أو ما جاء في شرح قول نَهْشَلُ بنِ حَرِيٍّ الدَّرَامِيِّ، أو الشَّمْرَدَلُ بنِ شَرِيكِ: «: وَمَنْ يَرِ بِالأَقْوَامِ يَوْمًا يَرَوْنَ بِهِ مَعْرَةَ يَوْمٍ ، لَا تُورَى كَوَاكِبُهُ
وقوله "وَمَنْ يَرِ بِالأَقْوَامِ يَوْمًا يَرَوْنَ بِهِ" أي من رأى حوادثَ الأمورِ حالةً بغيره فسيراها تحلُّ به، لأنَّ الدهرَ يعمُّ بحوادثه»(5)، وهذا كما قيل في المثل: (1)

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص109.

(2) - المرجع نفسه، ص175.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص515.

(4) - ينظر: الخنساء، الديوان، ص66.

(5) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص455.

مَنْ يَرِ يَوْمًا يَرِ بِهِ وَالدَّهْرُ لَا يُغْنِي بِهِ
 أو ما جاء في شرح قول العباس بن مرداس السلمي، وتروى لكثير عزة، ويقال هي
 لمعاوية بن مالك الكلابي المعروف بمعوذ الحكماء:»:

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا وَأُمُّ الطَّيْرِ مِقْلَاتٌ نَزْرُ
 ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَبِيرًا وَأَصْرَمُهَا اللُّوَاتِي لَا تَزِيْرُ
 "البُغَاثُ" كلُّ ما لا يصيدُ من الطيرِ وإن جَلَّ منظرُه، و"المقلاَتُ" التي لا يعيشُ لها
 ولدٌ. و"الْقَلَّتُ" الهلاك. و"النزورُ" القليلة الولد. وكان وجه الكلام أن يقول مُنَزَّرٌ لأنَّه يقال
 أَنْزَرَتِ المرأَةُ فبناه على نزور للمبالغة.

وقوله "ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَبِيرًا" كأنَّ فيه نقضًا، لما وَصَفَه من أنَّ حِقارةَ المنظر لا
 تَضُرُّ مع حِقارةِ المُخبر، ولا نقض فيه، لأنَّه قابلٌ عِظَمَ المَنْظَرِ بكثرةِ الزبيرِ، وضعفَ
 القلوب بتقصيرِ المُخبر، وكذلك رواية من روى "صِغَارُ الْأَسَدِ". ومعنى أصرمها أجْرُمُها
 وأشدُّها إقْدامًا»(2).

هذا، فإنَّ "الأعلم" وهو يشرح اللغة، على مستوى اللفظة أو التركيب، عبّر عن الوقوع
 في نوع من الاضطراب والتردد، فيقلب بين الأبيات المقدّمة مبتدئًا من أولها مُتتفلا إلى ما
 يليه، ثم عائدًا من حيث ابتدأ وهكذا، أو أنّه يعمد إلى مناقشة بعض ما في الأول من
 مفردات ثم يعمد إلى الثاني فيضع مثل ذلك أو يشرحه، حتى إذا أدمن النظر أو انتبه وبعد
 أن يكون القارئ قد قرّر قراره على أنَّ عملية الشرح قد أشرفت على الانتهاء وأنَّه على وشك
 الانتقال إلى أبيات أخرى، يتبيّن له أنّه مازالت فيه بقيّة من غموض فيكّر عليه ويعمد إلى
 شرحه. مثل ما جاء في شرح قول المعذلّ البكري:»:

هُمُ يَفْرِشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَاحٍ يَبْدُ الْمَعَالِيَا

(1) - البيت غير منسوب. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 455..

(2) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 668.

يقول: "واللِّبْدُ لِبْدُ السَّرِجِ، أي هم أهل حروبٍ فهم يُعِدُّون لها الخيلَ والمِهَارَ. و"الطَّمْرَةُ" الفرسُ الوثوبُ. و"السَّبَاحُ" الجوادُ الذي كأنه يسبحُ في جَرِيهِ. ومعنى "يَبْدُ" يسبقُ. و"المُغَالِي" المُجَارِي، والغَلْوَةُ طَلْقُ الفرسِ»(1).

طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضًا فِي رِحَالِهِمْ إِذَا الْمَوْتُ لِلْأَبْطَالِ كَانَ تَحَاسِيًا
و"فَوْضَى فَضًا" أي مباحٌ مشتركٌ، و"فوضى" من قولهم فَوَضْتُ إِلَيْهِ الْأَمْرَ إِذَا أَلْفَيْتُهُ إِلَيْهِ ، و"فَضًا" مشتقٌّ من قولهم فضا الشيءُ يَفْضُو فُضُوا إِذَا اتَّسَعَ، ومنه الفضاءُ من الأرض. وقوله "لا يُحْسِنُونَ السِّرَّ" أي لا رِقَبَةَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحَدٍ لِأَتَمَّ سَادَةً، فَكَلَامُهُمْ نِدَاءٌ لَا سِرًّا ، وَيَكُونُ أَيْضًا لَا يَنْطِقُونَ بِرَبِيَّةٍ وَلَا خَنًا فَيَسْتَتِرُوا بِذَلِكَ(2)، وهو ضدّ قول الآخر: (3)

طَوِيلًا تَتَّاجِبُهَا صَعَارًا قُدُورُهَا

هذا، ودون أن ينسى "الأعلم"، ينبّه على الكلمات الدخيلة ويذكر أصولها في اللغة التي انتقلت منها، أو على ما تباين منها في عدد من اللهجات التي كانت منتشرة في البيئة العربية وظلت آثارها أو آثار بعض مفرداتها موجودة في الشعر العربي. من ذلك شرح كلمتا "الخورنق والسدير" الواردة في بيت المنخل بن الحارث الشكري:»:

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَأَنِّي رَبُّ الْخَوْرَنْقِ وَالسَّدِيرِ
و"الْخَوْرَنْقُ وَالسَّدِيرُ" قصران بالحيرة كانا لآل المنذر بن ماء السماء اللخمي، وهما فارسيان مُعَرَّبَان»(4).

وهو يذكر الكلمات الدخيلة، يشير إلى أصل بعضها ، مثل كلمة "الْيَارِقُ" الواردة في بيت شُبْرَمَةَ بن الطُّفَيْلِ:»:

لَعَمْرِي لَرِنْمٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ مُحَرَّرٍ أَعْرُ عَلَيْهِ الْيَارِقَانِ مَشُوفٌ

و"الْيَارِقُ" السَّوَارُ، وهو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ يَارَهُ، فَعَرَّبَ»(1).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص952.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - البيت غير منسوب، ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص952.

(4) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص221.

كذلك لفظة "الخَيْرُ" الواردة في بيت العباس بن مرداس السلمي:»:

وَمَا عِظْمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
"الخَيْرُ" الكرم، ويقال هو فارسيٌّ معرب، والخَيْرُ بالفتح ضدُّ الشَّرِّ، أي لا تَضُرُّ حِقَارُهُ

المنظَرِ مع صِدْقِ المَخْبَرِ»(2)

أما كلمة "الصَّيْقُ" وهو الغبار، وأصله بالنبطية "زَيْقًا" التي وردت في بيت رجل من

شعراء جيمر:»:

يَا مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ إِذَا التَّفَّ صَيْقُهُ بِدَمِهِ

بمعنى أنه يريد يومًا من أيام الحرب اختلط فيه الغبار بدم الطَّعْنِ»(3).

بعد أن لاحظ "الأعلم" أن بعض المفردات تتكرر عادة في كل متن، فإنه يعدل عن

شرح كثير منها، أو إعادة ما سبق أن ذكره وراء الكلمات أو العبارة الشعرية من معان يؤدي

إليها التداعي أو أسطورة أو خبر منبها على مضيها معتذرا عن إعادتها مؤكداً بذلك قاعدة

التزمها في كتبه مستخدما حشدا من العبارات المفصحة عن ذلك مثل قوله "وقد تقدّم

تفسيرها" أو "قد تمّ ذكره" أو "قد سبق تفسيره" أو "قد تمّ نحوه" إلى غير ذلك مما يعفيه من

كلّ تبعة ويشدّ شرحه برباط منهجي متين تتحكّم فيه الذاكرة والابتعاد عن العبث. وقد يعيد

الشرح أحيانا من غير أن يكلف نفسه عناء الإشارة إلى كون المشروح قد مرّ وأحيانا يصحب

الإعادة بالتنبيه على ذلك وكأته إتما أتاها مرة أخرى لترسخ في النفس وتتعلّق بالذاكرة أو

لنكت تربوية أو موضوعية أخرى.

من ذلك شرحه قول الآخر: (4)

تَرَكَتُ ضَانِي، تَوَدُّ الذَّنْبَ رَاعِيهَا وَأَنْهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الأَبْدِ
الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاجِدَةٌ وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدِيَّةً بِيَدِي

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص413.

(2) - المرجع نفسه ، ص668.

(3) - المرجع نفسه، ص322.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص968.

يقول "الأعلم" :و"المُدْيَةُ"السِّكِّينِ"، وقد تقدّم تفسيره.(1)

ومنه ما جاء في شرح كلمة "الأرومة" الواردة في بيت الطّمحان القيني:

إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةً وَأَصْبِرُ يَوْمًا لِأَتَوَارِي كَوَاكِبُهُ
فَإِنَّ بَنِي لَأَمِ بْنِ عَمْرٍو أَرْوَمَةٌ سَمَتْ فَوْقَ صَـغَبٍ لَا تُنَالُ مَرَاقِبُهُ

و "الأرومة" الأصل، وقد تقدّم تفسيرها، بمعنى ورود شرحها في بيت سابق، وذلك

تلافيًا للتكرار (2)، وهو بيت جميل بن عبد الله بن معمر العذري:»:

أَرَى كُلَّ عَوْدٍ نَابِتًا فِي أَرْوَمَةٍ أَبِي مُنْبِتُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا
و"الأرومة" الأصل، وهي أيضا التراب المجتمع في أصل الشجرة، وكلُّ شيء اجتمع

وارتفع من الأرض فهو إرْمٌ»(3).

وفي بعض الأحيان، يضيف "الأعلم" إلى عبارات "وتقدّم تفسيره" كلمات أكثر دقة

وخصوصية ، منها" وتقدّم تفسيره وإعرابه، أو تقدّم تفسيره واشتقاقه .

أمّا الأول فمنه شرح قول ابن عَنقَاءَ الفَزَارِيِّ»:(4)

عُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سِيْمِيَاءُ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصْرِ
و"اليافع" الذي بلغ الحُلم وشبّ وارتفع، وفعله أَيَفَع، وهذا نادرٌ، وقد تقدّم تفسيره

واشتقاقه، أي ما جاء في شرح قول أمية بن أبي الصلت التَّقْفِيّ في ابنه:»:

عَدُوَّتِكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعًا نَعْلُ بِمَا أَجْبِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ
و"اليافع" الذي دخل في عصر شبابه فارتفع ونما جسمه، وأصله من اليَفَاع، وهو

المشرف من الأرض»(5).

أمّا الثاني، ما جاء في شرح قول الخنساء بنت عمرو بن الشريد:(1)

(1) - ينظر: شرح البيت الثاني من الحماسة 717، من شرح الأعلام، ص963..

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص876.

(3) - المرجع نفسه، ص252.

(4) - المرجع نفسه ، ص906.

(5) - المرجع نفسه، ص678.

وَيْلٌ أُمَّه مِسْعَرٌ حَرْبٌ إِذَا أُلْقِيَ فِيهَا وَعَلَيْهِ الشَّلِيلُ
 وقولها "وَيْلٌ أُمَّه" دعاء في معنى التعجب، وقد تقدّم تفسيره وإعرابه. وهذا ما جاء في
 شرح قول محمد بن أبي شحاذٍ الضبيّ:»:

وَيْلٌ لِمَمِّ لِدَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةٌ مَعَ الكَثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى الْمُتْلِفُ النَّدِيَّ
 قوله "وَيْلٌ لِمَمِّ لِدَاتِ الشَّبَابِ" دعاء في معنى التعجب، أي ما ألدّ الشّباب مع الغنى،
 يُخَصُّ به الجوادُ المتلفُ لماله، وأرادوا وَيْلٌ أُمَّه، فكثرت في الاستعمال، فحذفوا الهمزة لتقلها،
 وأتبعوا اللام الميم، ويجوز أن يكون التقدير وَيْلٌ لَأُمَّه ، فحذفوا اللام والهمزة وبقيت علامة
 الجرّ ، والتقدير الأول أقرب وأسهلُ»(2).

5-2- شرح الأسماء المختلفة الموجودة في النص:

وفي المجال السابق، يشرح "الأعلم" مختلف الأسماء المذكورة في النص، سواء
 أكانت أسماء أشخاص، أو بلدان أو أمكنة وغيرها، منبّها إلى دورها في تيسير معاني الشعر
 بحيث إنه يعرف بأصحابها وبيّن نوع العلاقة التي تربطهم بالحدث أو بالظروف التي نُظِمَّ
 فيها الشعر.

أمّا أسماء الأشخاص سواء كانوا شعراء أو غيرهم ، فإنّ "الأعلم" ، يعرفها ويحدّد
 صحة أسمائها، "قابن عمرو" خدائش بن زهير العامريّ الشاعر، هو من بني عمرو بن عامر
 بن صعصعة" الذي جاء في قول قيس بن الخطيم الأنصاريّ الأوسيّ: (3)

وَسَاعِدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ خِدَائِشٌ فَادَى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا
 أو ما يظهر في شرح قول مَقَّاسُ العائديّ:»:

لَيْنٌ خَرِبَتْ أَخْلَاقُ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ لَقَدْ جَعَلَتْ أَخْلَاقُ تَغْلِبَ تَطْبِعُ
 "بكرٌ وتغلبٌ" أخوان وهما ابنا وائلٍ»(4).

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص922.

(2) - المرجع نفسه، ص652.

(3) - ينظر: المرجع نفسه ، ص103.

(4) - المرجع نفسه ، ص1091.

أو ما جاء في شرح قول اللّجلاج:»:

وَأَنَا لِقَوْمٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَبَهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ
[...][وعامرُ بن صَعَصَعَةَ من قيس بن عيلان بن مضر وسلولٌ حيٌّ من عامر وهو

ابنه لصلبه، ويقال سلول بن صعصعة أخو عامر بن صعصعة. (1)

وقد يكون التعريف بالأعلام عند"الأعلم" بذكر أنسابهم، والتعريف بقبائلهم، من ذلك

ما جاء في قول ليلى الأخيلىة:» :

أَثْرِيْدُ عَمْرُو بْنِ الْخَلِيْعِ، وَدُونَهُ كَعْبٌ، إِذْنُ لَوَجَدْتَهُ مَرْوُومًا
"وعَمْرُو بْنُ الْخَلِيْعِ" حيٌّ من بني كَعْبٍ من ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعَصَعَةَ. أمَّا بنو
أَخِيْلٍ" فهم حيٌّ من بني عامر بن صعصعة، وهم رهطُ ليلى الأخيلىة»(2). وهذا ما جاء في

شرح قول تُوْبَةَ بنِ الحَمِيْرِ: (3)

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيْلِيَّةَ سَأَلَتْ
وَبِضِيْفٍ قَائِلًا فِي شَرْحِ بَيْتِ بُشَيْرِ بْنِ أَبِي جَذِيْمَةَ الْعَبْسِيِّ:»:

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدٍ حَذِيْمٍ وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطْرَانِ

"حَذِيْمٌ" حيٌّ من بني عبس. "وبنو قِرْدٍ" منهم»(4).

ويقول في شرح قول شَمْعَلَةَ بنِ الأَخْضَرِ الضَّبِّيِّ:»:

وَضَعْنَا عَلَى الْمِيْزَانِ كُوْرًا وَهَاجِرًا فَمَالَتْ بَنُو كُوْرِ بِأَبْنَاءِ هَاجِرِ
"كوْرٌ وهَاجِرٌ" قبيلتان من ضبّة بن أدّ، يقول وزنا إحداهما بالأخرى فمالت كوْرٌ

بهاجرة، أي كانت أثقل منها، يريد عِظَمَ خَلْقِهَا وَسَعَةَ بَطُونِهَا وَكَثْرَةَ أَكْلِهَا»(5).

ويقول في شرح قول الحزین اللّيثي في علي بن أبي طالب:»:

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص262.

(2) - المرجع نفسه، ص930.

(3) - المرجع نفسه ، ص754.

(4) - المرجع نفسه، ص1084.

(5) - المرجع نفسه ، 1049.

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَاتَهُ وَالْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمَ
 "البطحاء" بطحاء مكة، يريد أنه من قريش البطحاء، وهم أشرف قريش لمجاورتهم
 البيت، ويقال لسائرهم قريش الظواهر لإقامتهم في ظهور الأرض بمكة»(1).
 ويقول في شرح قول زياد بن حمل بن سعيد:

لَا حَبْدًا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ وَلَا شَعُوبٌ هَوَىٰ مِنِّي وَلَا نُقْمٌ
 وَلَا أُحِبُّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَسًا وَلَا بِلَادًا حَلَّتْ بِهِ قَسْمٌ
 "صنعاء" من مدن اليمن وهي من أقصاها. "شعوب ونقم" من اليمن أيضا. و"عس" قبيلة من اليمن من ولد سعد العشيرة وهم من مذحج، ومنهم "الأسود العنسي" (2) وهو
 المنتبىء. و"قدم" حي من اليمن أيضا»(3).

أو ما جاء في شرح قول زفر بن الحارث الكلابي: «
 وَكُنَّا حَسْبِنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً لِيَالِي لَاقِينَا جُدَامًا وَحَمِيرًا
 و"جدام" حي من اليمن وهو أخو لخم، ويقال أصلهم من مضر من ولد أسد بن
 خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ففارقوا أصلهم ولحقوا باليمن»(4).

وإن كان هناك خلاف حول أنسابهم أو حدث تداخل بين نسب وآخر ،
 أوضح الأعلام حقيقة الأمر، مثال "بنو رياح" في شرح قول الآخر: «
 أَنَاخَ اللَّوْمِ وَسَطَ بَنِي رِيَاخٍ مَطِيَّتَهُ فَأَقْسَمَ لَا يَرِيمُ
 "بنو رياح" حي من تميم، وهم رياح بن يربوع بن حنظلة، ورياح أيضا حي من بني
 عامر، وهو رياح بن هلال»(5).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص936.
 (2) - تنبأ أيام الرسول"ص" بعد أن أسلم مع أهل اليمن وتغلب، وحاول أن يبسط نفوذه على أهل صنعاء ونجران،
 وقتل قبيل وفاته"ص" بنحو شهر. ينظر: ابن الأثير، حوادث11هـ.
 (3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ،ص807.
 (4) - المرجع نفسه ، ص245.
 (5) - المرجع نفسه ، ص1082.

أو ما جاء في قول الفرزدق، ويروى لمالك بن الرّيب المازني:»

فَلَوْلَا بَنُو مِرْوَانَ كَانَ ابْنُ يَوْسُفٍ كَمَا كَانَ، عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ إِيَادِ

[...]و"إياد" من معد بن عدنان، وهو إياد بن نزار بن معد، ويقال هو إياد بن معد

وجعله، وهو ثقيفي، من إياد لأنّ بعض النّسابين يزعم أنّ ثقيفا من إياد»(1).

وقد يقتصر التعريف بالأعلام عند "الأعلم" بذكر ما يتّصل بها من أخبار، وسبب

تسمية بعضهم، مثل ما جاء في الخبر الذي أورده " قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ عن "ذي

البردين"»:

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ

"ذو البردين" عامر بن أُحيمِر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن

تميم، وكان وفد على النّعمان بن المُنذر في وفود من العرب فأخرج إليهم بُردي عمرو بن

هند عمّه، وقال ليقم أعرّ العرب قبيلةً فيأخذهما. فقام عامرٌ هذا فأخذهما ولم ينزعهُ أحدٌ من

العرب، لما علّم من عزة قومِهِ. فقال له النّعمان بم أنت أعرّ العرب؟ قال العرّ والعدد من

العرب في معدّ، ثمّ في مضر، ثمّ في خندف، ثمّ في بني تميم، ثمّ في سعد، ثمّ في كعب، ثمّ

في عوف، ثمّ في بهدلة، فمن أنكر هذا من العرب فليأفرني. فسكتّ النّاس فقال له النّعمان:

هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في أهل بيتك وفي بدتك؟ فقال: أنا أبو عشرة، وعمّ عشرة،

وخال عشرة، يُعني الأكبر عن الأصغر والأصغر عن الأكبر، وأمّا أنا في بدني فهذا

شاهدي. ثم وضع قدمه في الأرض وقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل. فلم يقم

إليه أحدٌ، فذهب بالبردين، فسُمّي ذا البردين»(2).

أو ما جاء في شرح قول عمرو بن الهذيل العبدي:»

وَلَا تَرَجُ خَيْرًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا كُنْتَ مِنْ حَيِّ حَنِيفَةٍ أَوْ عَجَلٍ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص206.

(2) - المرجع نفسه ، ص969

"حَنِيفَةٌ وَعِجْلٌ" ابنا لُجَيْمِ بن بكر بن وائل، ومالكُ "بْنُ مِسْمَعٍ" من بكر وهو أبو غَسَّانَ، وكان فرَّ يوم العَصَبِيَّةِ وَلَحِقَ بِنُأَجٍ وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْجَلَّتِ الحَرْبُ فَعَيَّرَهُ بِذَلِكَ»(1).
أو ما جاء في شرح قول بشرُ بن أبي بن حُمَامِ العَبْسِيِّ:»:

جَلَبْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ مَقْتَلِ مَالِكِ وَطَرَحْنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ
و"مالك" بن زهير أخو قيس بن زهير وكان قُتِلَ في حربهم. ولَمَّا بَعَلَ قَيْسُ بالحَرْبِ
وتصالحَ قَوْمُهُ وبنو ذبيان استحيا من الإقامة في قومه، لما جنى عليهم، وقال: لا تنتظرُ في
وجهي غطفانيةً أبدًا، فرحل إلى عُمَانَ وَأَقَامَ فِيهِمْ غَرِيبًا حَتَّى مات»(2).

ويتصل بالتعريف بالأعلام، التعريف بالأماكن الواردة في الشعر، هذا وإن كان
للمكان أثر هام في موضوع الشعر أو مرتبط بوقائع محددة ، أو ذكرى تاريخية ، أو يكتفي
بذكر نسب المكان(3) فقط، مثل " المالكية" يقول عمرو بن ضُبَيْعَةَ الرَّقَاشِيِّ:»:

قَضَى اللَّهُ حُبَّ المَالِكِيَّةِ فَأَصْطَبِرُ عَلَيْهِ، فَقَدْ تَجَرِي الأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ
و"المالكية" منسوبة إلى مالك بن ضُبَيْعَةَ حَيٍّ من بكر بن وائل»(4).

أما "الديافية" منسوبة إلى دِيَّافٍ، وهي قرية بالشام بها قومٌ من النَّبِطِ. ويظهر ذلك في
شرح قول حُرَيْثُ بن عَنَابِ النَّبْهَانِيِّ: (5)

بِيَأْفِيَّةً قُلْفٌ كَانَ خَطِيبُهُمْ سِرَاةَ الضُّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ
أو ما ورد في بيت رجل من آل حرب :»:

إِنَّا إِذَا مَا أَتَيْنَا فِعْلَ مَكْرَمَةٍ قَالَتْ لَنَا أَنْفُسُ حَرْبِيَّةٌ غُودُوا
وقوله "حَرْبِيَّةٌ" أي منسوبة إلى آل حَرْبِ بِنِ أُمِيَّةٍ، أي أصلنا كريمٌ فنحنُ نحافظُ على

الكَرَمِ»(1).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص1071

(2) - المرجع نفسه، ص384.

(3) - ينظر: المرجع نفسه ، ص1024.

(4) - المرجع نفسه ، ص784.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، ص1096.

كما لا ينسى "الأعلم" رواية بعض الأماكن (2)، مثل ما جاء في شرح قول الآخر
يَهْجُو رَجُلًا مِنْ بَنِي الْقَيْنِ»:

أَتَرْجُو حَيِّي أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ، وَقَدْ أَعَيْتَ عَلَيْكَ كِبَارُهَا
"حَيِّي" قبيلة، ويروى "ربيع" وهم حي من بني سعد، ومنهم مرة بن مَحْكَانَ السَّعْدِيِّ،
ويروى هذا الشَّعْرُ للفرزدق فيه يهجو» (3).

أو ما جاء في شرح قول عبد الله بن الحَشْرَجِ الجَعْدِيِّ»:

مُحَافِظَةٌ عَلَى حَسْبِي وَأَرْعَى مَسَاعِي آلِ وَرْدٍ وَالرِّفَادِ
"وَوَرْدُ وَالرِّفَادُ" حَيَّانٍ مِنْ بَنِي جَعْدَةَ، وَالرِّفَادِ، بِالْفَاءِ، وَيُرْوَى بِالْقَافِ، وَالصَّحِيحُ
بِالْفَاءِ» (4).

ويذكر الميزان الصرفي لبعض الأماكن، مثل "جبيرون" موضع بالشَّام، وهو فَيَعُولُ

مَنْ جَرَنَ إِذَا اعْتَادَ الشَّيْءَ وَلَزِمَهُ. وهذا ما جاء في قول عمرو بن مِخْلَةَ الحِمَارِ الكَلْبِيِّ: (5)

ضَرَبْنَا لَكُمْ عَنْ مَنِيرِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ بِجَبْرُونَ، إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا
أو ما يظهر في شرح قول ليلي الأَخْيَلِيَّةُ، ويقال بَلْ هُوَ لِأَبِيهَا»:
نَحْنُ الْأَخَائِلُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى الْعَصَا مَذْكَورًا
"الأخايل" جمع أَخَيْلٍ، يَرِيدُ بَنِي أَخَيْلٍ، وَهُمْ حَيٌّ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، فَجُمِعَتِ الْأَبْنَاءُ بِاسْمِ
الْأَبِ كَمَا يُقَالُ الْمَهَالِبَةُ وَالْمَسَامِعَةُ، فِي بَنِي الْمُهَلَّبِ وَبَنِي مَسْمَعٍ» (6).

ويذكر "الأعلم" أشهر الأسواق العربية، كسوق عكاظ، في قول امرأة قُتَيْلٍ زَوْجُهَا فِي

جَوَارِ الزَّبْرِقَانِ ابْنِ بَدْرِ»:

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص895.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص1061.

(3) - المرجع نفسه، ص1050.

(4) - المرجع نفسه ، ص897.

(5) - المرجع نفسه، ص1052.

(6) - المرجع نفسه ، ص904.

مَتَى تَرُدُّوْا عُكَازَ تُوَافِقُوْهَا بِأَسْمَاعٍ مَجَادِعُهَا قِصَاصٌ
"عُكَازٌ" أَشْهُرُ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ، وَبِهَا كَانُوا يَتَفَاخَرُونَ» (1).

ويحاول "الأعلم" أن يقدم في شرحه لبعض الأبيات نبذة تاريخية تبيّن سبب نظمها، وتوضح الملابس والظروف التي أوحى بنظم الشعر، فقصيدة "الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم" (2) :

اللّٰهُ يَعْْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرٍ مُرْبِدٍ
وَنَشِيتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْرَقٍ، وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَّبِعْ دَدٌ
يقول "الأعلم" في مقدمة شرحه: قال الحارث هذا الشعر في يوم بدر حين قُتِلَ أخوه أبو جهل وسادات قريش (3).

أو ما جاء في شرح قول عنتر بن شداد العبسيّ:

يُدَبِّبُ وَرْدٌ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمْكَنُهُ وَفَعُ مِرْدَى خَشِبٍ
تَتَّايَعُ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهُ بِأَبْيَضِ كَالْقَبْرِ سِ الْمَلْتَهَبِ
كان "ورد بن حابس" قتل نضلة بن حُجْر الففْعَسِيّ، وَفَفَعَسٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَقَالَ عَنْتَرَةُ
هذه الأبيات، ويقال هي لرجل من بني عبس» (4).

هذا، إن جعل "الأعلم" مناسبة القصيدة مقدمة لشرحها، أمّا إذا لم يجعلها كذلك، قدّم شرح الأبيات ثم يذكر مناسبة الأبيات بين أبياتها أو في آخرها. مثل ما فعل في شرح قول سعد بن مالك بن قيس بن ضبيعة جد طرفة، من بكر بن وائل: » :

بِنَسِ الْخَلَائِفُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَلَلْفَاخُ
مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ، لَا بَرَاحُ

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص1055.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص180.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) - المرجع نفسه ، ص123.

"اللقاح" بفتح اللام الأعزة لا يدينون لملك، وأصله أن الناقة إذا لقيت امتعت من الفحل، فجعله مثلاً في الامتناع والعزة، وأراد به بني حنيفة لأنهم غلبوا على اليمامة، ولم يدخلوا في طاعة ملك، وهم من بكر بن وائل، وكذلك بنو يشكر». (1)

إنّ الملاحظ عليه في هذه الأخبار أنّها ذات صلة وثيقة بالنص الشعري المشروح، وتعين على فهمه، ومن ثمّ يمكن القول بأنّ "الشنتمري" كان يهتم بذكر المناسبة بإيجاز خال من التفاصيل والاستطرادات المتشعبة.

أمّا فيما يخصّ الإشارات التاريخية التي يأتي ذكرها بين ثنايا الشعر، فقد كانت حاضرة في شرح "الأعلام". يقول الحارث بن وعلّة الجرمي: «:

وَزَعَمْتُمْ أَلَّا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا فُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ
وقوله "إنّ العصا فُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ" أي نحن في الحلم كالذي فُرِعَتْ له العصا وهو عامر بن الظرب العدواني، وكان حكماً في الجاهلية فعمر، فكان يزيغ في الحكم فتفرع له العصا لينتبه ويرجع إلى الصواب، فضرب به المثل في الحلم والحكم» (2).

أو ما يظهر في قول "الربيع بن زياد العبسي" «:

وَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمَ الْهَرِيرِ إِذْ مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا
أمّا "يوم الهرير" فهو يوم ظهرت فيه عبس بعد شدة لحقتهم وصرع فيه قيس بن زهير عن فرسه ثم ذبّ عنه الربيع بن زياد وأصحابه حتى نجوه» (3).

أو ما جاء في شرح قول شمعة بن الأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار الضبي: «:

وَيَوْمَ شَقِيقَةَ الْحَسَنِينِ لَأَقْتُ بَنُو شَيْبَانَ آجَالاً قِصَاراً

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 172.

(2) - المرجع نفسه، ص 321.

(3) - المرجع نفسه، ص 344.

و"الحسن" جبلٌ بعينه قَتَلْتُ به بنو ضَبَّةَ بسُطَامَ بن قيس الشيباني ، وتولَّى قتلَه منهم عاصمُ بن خليفة الضَّبِّي، وثنَّى "الحسن" بموضع آخر ضمّه إليه، والعرب تفعل ذلك بالأماكن كثيراً»(1).

هذا، فإنّ توظيف "أسماء الأمكنة" في شرح "الأعلم"(2)، إنّما جاء لسدّ الثغرات المفتحة في ثنايا النص، وليدلّ دلالة خارقة على الإلمام الواسع بجغرافية المكان جاهليّه وإسلاميّه والقدرة على التمييز بين متشابهها ومتنافرها.

والحقيقة أنّ "الأعلم" في إطار هذا الحيز اللّغوي لم يوظّف كل ما في جعبته من معلومات وهو يقوم بتعريف تلك الأسماء المتعلقة بسادات لخم ومواطنهم وأن يوليها مزيدا من العناية. ولكنه كان شديد التشبّث بالنص، لا يوليّه بما فيه من كلمات هذا الاهتمام الزائد أو يحتفل ببعض ألفاظه احتفالا زائدا لمثل هذه المناسبة.

هذا، وفضلا عمّا سبق، إنّ ما يمكننا تسجيله في طريقة "الأعلم" في شرح اللفظ، أنّها وقفت عند حدود التفسير المباشر سواء في عمومها أو ضمن معناه داخل البيت. ومن ثمّ فإنّه لا يورد الألفاظ أولاً شارحاً لها، ثم ينتقل إلى المعنى، بل يشرح كلّ فقرة أو جملة بمفرداتها ومعناها، وهذه الطريقة سهل الفهم السريع.

بعد أن انتهينا من تفسير اللفظ، وتوضيح معناه، ننقل الآن إلى خطوة أخرى من خطوات الشرح عند "الأعلم" وهي تقديم المعنى بطريقة اقتصادية مبسطة، تتسم بالإيجاز والابتعاد عن الإفراط والإسراف.

6- الاقتصاد في استعمال المعاني:

تتاول "الأعلم" المعاني بالكثير من الاقتصاد والتركيز، مُسَخِّراً في ذلك عبارات مُحَرَّرَةً وألفاظاً مشحونة بالدلالة، فيتشبّثُ بالحقيقة والواقع ويصحّح المضامين ويبعث فيها

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص238.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الأمثلة التالية: ص412، 213، 102، 388، 462، 533، 1105، 792، 1081، 1070، 957، 986، 1003، 870، 896.

الحياة ويتكّب الخيال المجنّح ويتصيّد جهده كلّ ما يمكن أن تكون له علاقة بالنصّ أو ببعض كلماته ، كشرحه قول "الأفوه الأوديّ واسمه صلاءة بن عمرو، وأودّ حيّ من مذحج»: **تَخْلِي الْجَمَاجِمَ وَالْأَكْفَ سَيُوفُنَا** **وَرِمَاخُنَا بِالطَّعْنِ تَنْتَظِمُ الْكَلَى** **يُقَالُ خَلَيْتَ الْكَلَا إِذَا قَطَعْتَهُ،** وبذلك سُمِّي الرّطْبُ من الكلاّ خَلَى، وواحدُها خلاءة، ويقالُ للمِنْجَلِ مِخْلَى. وخصّ الرِّمَاحَ بانتظام الكلى إشارةً إلى حذفهم بالطعن وإصابة المقتلِ»(1).

أو ما نجده في شرح قول " سعدُ بن ناشبِ المازنيّ من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم»::

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْتَنَتْ **يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا** **يَقُولُ إِنْ هُدِمَتْ دَارِي وَأُخِذَ تِلَادِي فَذَلِكَ هَيِّنٌ عَلَيَّ فِي جَنْبٍ مَا أَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ** **الاعتزاز بالخروج والامتناع من قبول الضيم والانتقام من العدو»(2).**

أو ما جاء في شرح قول زَيْنَبُ بِنْتُ الطَّرِيَةِ تَرْتِي أَخَاهَا يَزِيدَ»::

كَرِيمٌ إِذَا لَأَقَيْتَهُ، مُتَبَسِّمٌ **وَأَمَّا تَوَلَّى أَشَعْتَ الرَّأْسِ جَافِلُهُ** **إِذَا الْقَوْمُ أَمُوا بَيْتَهُ، فَهُوَ عَامِدٌ** **لأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهُوَ فَاعِلٌ** **أَي هُوَ حَسَنُ الْخُلُقِ، فَإِنْ يُلْقَاكَ اسْتَبَشِرَ وَتَبَسَّمَ، وَهُوَ مُتَبَدِّلٌ فِي الْحُرُوبِ وَالنَّظَرِ فِي** **أُمُورِ الْحَيِّ، فَإِذَا وَلَّى عَنْكَ رَأَيْتَ شَعَرَ قَفَاهُ جَافِلًا مُرْتَفِعًا»(3).**

أو ما جاء في شرح قول يَزِيدُ بْنُ حِمَارِ السَّكُونِيِّ الكِنْدِيِّ في يوم ذي قارِ»::

إِنِّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَمَدَتْ **نَيْرَانُ قَوْمِي وَشَبَّتْ فِيهِمُ النَّارُ** **اسْتَجَرْتُ بَنِي شَيْبَانَ فَأَجَارُونِي وَسَعَرُوا الْحُرُوبَ دُونِي حِينَ تَبَرَّأَ مِنِّي قَوْمِي ،** **وخذلوني، وضربَ حُمُودَ النَّارِ وَشَبَّهَا مِثْلًا»(4).**

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص111.

(2) - المرجع نفسه، ص113.

(3) - المرجع نفسه ، ص549.

(4) - المرجع نفسه، ص664.

هذا، ويسعى "الأعلم" إلى تقديم المعنى دون الإفحاش في إيراد مبتعدا عما قد يكون وراء ذلك من أساطير أو خرافات مما يشهد بقوة الفكر وصحة المنطق وسداد الرؤيا وسلطان العقل ويبعد عن الإيمان بالترهات والأباطل، فإذا أراد أن يتحف قارئه بشيء من هذا القبيل قدّم له بما يفصح عن موقفه منه وشكّه فيه فيذكر في مطلعها "زعموا" أو "ذكروا" أو "حكوا" أو ما أشبهها.

وهذا ما جاء في شرح قول الآخر:»:

لئن كان يَهْدِي بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلَى لِأَفْقَرِ مِنِّي، إِنِّي لَفَقِيرٌ
وقوله "لأفقر مني" أي لأحوج، وبنى "أفقر" للتعجب على نية فقر، وإن لم يستعمل، كما بُني يدع على أنه مضارع ودع، وإن لم يتكلم به، وقد حكى بعضهم فقر ويصحح قولهم فقير. وقوله "إني لفقير" أي لمحتاج إلى برد ريقها لأشفي غلة وجدي بها»(1).

أو ما جاء في شرح قول الآخر:»:

خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِنَ خَلِيلًا، إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعِي بَكِي لِيَا
ومعنى "أنزفت" أنفدت، وأكثر ما يقال نرفته، وقد حكوا أنزفته، وهي قليلة، ويقال أنزف الشارب إذا نفذ شرابه، فهذا على أفعل لا غير»(2).

أو ما جاء في شرح قول بشر بن أبي بن حمام العبسي:»:

لُطْمَنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ يَرُونَ الْأَدَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ
وقوله "سيمنع منك السبق" هذا خطاب لقيس بن زهير، أي هم ظالمون، فهم يزعمون أنك إن سبقت لم تعط السبق، ظلماً لك، وإن سبقت فمنعتهم السبق، والسبق المصدر،

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص778.

(2) - المرجع نفسه، ص864.

وَالسَّبِقُ بِالْفَتْحِ الْخَطَرُ، قُنْتُتَ. وَضَرَبَ زَلَلَ الْقَدَمَيْنِ مَثَلًا لِلْمَنْعِ لِأَنَّهُ سَبَبٌ قَتْلِهِ كَمَا أَنَّ زَلَلَ الْقَدَمَيْنِ سَبَبٌ الصَّرْعِ»(1).

هذا، ويولي "الأعلم" عناية فائقة إلى تصحيح المعاني وتحريير النصوص من الأوهام العالقة بها وتقديم رأيه فيها، من خلال ما أسفرت عنه التجربة الطويلة في ممارسة قراءتها وتأملها، مجتهدا ما وسعه الاجتهاد في جعلها على سمت مستقيم وفق ما تقتضيه الدلالة الأدبية السليمة، لا وفق ما توحى به الظنون والأهواء الجامحة، فيصوب العبارة الشعرية مقتفيا التقليد العلمي القديم مترسما سلوك الرواة الكبار في الصدر الأول مقدما إليها بقوله "وكان وجه الكلام أن يقول" أو "وكان الأليق" وغيرهما.(2)

ومن ذلك ما جاء في شرح قول العباس بن مرداس السلميّ:»:

بُعَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخًا وَأُمُّ الطَّيْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
"البُعَاثُ" كلُّ ما يصيدُ من الطَّيْرِ وإنْ جَلَّ مَنْظَرُهُ، و"المِقْلَاتُ" التي لا يعيشُ لها ولدٌ.
وَالْقَلْتُ الْهَلَاكُ. و"النَّزُورُ" القليلةُ الولدِ. وكان الوجهُ أن يقول مُنْزَرٌ لِأَنَّهُ يُقَالُ أَنْزَرْتُ الْمَرْأَةَ، فبناه على نَزُورٍ للمبالغة»(3).

أو ما جاء في شرح قول الآخر:»(4):

إِذَا لَأَقَيْتِ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا
يقولُ قَدْ خَبَّرَنِي قَوْمِي وَعَرَفُوا فَضْلِي وَعَنَائِي فَاسْأَلِيهِمْ ، فَكَفَى بِهِمْ خُبْرَاءَ بِي. وكان وجه الكلام أن يقول كَفَى صَاحِبُ قَوْمٍ بِقَوْمِهِ خُبْرَاءَ بِهِ فَقَلَبَ وَوَضَعَ خَبِيرًا مَوْضِعَ خُبْرَاءَ، كما قال عز وجل: ﴿وَالْمَلَكُ بَعَدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (5)

أو ما جاء في شرح قول جابر بن رلان السنيسيّ، وسنيس من طيء:»:

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص384.

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، ص364، ص339.

(3) - المرجع نفسه ، ص668.

(4) - المرجع نفسه، ص907.

(5) - سورة التحريم، الآية 4.

لَعَمْرُكَ مَا أَخْرَى إِذَا مَا نَسَبْتَنِي إِذَا لَمْ تَقُلْ بَطْلًا عَلَيَّ وَمِينَا
وَلَكِنَّمَا يَخْرَى امْرُؤٌ تَكَلَّمَ اسْتُهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوِينَا

[...]. أو "القنا" الرِّمَاح، أي يَخْرَى من يَفِرُّ فَيُطْعَنُ من ورائه، وأراد "بقومه" أعداءه من بني عمّه، ويجوز أن يريد بهم أهله وأولياءه، أي يَقْصُرُ إذا أبلى قومه، فكأنَّ قناه تَكَلَّمَ استه بفضيحتة، ويروى "تَكَلَّمَ اسْتُهُ" بالرفع، أي ينهزم ويُولِّي الدَّبْرَ، فَيُعَيِّرُ بذلك قومه فكأنه يُخْرِجُ سُلَاحَهُمْ بذلك» (1).

أو ما جاء في شرح الآخر:»

لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدٌ أَنْيَابَهَا الْعُلَى لِأَفْقَرٍ مِنِّي، إِنِّي لَفَقِيرٌ
"حَصَّ أَنْيَابَهَا الْعُلَى" لأنها التي تبدو عند التَّبَسُّمِ والتَّثَاوُبِ والكلام أكثر من السفلى، فوصف ما يبدو للعين أكثر، ويحتملُ أن يريد جميع أنيابها، وصَفَهَا "بالعُلَى" على معنى العالِيَةِ الشَّرِيفَةِ» (2).

ويتلمس "الأعلم" خلوص النص من كلِّ تناقض أو نقص منطقاً له بإسار من الفكر وحسن الذوق. ويبعث عدداً من التقاليد والأعراف العربيّة ويضعها أمام القارئ ضمن تصوّرٍ سليمٍ لتخدم معاني الشعر وتوضّحها وعدداً من الإشارات التاريخية والإخبارية التي لا بدّ منها. كما جاء في شرح قول أبو حُرَابَةَ التَّمِيمِيّ:»

وَهُمْ مَائُونٌ أُلُوفًا، وَهُوَ فِي نَفَرٍ شَمَّ الْعَرَانِينَ ضَرَّابِينَ لِلْبُهْمِ
وقوله "مائون ألفاً" أراد مائو ألفٍ، فأثبت النون ضرورة، ونصب "ألوفاً" على التمييز، وأتى بلفظ الجمع في الألوفاً على الأصل، والمستعملُ في كلام العرب مائتا ألف ومائو ألفٍ، والمعنى معنى الجمع. و"الشَّمُّ" كنايةٌ عن الأعزة لأنَّ الشَّمَّ معروفٌ في العرب وفيهم العِزَّةُ والأَنْفَةُ» (3).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 383.

(2) - المرجع نفسه، ص 778.

(3) - المرجع نفسه، ص 329.

كل ذلك من غير أن يغفل عن جانب مهم ينتظر من الشارح أن يخوضه، ذلك هو الخروج عن حدود النص وإجراء مقارنة بينه وبين ما يضارعه أو يخالفه، مما يدل على حسن التصرف وسعة الباع، إذ يورد عندما يرى أن درجة الإيضاح ستقوى به وتزداد ما يضاهي المعنى ويكمله أو يباينه ويكشف عن نقيضه وذلك في عفوية مطلقة واقتضاب لا تشعر معه بالشطط والتصنع مدعماً وجهاً من الأوجه أو حالة من الحالات مزجياً ما يخطر بالبال من الأمثلة والشواهد التي تشوق إليها النفس، فإن عز وجودها عطف على بيئة الشعر ينكت تعابيرها وعوائدها وأوضاعها واستعمالاتها، ليقتبس منها ما يصلح للمقام.

وهكذا، نصل إلى أن "الأعلم" كما حاول استقصاء معاني الألفاظ وغريبها، نجده لا يترك المعنى إلا بعد أن يطمئن إلى وضوحه في سياق بأسلوبه الخاص .

أما الجوانب الأخرى من عناصر الشرح فلم تكن محل اهتمام بارز في شرح "الأعلم"، إلا في أضيق الحدود، من ذلك نذكر :

7- العروض والقوافي:

لم يول "الشنتمري" هذا العنصر اهتماماً كبيراً، إلا ما استدعته الضرورة، أثناء الشرح، وهذا ما يظهر في شرحه قول دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ الجُشَمِيِّ:»:

فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ
طِعَانُ امْرِئٍ أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مَخْلُودِ

"التبدد" التفرق في كل وجه. وأراد "بالحالك" دماً قارياً" وهو اليابس بين اللحم والجلد، لأنه إذا يبس اسود، أي أكثرت مطاعنتهم حتى علاني الدم وطالت المجاورة حتى يبس فاسود. و"أسود" من نعت الحالك، وهو إقواء، والفحول من الشعراء لا يكرهون ذلك، ويجوز "أسودي" بالياء على معنى النسب، وإذا بالغت العرب في الصفة نسبتها إلى نفسها، كما قالوا رجل ألمعي وأحوذى⁽¹⁾، وكما قال العجاج⁽²⁾:

(1) - الألمعي الذكي، والأحوذى السريع الخفيف الحاذق في أمره.

(2) - ينظر : العجاج، ديوانه، ص293. وصدر البيت: أطرّاً وأنت فَنَسْرِي.

والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَارِيٌّ

أي دَوَارٌ»(1).

وقد كان " الشنتمري " في العروض لا يهتم بالوزن وأثره في تأدية المعنى ، بل يسعى إلى توضيح ما وقع فيه الشعراء من أخطاء (2)، نجد ذلك في شرحه لقول الطائي الكبير، ويقال هي لعمر بن محمد السليمان مولى بني عبد الدار بن قُصَيٍّ:»:

إِذَا الْأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَيَّ فُرُوجُهَا وَإِذْ لِي عَنْ دَارِ الْهَوَانِ مُرَاعِمٌ
فَلَوْ شِئْتُ إِذْ بِالْأَمْرِ يُسْرٌ لَقَلَّصْتُ بِرَحْلِي فَتَلَاءُ الذَّرَاعِ عَيْنِ عِيَاهِمُ
عَلَيْهَا دَلِيلٌ بِالْفَلَاةِ نَهَارُهُ وَبِاللَّيْلِ لَا يُخْطِي لَهَا الْقَصْدَ مَنْسِمٌ

و"المُرَاعِمُ" المُبَاعِدُ والمُهَاجِرُ، يقال راعم فلانُ أهله إذا قاطعهم وهاجر عنهم ، وأصله من إرغام الأنف ، لأنه يرغمهم بقطعه لهم. وساند في قوله "مُرَاعِمٌ" فأتى بِحَرْفِ التَّأْسِيسِ*، والقصيصة غير مؤسَّسة، وهو من أقبح عيوب الشعر»(3).

أو ما جاء في شرح قول سُلمى بن ربيعة بن عامر الضبي، ويقال سُلمِيٌّ:»:

إِنَّ شِوَاءَ وَنَشْوَةَ وَخَبَبَ الْبِازِلِ الْأُمُونِ
يُجْشِمُهَا الْمَرْءُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ الْغَائِطِ الْبَطِينِ

هذه الأبيات خارجة عن النوع السادس من "عروض" البسيط، وهو المعروف بالمخلع، ولم يذكر هذا الخليل، وهو عند أكثر الناس خارج عن وزن الشعر لأنه نقص سبباً من عروضه وهو "لن" من "فَعولُن" ، ومثل هذا شاذ لا يُعرَفُ»(1).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص 487.

(2) - ينظر الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص 373.

* - يُقصدُ بالتأسيِس: ألف تقع قبل الروي مفصولة عنه بحرف واحد متحرك يسمي الدخيل، نحو الألف في كلمة "نائل" الواردة في قول أبي العلاء المعري: (الطويل):

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَقَافٌ وَأَقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ

ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقوافي وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ص 185.

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص 345-346.

ويقول في شرح قول امرأة من بني مخزوم:»:

إِنْ تَسْأَلِي فَالْمَجْدُ غَيْرُ الْبَدِيعِ قَدْ حَلَّ فِي تَيْمٍ وَفِي مَخْرُومٍ
والبيتُ خارجٌ من الوزن لتحريكِ العَيْنِ في "البديع" فإن وَقَفَ عليه وسُكِّنَ وجُعِلَ
كالبيتِ المصْرَعِ مِمَّا قَافِيَتُهُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْوَقْفِ قَامَ وَزْنُهُ، والبيتُ غيرُ مَبْنِيٍّ عَلَى ذَلِكَ، فَمِثْلُ
هذا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَجُوزَ»(2).

وقد أشار "الأعلم" إلى القطع وقبحه في غير التصريح: ويتجلى ذلك في شرحه قول

الربيع بن زياد يرثي مالك بن زهير: (3)

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
وأوقع "زُهَيْرًا" في العروض موقع القافية في القَطْعِ(4)، والعروض لَا تُقَطَعُ إِلَّا فِي
تصريح البيت، وهذا من أقبح عيوب الشعر، والذي سَوَّغَ لهم مثلَ هذا أَنَّ القَطْعَ لما جاز مع
التَّصْرِيحِ، إِشْعَارًا بِأَنَّهُ شَعْرٌ، جاز مع غير التصريح، تشبيهاً به، لأنَّ العروض يُسَكَّنُ عليها،
كما يُسَكَّنُ عَلَى الضَّرْبِ وهو آخر البيت، ولهذا جازَ أَنْ تُقَطَعَ أَلْفُ الوصلِ فِي أَوَّلِ الشَّطْرِ
الثاني، كما قال: (5)

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلَيْدُنَا الْقِدْرَ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جَعَالٍ
أَمَّا القافية، فلم يرد ذكرها إلا ما جاء في شرح قول عمرو بن معدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيَّ:»:
عَقَرْتُ جَوَادَ ابْنِي دُرَيْدٍ كَلَيْهِمَا وَمَا أَخَذْتَنِي بِالْخُتُونَةِ غَرَّتِي
وَفَرَّقْتُ بَيْنَ الْخِزْمِيِّنِ بِطَغْنَةٍ إِذَا أَطْلَعْتَ فِيهَا النِّسَاءَ أَرَنْتَ

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص704.

(2) - المرجع نفسه ، ص941.

(3) - ينظر: المرجع نفسه ، ص518.

(4) - المقطوع في الكامل هو أن تصير متفاعلين فعلاتن أي بأن يُحذف من التفعلة آخر الوند المجموع ويسكَّن ما قبله. ينظر: إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقوافي وفنون الشعر، ص107.

(5) - البيت غير منسوب، ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح الحماسة ، ص519.

وبهذا البيت حَرَجَتِ القصيدةُ من أن تكون قافيتها الرّاء لِإتيانه بالنون في قافيتها ،
فَعُلِمَ أنه اعتمدَ على التاء في القافية»(1).

والحقيقة أنّ قلّة مثل هذه الإشارات، إنّما ترجع أساسا إلى أصالة الشعر العربي
خاصّة جاهليه وإسلاميه، لأنّهم كانوا فصحاء سليقة وطبعًا، قلّما يخطئون، فهم عرب خلص،
يقدمون فهم هذا الشعر ، ويقدرونه تقديرًا، لذلك لم ترد عنهم أخطاء تتصل بنظمهم.

8 - الشواهد في شرح "الأعلم":

يزخر شرح "الأعلم" بعدد من الشواهد المختلفة التي تُدعم النص وتخدم مضمونه
سواء استقاهها من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو من الأمثال والأقوال القديمة أو من
الشعر والرجز قديمه ومحدثه، والتي تفيد أنّ توظيفه لها تأرجح بين استعمالها في توضيح
معاني أبي تمام والزيادة في تفسيرها وتقريبها أو بيان أصولها ومصادرها في هذه النصوص،
أو لتأكيد مسألة نحوية أو صرفية وغير ذلك، غير أنّ تلك الشواهد على عادته اتّسمت
بالإيجاز والتركيز بحيث أنّه يورد فقط أحيانا العبارة المقصودة التي يتوقّف عليها الشاهد،
دون أن يتعدّها ولو أدّى به الحال إلى الوقوف عند مجرد كلمتين أو ثلاث .

8-1- القرآن الكريم:

وعن شواهده القرآنية فهي كثيرة، وهي تدل على فهم "الأعلم" العميق وفهمه الدقيق
لأبي القرآن الكريم، وما جاء فيه من معان، لذا نجده يربط بين معاني الشعر وألفاظه،
ومعاني القرآن وألفاظه. فهو لا يكتفي بشاهد واحد بل يفرع الأمر ويدلل عليه بالكثير من
الشواهد التي توضح وجهة نظره ومفهومه.

وظّف "الأعلم" النص القرآني لتوضيح المعنى وتفسيره. من ذلك ما جاء في شرحه

قول حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرِ الهَلَالِيِّ(2):

قَضَى اللهُ فِي بَعْضِ الْمَكَارِهِ لِلْفَتَى بِرُشْدٍ، وَفِي بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحَاذِرُ

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح الحماسة، ص157. وينظر: أيضا: ص 444،

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، ص253.

يقول من قضاء الله تعالى أن يُجْعَلَ الخَيْرُ في بعض ما يكره المرءُ والشَّرُّ في بعض ما يهوى ويُحِبُّ، فلا ينبغي للإنسان أن يهتمَّ لشيءٍ، فالأمور جارية على قدرٍ وقضاءٍ، وهذا كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (1).

أو كما جاء في شرح قول نُؤَيَّرَةُ بنِ حُصَيْنِ المازنِيِّ يَرِثِي ابْنَهُ (2) :

يَكْفُ أَذَاهُ بَعْدَ مَا بَدَّلَ عُرْفِهِ وَيَحْلُمُ حِلْمًا لَا يَدُمُّ وَلَا يُزْرِي وَإِضَافَةٌ
وقوله "يَكْفُ" أَذَاهُ" أي لا يُتَّبَعُ بَدْلُهُ وَعِطَاءَهُ مَتًّا، فَيُؤْذِي بِذَلِكَ سَائِلَهُ، كما قال جلَّ
وعزَّ: ﴿لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (3).

ووظف كذلك "الأعلم" النص القرآني لتفسير الظاهرة اللغوية كشرحه قول عمرو بن

براقة الهمداني: (4)

أَفَالْيَوْمِ أَدْعَى لِلْهُوَادَةِ بَعْدَمَا أُجِيلَ عَلَى الْحَيِّ الْمَذَاكِي الصَّلَادِمُ
"الهُوَادَةُ" السُّكُونُ وَالْمَوَادِعَةُ، و"الْمُتَهَوِّدُ" الطَّالِبُ لِلْهُرَادَةِ، وَالْهَائِدُ التَّائِبُ عَنِ الذَّنْبِ "المستخفي من هداً" ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْكَ﴾ (5). أي تُبْنَا وَخَضَعْنَا.

ومن ذلك أيضا شرحه قول الآخر: (6)

قَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فُجِعَتْ بِهِمْ خَلَى لَنَا فَقَدْتُهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا
أَنْتَ الَّذِي لَمْ تَدْعُ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا إِلَّا شَفَى، فَأَمَرَ الْعَيْشُ إِمْرَارًا
علق "الأعلم" على كلمة (الشفى) فقال: "والشَفَى" الشيءُ اليسيْرُ، فلم يبق منها إلا
شَفَى، وَأَصْلُ الشَّفَى حَاشِيَةُ الشَّيْءِ وَطَرْفُهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ (7) ومنه
أشْفَيْتَ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا أَشْرَفْتَ عَلَيْهِ فَكُنْتَ فِي شَفَاهِ، أَي فِي طَرْفِهِ وَأَعْلَاهِ.

(1) - سورة البقرة، الآية 216.

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص526.

(3) - سورة البقرة، ص264.

(4) ، ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص351.

(5) - سورة الأعراف، الآية 156.

(6) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص515-516.

(7) - سورة التوبة، الآية 109.

أو ما جاء في شرح قول اللّجلاج: (1)

مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُعْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

و"القبيل" الثلاثة فصاعداً يكونون من قوم شتّى، فإن كانوا من حيّ واحد فهم قبيلة، وإنّما أراد (2) بالقبيل ههنا جماعة من العدو، وفي التنزيل: ﴿أَوْتَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا﴾.

أوما نجده في شرح قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: (3)

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ

"الفطور" الشقوق، وفي التنزيل: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (4). وأراد فالتأم الفطور منه،

منه، فحذف.

كانت عناية "الأعلم" للشواهد القرآنية وتفسيرها، أملت عليه أن يترتّب عند الألفاظ التي يُفسّرُها، كاشفاً عن مضمونها، ذاكرة الأوجه المختلفة لقراءتها، مثبتاً ما تعلق بها من قراءات مشهورة أو شاذة، نذكر من ذلك قوله عن لفظة "الهجر" في قول سالم بن ابصنة المري: (5)

سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطٌ أَدَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَائِلٌ هُجْرًا

و"الهجر" الإفحاش في القول، والهجر بفتح الهاء الهديان، ويقال في الأول أهجر

الرجل وفي الثاني هجر، وقرئ: ﴿سَلِمًا تَهَجُّرُونَ﴾ (6). و"تهجرون".

ومن ذلك أيضاً شرحه لفظة "أمروا" في قول فاطمة بنت الأجم: (7)

كُلُّ مَا حِيَّ وَإِنْ أَمَرُوا وَارِدُوا الْحَوْضَ الَّذِي وَرَدُوا

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 265.

(2) - سورة الإسراء، الآية 92.

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 783.

(4) - سورة الملك، الآية 3.

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 660.

(6) - سورة المؤمنون، الآية 67. وقرئت: "و"تهجرون" وقراءة نافع وحده من أهجر، وغيره من هجر. ينظر: ابن

مجاهد، كتاب السبعة، ص 446.

(7) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 496.

أي كلّ حيّ صائرٌ إلى ما صاروا إليه من الموت، ويحتمل أن يريد "بالحيّ" نقيض الميّت أو القبيلة، ويكون ضدّ الميّت أحسن وأعمّ، ومعنى "أمروا" كثر عددهم، ويُقال أمر الشيء وأمره، وفي التنزيل: ﴿أَمْرًا مُتَرَفِّهَا﴾ (1) وقرئ "أمرنا" بالمدّ.

من هنا ما يمكن أن نسجّله، أنّ "الأعلم" قد احتجّ بالقراءات القرآنية، بمعنى أنّ القراءة عنده لا تقف عند حدود إقرار القواعد والقوانين اللغوية، بل لإقرار الدلالات اللفظية، من ذلك ما قاله في شرح بيت مُساورُ بنُ هِنْدِ العَبْسِيِّ: (2)

وَسَائِلُ تَمِيمًا هَلْ وَفَيْتُ فَإِنِّي أَعَدْتُ مَكْرَمَتِي لِيَوْمِ سَبَابِ

يقال "وفى" وأوفى" بمعنى واحدٍ، وفي التنزيل: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (3).

ومن ذلك أيضا احتجّاه بالقراءة في قول الآخر: (4)

فَهَلَّا مَنَعْتُمْ، إِذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثَهَا خِيَالًا يُوَافِينِي مَعَ اللَّيْلِ هَادِيَا

وقوله "هاديا" أي مُهْتَدِيَا في ظلام اللّيل، يقال هدى هادي فهو هادٍ بمعنى اهتدى، وفي

التنزيل على قراءة بعضهم (5): ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى﴾ (6) أي لا يَهْتَدِي.

كما وظّف "الأعلم" النصّ القرآني للإشارة إلى مصادر المعاني ، كشرحه قول أبو

حَنَسٌ في يعقوب بن داود (7):

يَعْقُوبُ لَا تَبْعُدْ، وَجُنُبَتِ الرَّدَى وَإِلْضَافَةٌ فَلَأُبْكِينَ (8) زَمَانِكَ الرُّطْبِ الثَّرَى

(1) - سورة الإسراء، الآية 16. إنّ صاحب قراءة "أمرنا" بالمدّ هو ابن كثير، ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص 379.

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 634.

(3) - سورة النجم، الآية 37. قد يُفهم من هذا الاستشهاد أنّ الشارح يقصّد إلى قراءة "وفى" بتخفيف الفاء، وهي قراءة غير سبعية، قرأ بها أئمة الباهليّ وسعيد بن جببر وغيرهما. ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص 27-66.

(4) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 861.

(5) - يقصد بها قراءة حمزة والكسائي، ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف المعارف مصر دت، ص 326.

(6) - سورة يونس، الآية 35.

(7) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص 451.

(8) - فلأُبْكِينَ: وردت في شرح المرزوقي، الحماسية 325 ص 667: فَلَأُبْكِينَ.

قوله "لا تَبْعَدُ" أي لا أَبْعَدَ الله مكانك، أو لا أَبْعَدَكَ من رحمته وكرامته يقال بَعَدَ يَبْعَدُ، وبعُدَ يَبْعُدُ بمعنَى، ويجوز أن يكون معناه لا تَهْلِكُ، من قولهم بعد يَبْعَدُ بُعْدًا وبعَدًا إذا هَلَكَ، وفي التنزيل: ﴿أَلَا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ (1) ويكون قوله " لا تَبْعَدُ" وهو قد بَعَدَ، على طريق الحزن لفقده والتَّمني ألا يكون كما هو، وهو شيء قد اعتادوه واستعملوه، قال مالك بن الريب (2):

يَقُولُونَ: لَا تَبْعَدُ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي، وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

كذلك نجد "الأعلم" قد اعتمد على النص القرآني، وهو دليل على اقتباس المعاني من

القرآن الكريم، كشرحه قول المُساورِ بِنُ هِنْدٍ يَهْجُو بَنِي أُسْدٍ: (3)

رَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٍ لَهُمْ إِيْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِيْفٌ
أَوْلِيكَ أَمَّنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أُسْدٍ وَخَافُوا

بنى البيتين على سورة قريش المذكورة في القرآن، وكانت بنو أسدٍ تنتمي إلى قريش وتزعمُ أنها منها، فنفاهُم عن ذلك الإيلاف الذي كان لقريش وهو مَوْلَفَتُهُم بين الرّحلتين في الشتاء والصيف، رحلة إلى الطائف واليمن ورحلة إلى الشام في الصيف للتجارة، وكانوا يُحْفَظُونَ في توجُّههم ويحترمون لمكان البيت، وكان أمُّهم من الخوف بدعوة ابراهيم صلى الله عليه إذ قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (4). وأمَّهُم من جوعٍ بدعوته أيضا حيث يقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (5).

أما استشهاد "الأعلم" بآيات الذكر الحكيم على المسائل النحوية، شرحه قول زُفَر بن

الحارث الكلابي: (6)

(1) - سورة هود، الآية 95.

(2) - قصيدة قالها في رثاء أخيه، ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج2، ص205.

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص1093.

(4) - سورة ابراهيم، الآية، 35.

(5) - السورة نفسها، الآية 37.

(6) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص275.

أفي الله أما بحدل وابن بحدل فيحيا، وأما ابن الزبير فيقتل
 أراد أفي الله حياة بحدل وابنه وقتل ابن الزبير، أي لا يكون هذا، وجعل قوله "أما
 بحدل فيحيا" جملة في موضع مبتدأ وخبره في المجرور قبله حملا على المعنى، كما قيل في
 المثل: تسمع بالمعدي خير من أن تراه، "فتسمع" جملة في موضع اسم مبتدأ "وخير" خبره،
 والمعنى "سماحك بالمعدي خير من أن تراه"، فتاب "تسمع" متاب سماعك لأن الفعل يدل
 على مصدره. وقوله "فيحيا" أخبر به عن أحدهما، وحذف خبر الآخر اختصاراً، لما في الكلام
 من الدليل على ما أراد، وهو مثل قوله جل وعز: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ (1).

كذلك ما نجده في شرحه قول الأخضر بن هبيرة الضبي: (2)

دع السيد إن السيد كانت قبيلة ثقاتل يوم الروع دون نسائها
 يقول: لا تعرض لمهاجاتهم والأخذ من أعراضهم فينتقموا منك، لأنهم أهل جرأة وإقدام
 يمنعون نساءهم يوم الروعة أنفة منهم وحماية لحريمهم. و"كان" ههنا واقعة لغير انقطاع،
 والمعنى معنى الوجود والحال، أي كانوا قديما على ما هم عليه الآن، كما قال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (3) أي أنتم الآن كذلك. وعلى هذا ما أتى في القرآن
 الكريم من قوله جل وعز: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (4) ونحوه.

ومن ذلك أيضا شرحه قول رويشد بن كثير الطائي: (5)

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد: ما هذه الصوت؟
 أراد "بالصوت" الضجة والصيحة أو القالة، فلذلك أنثها فقال "ما هذه"، ومثل هذا جائز في
 الشعر كثير، وربما أتى في الكلام، كما قال جل وعز: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ بعد قوله: ﴿وَإِنِّي

(1) - سورة التوبة، الآية 62.

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام (مرجع سابق)، ص 108.

(3) - سورة آل عمران، الآية 110.

(4) - تكررت الآية عدة مرات في القرآن الكريم، أنظر مثلا سورة النساء، الآية 152، 100، 99، 96.

(5) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 158.

مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴿١﴾ والمعنى فلما جاء المال سليمان، فأضمر الهدية على التذكير، لأنها مالٌ في المعنى، فحُمِلَ الإضمار عليه. من ذلك ما حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سمعتُ رجلاً من اليمن يقول: جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ فقال: نعم، قال أليس بصحيفة؟ ومنه قول حاتم الطائي: (2)

فَقَدْ أَعْدَرْتُنَا فِي طَلَابِكُمُ الْعُدْرُ

لذلك أُنْتُ الْعُدْرُ لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْمَعْدِرَةِ وَالْعُدْرَى.

ومن ذلك أيضاً ما نجده في شرح قول العديل بن الفرخ العجلي، الملقب

"بالعُباب": (3)

هُمَا كَنَفَا الْأَرْضِ الَّتِي لَوْ تَزَعَزَعَا تَزَعَزَعَا مَا بَيْنَ الْجُنُوبِ إِلَى السُّدِّ

"التزَعزَعُ" الانهداؤ والتزلزل، يقال زعزعتُه الرِّيح إذا زلزلته. وأراد بالسُّدِّ سُدًّا يَأْجُوجُ ومأجوج، وهو في الشَّمالِ وَالْقَطْرُ الجنوبي يقابله، والألف التي في تززععا عائدةٌ على "الكنفين"، وأقامها مقام العائد على "التي" من صلتها، لأنها في معنى تززع كنفأها، مثله مثل قوله عزَّ وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا لَا يَرَى لَهَا بَأْسًا وَخَيْشَانًا﴾ (4) فالنون في "يتربصن" عائدةٌ على الأزواج، والتقدير: يتربصن أزواجهن، وهذا الضمير المضاف إليه الأزواج عائدٌ على "الذي" وبه صحَّ خبر الذي كما صحَّ الضمير المضاف إليه "الكنفان" صلة "التي".

يظهر لنا من كلِّ ما تقدّم أنّ "الأعلم" اعتمد في شرح حماسة "أبي تمام" على الشاهد

القرآني (5)، واستدلَّ به على صحة ما ذهب إليه من حكم أو إثبات مسألة أو تعزيز معنى.

(1) - سورة النمل، الآية 35،36.

(2) - حاتم الطائي، الديوان، ص32. وينظر: لسان العرب، وتاج العروس، مادة "عذر" وصدر البيت:

أَمَاوِيٌّ قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، مرجع سابق، ص194.

(4) - سورة البقرة، الآية 234.

(5) - من تلك الشواهد القرآنية التي وظفها "الأعلم"، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: 262، 239، 1152،

1135، 752.

8-2- الحديث النبوي الشريف:

كان للحديث الشريف نصيب في شرح "الأعلم" لتأثره بشيوخه «لقد جلس الأعلام إلى أبي مروان عبد الملك بن سراج، وأخذ عنه كتاب غريب الحديث المصنف للخطابي، ونال قسطا وافرا من العلوم الدينية بسمت أهل السنة، فكان له صدى طيب في أعماله العلمية التي أنجزها وفي اجتهاداته الفقهية»(1).

جاء توظيف "الأعلم" للحديث الشريف في مسائل اللغة والنحو، مقتنيا النحاة الأندلسيين الأوائل الذين اعتمدوا على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة(2). ومما يمكننا أن نسوقه في هذا الصدد، شرحه قول عبد الشارق بن عبد العزّي الجهنّي: (3)

فَنَادُوا يَا لِبُهْتَةٍ يَوْمَ صَبَرٍ فَعُنْنَا أَحْسِنِي مَلَأَ جُهَيْتَا
و"الملاء" هنا الخلق، وهو اسمٌ واحدٌ في معنى الجمع، أي أحسنوا أخلاقكم، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين هموا بضرب الأعرابي الذي بال في المسجد(4): "أَحْسِنُوا مَلَائِكُمْ" أي أخلاقكم. والملاء هنا الجماعة المتمالئة على الأمر، أي المتعاونة.

ومن ذلك أيضا شرحه قول رجل من نَبْهَانَ، ونَبْهَانُ من طيء: (5)

أَلَا أَبْلَغَا خُلْتِي رَاشِدًا وَصِنَوِي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْنَا

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، تح: علي المفضل حمودان(مرجع سابق)، ص22.

(2) - من هؤلاء نذكر: ابن خروف(ت608هـ)، وابن مالك(ت672هـ)، وابن الضائع(ت680هـ)، ينظر: فتوح خليل، تقويم الفكر النحوي، ص345.

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص373.

(4) - ينظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع، ط2، المملكة العربية السعودية، 2000، ص311.

(5) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص289.

ومعنى "اتَّصل" انتمى وانتسب، يُقال اتَّصل فلان في الحرب إذا استتصر قومه فنادى: يا لبني فلان، وهو من دعوى الجاهلية، وفي الحديث (1): "إِذَا اتَّصَلَ الرَّجُلُ فَأَعِضُوهُ".

كما نجد ذلك أيضا في شرحه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيِّ: (2)

وَهَوْنٌ وَجُدِي أَنْ مَا هُوَ فَارِطٌ وَإِلْضَافَةٌ أَمَامِي وَأَنْبِي هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
"والوَجْدُ" الحُزْنُ. و"الفَارِطُ" المُتَقَدِّمُ، وكذلك الفَرَطُ، ومنه الحديث: (3) "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ". أي هَوْنٌ عَلَيَّ مَا أَجِدُهُ مِنْ فَقْدِهِ أَنَّهُ تَقَدَّمَنِي وَأَنَا عَلَى إِثْرِهِ وَلاحقٌ بِهِ. وقال هذا لِأَنَّهُ كَانَ أَسَنَّ مِنْهُ وَبَلَغَ أَنَّهُ عَاشَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِيمَا يَذْكَرُ، وَيُقَالُ لِلْهَرَمِ وَالْمَسَنِ: إِنَّمَا هُوَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ، أَي يَمُوتُ فِي يَوْمِهِ أَوْ غَدِهِ.

ومنه أيضا شرحه قول عنتر بن شداد العبسي: (4)

فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أَبَا نَوْفَلٍ قَدْ شَتَجِبَ
ومعنى "شَجِبَ" هَلَكَ، وَالشَّاجِبُ الهَالِكُ، ومنه الحديث: (5) "النَّاسُ غَانِمٌ، وَسَالِمٌ وَشَاجِبٌ، فَالْغَانِمُ مَنْ قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ، وَالسَّالِمُ مَنْ سَكَتَ فَسَلِمَ، وَالشَّاجِبُ مَنْ قَالَ شَرًّا فَهَلَكَ" وَفَعَلَهُ شَجَبَ يَشْجُبُ وَشَجِبَ يَشْجَبُ، وَيُقَالُ شَجِبَ الرَّجُلُ وَشَجِبَتْهُ أَي حَزِنَ وَحَزِنَتْهُ.

ومما استشهد به من الحديث على تفسير الغريب، من أجل تبسيطه وتوضيحه، يقول

"الأعلم" في شرح قول ابن أخت تَابُطِ شَرًّا وَهُوَ الشَّنْفَرِيُّ يَرِثِيهِ، وَيُقَالُ هِيَ لَخْفِ الْأَحْمَرِ: (1)

الأحمر: (1)

(1) - ينظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند للإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد زهير، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص158.

(2) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص490.

(3) - محمد البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج8، دت، ص119.

(4) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص123.

(5) - محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، تح: السيد كلانتر، مج1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص265.

صَلِيَتْ مِنِّي هُدَيْلٌ بِخِرْقٍ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا
 "الخِرْقُ" المنخرقُ في الجُرَّةِ والسماحة، المتسبِّعُ فيهما. وقوله "حَتَّى يَمَلُّوا" المعنى لا يَمَلُّ الشَّرَّ وإن مَلَّوه، "وحَتَّى" هنا بمعنى إذا، وعلى هذا قولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم: «خُذُوا مِنَ الْبِرِّ مَا تُطِيفُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسَامُ حَتَّى تَسَامُوا» (2) أي إذا تَسَامُونَ، ويقال المعنى إِنَّ اللَّهَ لَا يَسَامُ الثَّوَابَ حَتَّى تَسَامُوا الْعَمَلَ.

ومثال ذلك أيضا شرحه قول أعرابي: (3)

أَلَا فَتَى نَالَ الْعُلَا بِهِمَّه

لَيْسَ أَبُوهُ بَابِنِ عَمِّ أُمِّه

تَرَى الرَّجَالَ تَهْتَدِي بِأُمِّه

قوله "ليس أبوه بابنِ عمِّ أمِّه" أي أمُّه غريبةٌ فذلك أنجب له، وفي الحديث: «اغْتَرَبُوا لَا

تَضُؤُوا» (4) أي لا يَنْكِحِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ الْقَرِيبَةَ فَيَخْرُجَ الْوَلَدُ ضَاوِيًا، وهو الدَّقِيقُ الْعِظَامِ الضَّعِيفُ الْخَلْقِ.

ومن ذلك أيضا شرحه قول الرُّقَادِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ ضِرَارٍ: (5)

وَلَكِنَّ أَصْحَابِي الَّذِينَ لَقِيْتُهُمْ وَإِلْإِضَافَةٌ تَفَادَوْا سِرَاعًا وَالتَّقْوَا بَابِنِ أَرْزَمًا

ومعنى "تَفَادَوْا عَرَّدُوا" (6) عَتَى وَتَفَادَاوَا مَتَّى، وَحَقِيقَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِدَى

لِنَفْسِهِ مِنَ التَّقَدُّمِ وَالْمُنَازَلَةِ. ومعنى "التَّقْوَا بَابِنِ أَرْزَمٍ" جَعَلُوهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَسْتَعْلَ بِهِ حَتَّى

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 541.

(2) - الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، تح: أحمد محمد، دار الحديث للطباعة القاهرة، ص 245.

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 940.

(4) - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تح: طاهر أحمد الزاوي و أحمد محمود الطناحي، ج 3، المكتبة الإسلامية، 1963، دمشق، ص 106.

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 355.

(6) - عَرَّدَ عَنْهُ تَتَكَبَّهُ وَتَجَنَّبَهُ.

يَنْجُو، يُقَالُ اتَّقَاهُ بَحْتَفَهُ إِذَا جَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ» (1) أي جعلناه بيننا وبين العدو يُدْبُّ عَنَّا.

أو ما نجده في شرحه قول قيس بن الخطيم الأنصاري الأوسي: (2)

وَأَنَا إِذَا مَا مُمْتَرَوِ الْحَرْبِ بَلَّحُوا نُقِيمُ بِأَسَادِ الْعَرِينِ لِيَوَاءِهَا
ومعنى "بلَّحوا" أَعْيَوْا، يُقَالُ بَلَّحَ الْغَرِيمُ إِذَا أَفْلَسَ وَأَعْيَا عَنِ الْأَدَاءِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مُغْنَقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَهُ بَلَّحٌ» (3) أي أعيا وانقطع.

والأمثلة على ما استشهد به "الأعلم" من الحديث الشريف كثيرة ومتعددة (4)، الأمر الذي يجعلنا نقول أن السنة النبوية الشريفة كانت مصدرا هاما من مصادر احتجاج "الأعلم".

8-3- الشعر:

أما استشهاده بالشعر فكان أكثر من أي مجال آخر، فاستعان بالشبيه والنظير والنقيض وهو يشرح حماسة "أبي تمام"، وذكر كل ما جادت به قريحته في الموروث الشعري القديم، فذكر أشعار أصحاب المعلقات خاصة من الجاهلية "النابعة"، و"طرفة" و"عنتره"... والمشهورين من العصور الأخرى "كجرير" و"الفرزدق" و"المتنبي"، و"ذو الرمة"، "المتنخل"، و"حسان" و"القطامي"... كما استشهد أيضا بشعر لا يذكر أصحابه إما لجهل قائله، أو لا يُعرَف قائلوه، أو أنه تعمّد عدم ذكر أسمائهم.

وظف "الأعلم" النصوص الشعرية لأغراض متعددة، منها توضيح المعاني، كما في

شرحه قول "زياد بن حمل بن سعيد": (5)

-
- (1) - الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، ص 156.
 (2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 105.
 (3) - الإمام أبي داود، السنن، تح: أبي تراب عادل بن محمد، مج 2، ص 419.
 (4) - ينظر، الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، الأمثلة التالية: ص 611، 385، 257، 996، 683، 1201، 238، 630، 505، 91، 1201، 238.
 (5) - المرجع نفسه، ص 809.

وَشْتَوَةٌ فَلَلُوا أَنْيَابَ لَزِبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا الْأُرْمُ
حَتَّىٰ أَنْجَلَىٰ حَدَّهَا عَنْهُمْ، وَجَارَهُمْ بِنَجْوَةٍ مِنْ حِدَارِ الشَّرِّ مُعْتَصِمٌ
و"النَّجْوَةُ" ما ارتفع من الأرض لأنها تُتَجَّى من السَّيْلِ. وأراد "بِحَدِّ الشَّتْوَةِ" كَلَبَهَا

وَشَدَّتْهَا، وهذا كقول الحطيئة(1):

إِذَا نَزَلَ الشِّتَاءُ بِجَارِ قَوْمٍ تَجَنَّبَ جَارُ بَيْتِهِمُ الشِّتَاءَ

ونجد ذلك أيضا في شرح قول رجلٍ من ثُمَيْرِ بنِ عامِرٍ بنِ صَعْصَعَةَ: (2)

نُعْرِضُ لِلرِّمَاحِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلسِّبَابِ
"السِّبَابُ" أَنْ تَسُبَّ الرَّجُلَ وَيَسْبُكَ، أَي نَحْنُ حُكَمَاءُ لَا نُسَافِهُ السُّفَهَاءَ وَلَا نُسَابُهُمْ وَلَكِنَّا
نَجْهَلُ فِي الْحَرْبِ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْنَا وَنَبْذُلُ وَجُوهَنَا لِلضَّرْبِ وَالطَّعْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو
تَمَامٍ: (3)

لَهُمْ جَهْلُ السِّبَاعِ إِذَا الْمَنَائِي تَمَشَّتْ فِي الْقَنَا وَحُلُومٌ عَادِ

ونجد ذلك أيضا في شرحه قول آخر في ابن له: (4)

فَجَاءَتْ بِهِ سَبَطُ الْعِظَامِ، كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّجَالِ لَوَاءٌ
يُقَالُ سَبَطٌ وَسَبَطٌ لِلطَّوِيلِ الْمُسْتَرْسِلِ مِنَ الشَّعْرِ وَغَيْرِهِ . فيقول ولدته أمه طویل
العظام، تَامَ الْخَلْقِ، فَإِذَا اعْتَمَّ حَلَّتْ عِمَامَتُهُ مِنْهُ لَطُولُهُ مَحَلَّ اللِّوَاءِ مِنْ قَنَاتِهِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ
عَنْتَرَةَ: (5)

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْدَى نِعَالِ السَّبَبِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

(1) - الحطيئة، الديوان، شرحه حمدو طماس، ص12.

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص121.

(3) - أبو تمام، الديوان، شرحه الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزام، مج1، ص374. من قصيدة مدح بها القاضي المعتزلي أحمد بن أبي دؤاد واعتذر إليه عما نُمي إليه من نيئه من مضر . وهذا البيت استشهد به "الأعلم" في الصفحات التالية، 121، 422.

(4) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص107.

(5) - الأعلام الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين "عنتره بن شداد"، ج2، ص160. وهو من معلقته المشهورة.
المشهوره.

ويظهر ذلك أيضا في شرح قول نَهْشَلُ بن حَرِيّ الدَّارمي: (1)

أَعْرُ كَمِصْبَاحِ الدُّجْنَةِ يَنْقِي قَدَى الزَّادِ حَتَّى يُسْتَفَادَ أَطَائِبُهُ
وَهَوْنٌ وَجَدِي عَنْ خَلِيلِي أَنْنِي إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ امْرَأً مَاتَ صَاحِبُهُ
"الأَعْرُ" المشهورُ الكرم. "والدُّجْنَةُ" الظَّلْمَةُ، والدُّجَى البَاسُ الغيمُ السماء، والأصلُ فيهما
واحدٌ، أي و في الشهرة كالمصباح في الظلام. وقوله "يَنْقِي قَدَى الزَّادِ" أن يَتَحَامَى الطَّعَامَ
ورَائِحَتَهُ البَاعِثَةَ عَلَى الشَّهْوَةِ، حَتَّى يَسْتَفِيدَ أَطَائِبَهُ الضَّيْفُ والجَارُ، أي يُؤَثِّرُهُ عَلَى نَفْسِهِ،
وقَدَى "الطَّعَامَ رَائِحَتُهُ، يقال قَدَى يَفْدِي قَدَى وَقَدَاوَةٌ إِذَا طَابَتْ رِيحُهُ، ويروى "قَدَى الزَّادِ" يُرِيدُ
رَدِيئَهُ وخَبِيثَهُ، أي يَتَجَنَّبُ خَبِيثَ الطَّعَامِ، فما يَعُودُ عَلَيْهِ بَلُومٌ حَتَّى يَسْتَفِيدَ أَطْيَبَ الزَّادِ
وأكرمَهه، كما قال عنتره (2):

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَاءِ أَكْلِ

وقوله "وهوَنَ وجدِي عَنْ خَلِيلِي" كقول الخنساء: (3)

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَاتَلْتُ نَفْسِي
أي لي أسوةٌ فيمن فَقَدَ حَمِيمَهُ فلم يمتُ حزناً عَلَيْهِ.

كذلك شرح قول يزيد بن الطَّرِيَّةِ القُشَيْرِيِّ، وقُشَيْرٌ من الأزد: (4)

وَنَفْعِي نَفْعُ الْمُسْرِينَ، وَإِنَّمَا سَوَامِي سَوَامِ الْمُفْتَرِينَ الْمَفَالِسِ
وقوله "نَفْعُ الْمُسْرِينَ" أي أَبْذُلُ جَمِيعَ مَا أَمْلِكُ مَعَ قَلَّةِ مَالِي فَكَأَنِّي مُوسِرٌ، وَإِنْ كُنْتُ

مُفْتَرًّا. و"المُوسِرُ" الغَنِيُّ. و"المُفْتَرُّ" الْفَقِيرُ. وهذا كقول عروة بن الورد: (5)

يُرِيحُ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَضْيَافَ مَاجِدِ كَرِيمٍ، وَمَالِي، سَارِحًا، مَالٌ مُفْتَرٍ

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 454.

(2) - الأعلام، أشعار الشعراء الستة الجاهليين "عنتره بن شداد"، ج 2، ص 138.

(3) - الخنساء، الديوان، شرحه: حمدو طمّاس، ص 72.

(4) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 950.

(5) - عروة بن الورد، الديوان، ص 38. بيت من قصيدة مشهورة ردّ فيها عروة على زوجته وقد عاتبته على

التعرّض إلى الغزو .

ومن ذلك أيضا شرحه قول الأخنس بن شهاب التغلبي: (1)

وَإِنْ قَصْرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ
يقول إذا ضاقت الحرب عن مجال الخيل واستعمال الرماح نزلنا للمضاربة بالسيف،
وَإِنْ قَصْرَتْ عَنِ إِدْرَاكِ الْأَقْرَانِ خَطُونَا إِلَيْهِمْ إِفْدَامًا عَلَيْهِمْ فَأَلْحَقْنَا بِهِمْ، كما قال كعب بن
مالك الأنصاري (2):

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدَمَا، وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ
كما نجد "الأعلم" قد وظف أكثر من شاهد شعري من أجل توضيح المعنى وتبسيطه،

ويظهر ذلك في شرحه قول قيس بن الخطيم الأنصاري الأوسي: (3)

إِذَا مَا شَرِبْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاكِ رِشَاءَهَا
أشار "بخط مئزره" في الأرض إلى الخيلاء، وإتباع الدلو الرشاء إلى تمام المعروف
وإكماله، لاكتمال الدلو برشائها، و"الرشاء" الحبل، وهم يفخرون بالسماح مع السكر كما قال
"طرفة" (4):

فَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلَّ أُمُونٍ وَطَمْرٍ

وأحسن من ذلك في الوصف وأبلغ في المدح قول "امرئ القيس" (5):

سَمَاحَةٌ ذَا وَيْرٍ ذَا وَوَفَاءٌ ذَا وَنَائِلٌ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ
ومن ذلك أيضا قول بعض بني قيس بن ثعلبة وهم من بكر بن وائل، ويقال هي

لأبي مخزوم النهشلي (6):

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 152

(2) - كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية، تح: سامي مكّي العاني، دار القلم، ط2، دمشق، 1990، ص 85.

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 105.

(4) - طرفة بن العبد، الديوان، شرحه: الأعلام الشنتمري، ص 73.

(5) - امرؤ القيس، الديوان، تح: حسن السندي، ص 120.

(6) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 368.

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا وَإِضَافَةً وَلَوْ نَسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا
 وقوله "إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا" أي يهون علينا فقدها في الحرب لما في ذلك من
 الكرم وطيب الذِّكْر، فنحن نَبْدُلُهَا فِيهَا عَلَى كِرَامَتِهَا عَلَيْنَا فِي السَّلْمِ وَمَنْعِنَا لَهَا مَمَّنْ أَرَادَهَا
 بِضَيْمٍ، هذا كقول الأجدع الهمذاني أبي مسروق الفقيه(1):

وَأَبْدُلُ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنِّي لَهُ فِي سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَدُولٍ
 وقول الكلابي: (2)

نُعْرِضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِيْنَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلسَّبَابِ
 وَضَرَبَ الرَّخْصَ وَالغَلَاءَ مَثَلًا لِلْبَدْلِ وَالصِّيَانَةِ.

ومن ذلك أيضا ما نجده في شرحه قول قيس بن الخطيم الأنصاري الأوسي: (3)
 وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِتَقْدِيمِ نَفْسِي لَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا
 "الضَّرُوسُ" الشديدة، وأصلها الناقة العوض بأضراسها. يقول: رغبتني أن أموت في
 الحرب لما في ذلك من جميل الذِّكْر، فأنا أقدم فيها إقدام الطالب لتلك الميتة. وهذا أبلغ بيت
 في الشجاعة وقد ألمَّ به "أبو تمام" في قوله(4):

فَأَثَبْتُ فِي مُسْتَنْقَعِ الْحَرْبِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَحْمَصِكَ الْحَشْرُ
 كذلك استشهد "الأعلم" بالشعر لمقابلة معنى عند شاعر على معنى عند غيره ،
 ويظهر ذلك جليا في شرحه قول بُشَيْرِ بْنِ أَبِي جَدِيْمَةَ الْعَبْسِيِّ: (5)

لَقَدْ سَمِنْتَ قِعْدَانُكُمْ آلَ حَدِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ

(1) - ينظر: المبرد، الكامل، ج1، ص150.

(2) - هو الثاني من الحماسية 11. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص121.

(3) - المرجع نفسه، ص105.

(4) - أبو تمام، الديوان، ج4، ص81. من قصيدة رثى فيها محمد بن حميد الطوسي.

(5) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص1084.

"و القعدان" جمع قعود وهو كالفصيل، ويقال هو الجمل المنحذ للركوب. أي يؤثرون
 الفُصْلان باللبن على الضيف والمسكين، فقد سَمِنَتْ وهزأت أحسابكم، وهذا ضد قول
 الآخر: (1)

وَمَا يَكُ فِي مَنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
 كما وظف "الأعلم" النص الشعري لتأكيد مسألة نحوية كشرحه قول زياد بن حمل بن
 سعيد (2) :

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبِرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ
 أراد إلا يزيدونهم حُبًّا، فأتى بالضمير المنفصل مكان المُنْصِلِ ضرورةً، وهذا كقول
 الآخر: (3)

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي كَلْفًا بِهِ، نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ
 أي كلما جرئتُ النَّاسِ وجدتهم دون قومي فزادني ذلك رغبةً فيهم وحُبًّا لهم.

ومن ذلك أيضا شرحه قول آخر: (4)

وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ، فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
 أي تَوَسَّلْتُ بغيرها إِلَيَّ، وقد كَانَتْ فِي غِيٍّ عَنِ ذَلِكَ لِأَنَّهَا أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيَّ، وَإِنَّمَا
 يتوسل الإنسان بمن هو أكرم على المتوسل إليه. وقوله "فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى" أوقع بعد "هَلَّا"،
 وهي حرفٌ من أَحْرَفِ الْفِعْلِ، جُمْلَةٌ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، وَذَلِكَ عَزِيزٌ قَلِيلٌ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ. قَالَ
 رَجُلٌ مِنْ آلِ حَرْبٍ: (5)

قَالَتْ أَرَاكَ بِمَا أَنْفَقْتَ ذَا سَرَفٍ فِيمَا فَعَلْتَ، فَهَلَّا فَيْكَ تَصْرِيدُ

(1) - ورد البيت أيضا في الحماسية 738. ص 984. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 1084.

(2) - المرجع نفسه، ص 810.

(3) - هذا البيت ورد شرحه في الحماسية، 551، ص 793. في شرح الأعلام. وهو منسوب في الشعر والشعراء،
 "لابن قتيبة" لعدي بن الرقاع ضمن شعر مدح به عمر بن الوليد، ص 620.

(4) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 841.

(5) - ورد البيت في الحماسية 650، برواية: فيما علمت. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 894.

وَهُوَ هُنَا أُمَّتْلٌ، لَأَنَّ الظَّرْفَ أَدْلُ عَلَى الْفِعْلِ.

ومن ذلك أيضا ما نجده في شرحه قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي: (1)

نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرَّ مِنْ نِزَالِ الْكَبَشِ بُدَا

"الكَبَشُ" الرئيس، وكَرَرَهُ مُظَهَّرًا، تَفْخِيمًا لَهُ، وَسَاغَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَرَّرَهُ فِي جَمَلَتَيْنِ مُكْتَفِيَتَيْنِ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ هَذَا زَيْدٌ، فَقَمَّ إِلَى زَيْدٍ، وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ جَمَلَةً وَاحِدَةً لَمْ يَسُغْ تَكَرُّرَهُ مُظَهَّرًا إِلَّا فِي الشَّعْرِ، مِثْلَ قَوْلِهِ (2):

إِذَا الْوَحْشُ ضَمَّ الْوَحْشَ فِي ظِلَّلَاتِهَا سَوَاقِطُ مِنْ حَرِّ وَقَدْ كَانَ أَظْهَرَ

ومن ذلك أيضا شرحه قول آخر: (3)

عَهَدْتُ بِهَا وَحْشًا عَلَيْهَا بَرِاقَ وَهْدِي وَحُوشٍ أَصْبَحَتْ لَمْ تُبْرِقَ

تَشَابَهُ فِي أَجْيَادِهَا وَعَيُونِهَا وَلَمْ تَنْفَقْ أَشْبَاهَ سُوقٍ وَأَدْرَعِ
والأجْيَادُ "الأعناق". وَنَصَبَ "أشباه سُوقٍ" عَلَى تَقْدِيرِ لَمْ تَنْفَقْ فِي أَشْبَاهِ سُوقٍ، فَحَذَفَ

حَرْفَ الْجَرِّ وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ، وَهَذَا كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ: (4)

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ رَقِيقُ

ومن ذلك أيضا شرحه قول تأبط شراً: (5)

هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمَّا نَمٌّ وَالْقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ

قَوْلُهُ "هُمَا خُطَّتَا: إِمَّا إِسَارٌ" يُنْشَدُ بِرَفْعِ "إِسَارٍ" وَخَفْضِهِ، وَرَفَعُهُ عَلَى تَقْدِيرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَنْ يُرِيدَ هُمَا خَطَّتَا قَوْلِكَ إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ، فَحَذَفَ نُونِ الْاِثْنَيْنِ لِلْإِضَافَةِ إِلَى "الْقَوْلِ" وَحَذَفَ "الْقَوْلَ" لِعِلْمِ السَّامِعِ وَلِمَا احتاجَ إِلَيْهِ مِنْ إِقَامَةِ الْوِزْنِ، وَتَرَكَ مَا بَعْدَ "الْقَوْلِ" رَفَعًا عَلَى

(1) - المرجع نفسه، ص 179.

(2) - النابغة الجعدي، الديوان، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، 1998، ص 89. والبيت ورد في لسان العرب، ينظر مادة "سقط".

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 842.

(4) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) - تأبط شراً، الديوان، اعتنى به عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، 2003، ص 31.

الحكاية. والتقدير الآخر أن يُحذف نون الاثنين ضرورة، كما يُحذف من الاسم الموصول تخفيفاً لطول الكلام في مثل قول الأخطل(1):

أَبْنِي كَلْبِي، إِنَّ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ، وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ
وهذا التقدير من أقبح الضرورة، وهو في الموصول أحسن لطول الصلّة. وأمّا وجه
الخفض فعلى إضافة "الخطتين" إلى "الإسار" وإلغاء "إمّا" على تقدير: هَمَّا خُطَّتَا إِسَارٍ وَمَنَّةٍ
أو دم، وهو جائز في الضرورة. وقوله و"إمّا دم" أراد وإمّا قتل، فكئى بالدم لأنه يكون به.
كما وظف "الأعلم" النص الشعري لإثبات مسألة صرفية، وذلك في شرحه قول
الكرّوس بن زيّد: (2)

رَأْتَنِي، وَمِنْ لُبْسِي الْمَشِيبُ فَأَمَلْتُ غَنَائِي، فَكُونِي أَمِلاً خَيْرَ أَمَلٍ
"الغناء" النفع، أي لَمَّا رَأْتَنِي قَدْ شَبْتُ أَمَلْتُ نَفْعِي، لَأَنَّ الْكَهْلَ أَقْوَى عَلَى التَّصَرُّفِ
والاعتمالِ وأقدرُ على نفعِ العيال. وقوله "كوني أملاً" أي ذاتِ أملٍ، فأخرجه مخرَجَ حائِضٍ
وطاهرٍ ولم يبنه على الفعلِ، ويحتملُ أن يُريدَ كُونِي إِنْسَانًا أَمِلاً، كما قال: (3)
تَرَكَتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ نَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
أي إنساناً ذا غربة.

أو كشرحه قول قيس بن الخطيم الأنصاري الأوسي: (4)

يَهُونُ عَلَيَّ أَنْ تَرُدَّ جِرَاحَهَا عِيُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حَمَدَتْ بِلَاءَهَا

(1) - الأخطل، شعره، صنعه السكري "روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، ط4، دمشق، 1996، ص86. من قصيدة مدح فيها قومه بني تغلب وهجا جريرا.

(2) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص279.

(3) - ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الزحيني، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص216.

(4) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص103.

"الأواسي" جمع آسية وهي المعالجة للطعنة المداوية لها، وخص الآسية للطف النساء وإشفاقهن ورفقهن، ويحتمل، أن يريد جمع آس، فبناه على الأصل ضرورة، كما قال الفرزدق (1):

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابِ نَوَاسِ الأَبْصَارِ
ومسوخ جوارزه في الشعر قولهم في الكلاع فارس وفوارس وهالك وهالك.

كما وظف "الأعلم" النص الشعري لمقارنة معنى عند شاعر وهذا كشرحه قول عمرو بن معدى كرب الزبيدي: (2)

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ جَرَمٍ وَفَرَّتِ
وقوله "أقاتل عن أحساب جرم وفرت" من أهجى ما قالت العرب، لأنه وصفهم بالفرار عن حريمهم الذي يحق عليهم حمايته والدب عنه، محافظة على أنسابهم، وقاتل هو على مدافعة غيره ومحافظة على أحساب من ليس منهم، ونظيره قول أبي يعقوب الخريمي: (3)

يَفِرُّ جِبَانُ القَوْمِ عَنْ أَمِّ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شُجَاعُ القَوْمِ مِنْ لَأِ يُنَاسِبُهُ
وهذا مثل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "الجبان يفر عن أبيه وأمه والشجاع يُقاتل عمَّن لا يبيوء به إلى رخله".

وكذلك يظهر ذلك في شرحه قول ابراهيم بن هرمة: (4)

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ، وَهُوَ أَعْجَمٌ
ونظير قوله "يكاد إذا ما أبصر الضيف" قول بعض المحدثين: (5)

(1) - الفرزدق، الديوان، شرحه علي فاعور، ص 266. من قصيدة مدح بها يزيد بن المهلب أمير العراق.

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 156.

(3) - ينظر: ابن المعتز، الطبقات، ص 393.

(4) - الشريف المرتضي، أمالي المرتضي، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، القسم الثاني، دار إحياء الكتب العربية، 1945، ص 114.

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 995.

وَ يَدُلُّ ضَيْفِي فِي الظَّلَامِ عَلَى القَرَى
حَتَّى إِذَا وَاجَهْتَهُ وَلَقَيْتَهُ
وَتَكَادُ مِنْ عَرَفَانٍ مَا قَدْ عَوَّدَتْ
إِشْرَاقُ نَارِي أَوْ نُبَاحُ كِلَابِي
حَيَّتَهُ بِبَصَابِصِ الأَدْنَابِ
مِنْ ذَاكَ أَنْ يَفْحَصَنَّ بِالتَّرْحَابِ

كما وظف "الأعلم النص الشعري" لتوضيح سبب إطلاق تسمية معينة لشاعر ما،

منه شرحه قول معاوية بن مالك الكلابي المعروف بمعوّد الحكماء، وسمي بذلك لقوله: (1)

سَأَعْقِلُهَا وَتَحْمِلُهَا غَنِيٌّ
أَعُوذُ مِثْلَهَا الحُكْمَاءُ بَعْدِي
وَأُورِثُ مَجْدَهَا أَبَدًا كِلَابًا
إِذَا مَا مُفْظِعُ الحَدَثَانِ نَابًا

ومن ذلك أيضا تسمية جرّان العود النّمريّ، لقول زوجته (2):

خُذَا حَذْرًا يَا حَنَّتِي فِائِنِّي
رَأَيْتُ جِرَانَ العُودِ قَدْ كَادَ يَصْلُحُ
يُرِيدُ سَوَاطًا عَمَلٍ مِنْ جِرَانٍ بَعِيرٍ مَسِينٍ، وَالجِرَانُ بَاطِنُ العِنَقِ، خَوْفُهُمَا بِهِ.

ومن ذلك أيضا شرحه قول امرأة: (3)

أَلَا فَافْضُرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنِيكَ لَنْ تَرِي
وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بِنَاتِهِ
أَبَا مِثْلَهُ تَتَمِي إِلَيْهِ المَفَاخِرُ
صَوَادِقُ، إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

يُروى هذان البيتان في قصيدة "لمحمد بن بشير" يرثي بها أبا "عبيدة بن عبد الله بن

زَمْعَةُ بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي"، وكان زمعة بن الأسود يعرف بزاد الرّكّاب، وأزواد الرّكب ثلاثة زمعة هذا، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان كلُّ واحد منهم إذا سافر

معه رَكْبٌ أَبِي أَنْ يَتَرَوَدَ، فَعَرَفُوا بزاد الرّكّاب، وأوّل الشعر (4):

إِذَا مَا ابْنُ زَادِ الرّكْبِ لَمْ يُمَسِّ بِائِتًا
قَفَا صَفِرٍ لَمْ يَغْرِبُ الفَرَشَ وَائِرٍ

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 667.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 799.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 531.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 531.

ومن ذلك أيضا، ما نجده في شرحه قول الفرزدق، ويروى لمالك بن الرئب

المازني: (1)

فَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يَوْسُفٍ كَمَا كَانَ ،عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ إِيَادٍ
زَمَانَ هُوَ الْعَبْدُ الْمَقْرُ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحُ صَبِيَّانَ الْفَرَى وَيُعَادِي

"وإياد" من معد بن عدنان، وهو إياد بن نزار بن معد، ويقال هو إياد بن معد وجعله، وهو ثَقَفِيٌّ، من غياد لأنَّ بعض النَّسَابِينَ يزعم أنَّ ثَقِيفًا من إياد. وقوله "يُراوِحُ صَبِيَّانَ الْفَرَى وَيُعَادِي" يُعَيِّرُهُ بتعليم الصَّبِيَّانِ، وكان هو وأخوه مَوَدَّبَيْنِ بالطَّائِفِ وكان يُلقَّبُ كُليِّبًا، ولذلك

قال الشاعر: (2)

أَيْتَسَى كُليِّبٌ زَمَانَ الْهَزَالِ وَتَعْلِيمُهُ صُورَةَ الْكُوْثِرِ

كما وظف "الأعلم" النص الشعري لمقابلة معنى بمعنى، وذلك في شرحه قول "مسلم

بن الوليد الأنصاري" وهو صريع الغواني يرثي يزيد بن يزيد الشيباني: (3)

قَبْرٌ بِحُلُوَانٍ أَسْرٌ ضَرِيحُهُ خَطْرًا تَقَاصِرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ
"حُلُوَانٌ" بلدٌ. و"الضَّرِيحُ" الشَّقُّ وسط القبر. ومعنى "أَسْرٌ" أخفى، ويروى "بَحْلُوَانٍ"

استسّر، وهو بمعنى، كما قيل استجبت به بمعنى أجبته، قال الشاعر (4):

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ

كما وظف "الأعلم" النص الشعري للدلالة على صورة بيانية (التشبيه) وذلك في شرحه

قول العيَّار الضبي، وهو جاهلي: (5)

أَعَدَدْتُ بِيضَاءَ لِلْحُرُوبِ وَمَصَدُ قَوْلِ الْغَرَارِيْنِ يَفْصِمُ الْحَلَقَا

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص206.

(2) - المرجع نفسه ، ص207.

(3) - المرجع نفسه ص512.

(4) - البيت لكعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه أبي المغوار، ينظر: الأصمعي، الأصمعيات، تح: أحمد محمد

شاکر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط3، مصر، 1955، ص96.

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص417.

وفَارِجًا نَبْعَةً وَمِلءَ جَفِيٍّ — رٍ من نِصَالٍ تَخَالُفُهَا وَرَقًا

"والفارج" القوس التي بانَ وتزها عن كيديها، وذلك أمضى لسهمها. و"النَّبعَةُ" واحدة النَّبْعِ وهو من أكرم شجرِ القِسيِّ وأعتقه، يريدُ أنها صُنِعَتْ منه، فَسَمَّاها نَبْعَةً لذلك. "والجفِيرُ" الكنانةُ. "وملؤها" نِصَالُ السَّهَامِ، وشبَّهها بالورق في خِفَّتِها كما قال عنتره: (1)

وَمَا لَوْرَقِ الْخِفَافِ، وَذَاتِ غَرْبٍ تَرَى فِيهَا عَنِ الشَّرْعِ أُرُورًا
يُرِيدُ نِصَالًا وَقُوسًا، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ وَرَقَ الْخُورَاءِ، وَهُوَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمَشَاقِصِ مِنَ
النِّصَالِ وَهِيَ الْعَرِيضَةُ الَّتِي فِي وَسْطِهَا عَيْرٌ.

كما نجد "الأعلم" قد وظف النص الشعري للدلالة على أساليب الجملة، ويظهر ذلك جليًا في شرحه قول القلّاح بن حزن المنقري: (2)

فَمَا مِنْ فَتَى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ
هذا البيت رديء النظم، مبني على التقديم والتأخير، وتقديره: فما من الناس فتى نبتغي منهم واحدًا عميدًا نبادله، أي نبدله بهذا المرثي، أي كان لا يعدله أحدًا فيرضى به بدلًا منه. ونظيره في سوء النظم وتعمية المعنى، بيت أنشده ابن الأعرابي وهو (3):

لَهَا مُقَلَّتَا حَوْرَاءَ طَلَّ خَمِيلَةَ مِنْ الْوَحْشِ مَا تَنَفَّكَ تَرَعَى عَرَاؤَهَا
وتقديره لها مُقَلَّتَا حوراء من الوحش ما تنفك ترعى خميلة طل عراؤها.

ومن ذلك أيضا شرحه قول أبو ثمامة البراء بن عازب الضبي: (4)

قُلْتُ لِمَحْرَزٍ يَوْمَ التَّقِينَا تَتَكَّبُ لَا يَقْطِرُكَ الرِّحَامُ
"محرز" رجل من بني ضبة. ومعنى "تتكب" اغدل عن طريق الحق. وقوله "لا يقطرُك" أي لا يُلْفِكُ عَلَى أَحَدٍ قَطْرِيكَ، وهما الجانبان، وجزمه على جواب الأمر، أي تَتَكَّبُ طَرِيقَ الرِّحَامِ لَا يَقْطِرُكَ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "لَا" نَهْيًا، ونظيره قول الآخر:

(1) - عنتره بن شداد، الديوان، عني بتصحيحه أمين سعيد، ص 64.

(2) - الأعلم، شرح حماسة أبي تمام، ص 557

(3) - المرجع نفسه، ص 557.

(4) - المرجع نفسه، ص 334.

تَقُولُ اقْتَصِدْ لَا يَدْعُكَ النَّاسُ مُمْلِقًا وَتَدْرِي بِمَنْ يَا ابْنَ الْكِرَامِ تَعُولُ
 أي إن اقتصدت لم يدعك الناس "مملقاً" وتكون أيضاً على النهي، أي اقتصد ولا
 يدعك الناس مملقا.

كما وظّف "الأعلم" النص الشعري لشرح لفظ ما وتبسيطه، منها ما ورد في شرحه
 قول الأعرج المعني من طي: (1)

إِذَا قَامَتْ هِيَ حَاسِرًا مُشْمَعَلَةً نَخِيبَ الْفُؤَادِ رَأْسُهَا مَا يُقْتَعُّ
 وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مَيَّسِرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ

وقوله "هنالك يجزيني" كقول مالك بن نويرة اليربوعي (2):

جَزَانِي جَزَانِي ذُو الْخِمَارِ وَصَنَعْتِي بِمَا بَاتَ أَطْوَاءَ بَنِي الْأَصَاغِرِ
 أي أثرته على بني بالفوت فجزاني بذلك عند الشدة.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في شرح قول وضاح بن اسماعيل: (3)

مِنَّا الْأَنَاءُ وَيَعْضُ الْقَوْمُ يَحْسِبُنَا أَنَا بِطَاءٌ، وَفِي إِبْطَائِنَا سَرَعٌ
 "والأناء الرفق في الأمور والمهل فيها، أي نتأى في الأمور، حُسن تناولٍ وصِحَّةٌ
 نَظَرٍ وَتَدَبُّرٍ، لِنُنْجُو مِنَ الْخَطِ وَالزَّلَلِ، وَفِي ذَلِكَ إِدْرَاكٌ لِمَا نُرِيدُ، فَذَلِكَ الْبُطْءُ سَرَعٌ فِي الْحَقِيقَةِ،
 "والسرعة السُرعة، وهذا كما قال الفطامي: (4)

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
 كما وظّف "الأعلم" النص الشعري لإثبات مسألة عروضية، من ذلك ما جاء في
 شرح قول الربيع بن زياد يرثي مالك بن زهير: (5)

-
- (1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص406.
 (2) - ورد في الكامل، للمبرد، ج3، ص1433: جزاني ذوائي ذو الخمار وصنعتي إذا بات أطواء بني الأصاغِرِ.
 (3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص409.
 (4) - القطامي، ديوانه، تح: ابراهيم السامرائي، ص25.
 (5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص518.

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

"مالك بن زهير" هو أخو قيس بن زهير بن جذيمة العبيسي، وقُتِلَ في حرب داحس

والغبراء.

وأوقع "زُهَيْرًا" في العروض موقع القافية في القَطْع، والعروض لا تُقَطَعُ إلا في تصريح البيت، وهذا من أفصح عيوب الشعر، والذي سَوَّخَ لهم مثل هذا أن القطع لما جاز مع التصريح، إشعارًا بأنه شعرٌ، جاز مع غير التصريح، تشبيهاً به، لأنَّ العروض يُسَكَّتُ عليها، كما يُسَكَّتُ على الضَّرْبِ وهو آخر البيت، ولهذا جازَ أن تُقَطَعَ ألفُ الوصل في أول الشطر الثاني، كما قال (1):

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ وَلِيدُنَا الْقَدْرَ يُنْزِلُهَا بَغَيْرِ جَعَالِ

والأمثلة على استشهاد "الأعلم" في شرحه لديوان الحماسة بالنصوص الشعرية كثيرة، وكلها تدلُّ على اطلاع الأعلام على الشعر العربي جاهليته وإسلاميته، خاصة أصحاب المعلقات، بحكم شرحه لها.

وقد يضرب "الأعلم" في الشعر عن الأبيات والشطور ويورد أجزاء منها خاصة، إن كان الشعر ممَّا تردَّد في شروحه أكثر من مرَّة أو ممَّا سبق أن تناوله فيما هو فيه، أو كان مما اشتهر بحيث لا يخفى أمره على دارسي الأدب، وقلَّما يذكر أكثر من بيت فتستغرق استشاداته بيتين متواليين أو ثلاثة، إلا أنه لا يألوا جهداً في نسبة ما يذكره إلى صاحبه، ولا في توجيهه لإثارة ما في الشعر، وربما احتال بسبب بعضها على إيجاد حلٍّ لبعض الرموز الكامنة في آثار اللاحقين، وجمع الحديث إلى القديم ليفسره ويحدِّد إشاراتِهِ ولو عن طريق الدلالة التي تهدي إليها رواية بعينها.

فمما أورد من أجزاء البيت، ما استشهد به في شرح الآخر: (2)

(1) - البيت غير منسوب. ينظر، سيويوه، الكتاب، تح: محمد عبد السلام هارون، ج4، ص150. وينظر: اللسان مادة (جعل).

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص741.

بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَّضُوا لَهُ
بِبَعْضِ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
قوله "لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ" أي هي غريزة حية تُبْهَتُ عند المحاورَة فَنَنْقَطِعُ، وبهذا
توصفُ المرأةُ، كما قال الشنفرى: (1)
...وَأِنْ تُحَدِّثَكَ تَبَلَّتْ

أي تقطع الحديث.

ومن ذلك أيضا، ما استشهد به لإثبات مسألة صرفية، وذلك ما جاء في شرحه قول

دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيِّ: (2)

فَأَنَا لِلْحَمِّ السَّيْفِ غَيْرِ نَكِيرَةٍ
وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرٍ
وقوله "غَيْرِ نَكِيرَةٍ" أي غير حالٍ مَنكُورَةٍ، ويجوز أن يريد غير نَكِرَةٍ، ثم أشبع الكسر
ضرورةً، فحدثتُ بعدها ياءً، كما يَسْتَمِرُّ ذلك في الجموع، كالصَّيَّارِيفِ ونحوه، وكما يقول (3):
.....أَدْنُو فَأَنْظُرُ

وقال الآخر: (4)

كَأَنَّ فِي أَنْبِإِهَا الْفُرْنُفُولُ

وقد استشهد "الأعلم" بجزء البيت من أجل توضيح المعنى، ما جاء في شرحه قول

مُرَّةِ بْنِ مَحْكَانَ التَّمِيمِيِّ: (5)

قَدْ حَسَرَ الْبَقْلُ شَيْئًا مِنْ رَوَادِفِهَا
حَدَّ الشَّتَاءِ وَكَانَتْ جِلَّةً دُبَابًا

(1) - ينظر: المفضل الضبي، المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، محمد عبد السلام هارون، ص 109. والبيت:

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثَكَ تَبَلَّتْ

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، 514.

(3) - وعجز البيت هو: وَأَنْتِي حَيْثُ مَا يَنْتِي الْهَوَى بَصْرِي حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُرُ. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ج 2، ص 379.

(4) - وصدر البيت: خَوْدٌ أَنَاةٌ كَالْمَهَاةِ عُطْبُولُ. ينظر: اللسان مادة (قرنفل).

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 959.

قوله "قَدْ حَسَرَ الْبَقْلُ" أي حَطَّ من لحوم مؤجَّرها أو حَطَّ أوبَارَهَا قِلَّةَ الْبَقْلِ وَعَدَمَهُ. "وحدُّ الشِّتَاءِ" أوله وإقباله، ونَصَبُهُ عَلَى الظَّرْفِ. "والجِلَّةُ" المَسَانُ العِظَامُ الأَسْنِمَةُ. "والدُّبُّبُ" ذواتُ الوَبْرِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ كَذَلِكَ إِذَا أَهْمِلْتَ فِي المرعى وَسَمِنْتَ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ: (1)

...فِي أوبَارِهَا اللَّبْدُ

ومن ذلك أيضا شرح قول إِيَّاسُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: (2)

فَمَا كَلَّتِ الأَيْدِي وَلَا أَنَاظِرُ القَنَا وَلَا عَثْرَتْ مِنَّا الجُدُودُ العَوَاثِرُ
أَي لَمْ نَمَلَّ الحَرْبَ وَلَا عَطَفْنَا الرِّمَاحَ عَنِ الأَقْرَانِ هَيْبَةً وَجُبْنًا، وَلَا عَثْرَتْ جُدُودُنَا
بظهور العدوِّ عَلَيْنَا. و"الأنيطارُ" الانعطاف، ويقال أَطْرَتْ الرُّمَحَ فأنَاظَرَ أَي عَطَفْتُهُ
فانعطف. ووصفَ "الجُدُودَ" بالعواثر "بقوله" عَثْرَتْ "فَسَمَّاها بِاسْمِ مَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ لَوْ عَثْرَتْ بَعْدَ
النَهْوِضِ وَالانْتِعَاشِ. وَكَانَ وَجْهَ الكَلَامِ وَلَا عَثْرَتْ مِنَّا الجُدُودُ الصَّوَاعِدُ، وَهَذَا كَمَا قَالَ
جرير: (3)

.....تَوَاضَعَتْ سُورُ المَدِينَةِ وَالجِبَالُ الخُشَعُ

أَرَادَ الجِبَالُ الشَّامِخَةَ فوصَفَهَا بِمَا آلَتْ إِلَيْهِ.

ومما ورد ، من استعانة "الأعلم" بأنصاف الشاهد الشعري من أجل تصحيح لغة قبيلة

نذكر شرحه قول آخر: (4)

نُعَى لِي أَبُو المِقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظِرِي مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَكَّتْ عَلَيَّ المِسامِعُ

قوله "نُعَى لِي" أي نُعِيَ، وَهِيَ لُغَةٌ طَبِيعِيَّةٌ ، كَمَا قَالَ زَيْدُ الخَيْلِ: (5)

(1) - النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، ص22. والبيت:

الوَاهِبُ المَائَةُ المَكْعَاءَ رَيَّيْهَا سَعْدَانُ تُوضِحُ فِي أوبَارِهَا اللَّبْدُ

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، 231.

(3) - جرير، الديوان، شرحه محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، ص913. وبقية البيت: لَمَّا أَتَى خَبْرُ الرُّبَيْرِ..

(4) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص593.

(5) - هو من أبيات كتاب سيبويه، تح: محمد عبد السلام هارون، ج 1، ص 129. وج 4، ص188. وصدوره: =

عَلَى مِحْمَرٍ تَوَنَّمُوهُ وَمَا رُضَا

أَرَادَ وَمَا رَضِيَ.

ومما جاء أيضا في توضيح المعنى، شرحه قول عصام بن عبيد الزماني (1) :

أَبْلَغَ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مَغْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامِ
"المَغْلَغَلَةُ" الرسالة أتى من بُعدٍ كأنها تُعْلَعِلُ في البلاد حَتَّى تَصِلَ. "والعِتَابُ" الملامة
والتوقيف عن الذنب، وإذا عاتب الإنسان صديقه المُذنب إليه فهو مستنزل وله رغبٌ في

مودته، فذلك قال "وفي العِتَابِ حَيَاةٌ" أي حياة للمودة، ولهذا قالوا: (2)

وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

ومما جاء أيضا شرحه قول جرء بن ضرار أخو الشماخ، وهو من بني ثعلبة بن سعد

بن ذئبيان: (3)

تَصَامِيئُهُ؟ حَتَّى أَتَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعُ مِنْهُ مُخْطِئُهُ وَمُصِيبُ
وقوله "تَصَامِمْتُ" أي تَصَامَمْتُ عن سماعه استفظاعاً له، وكذبتُ به أولَ وروده حَتَّى
تتابع وصحَّ فأفزعني أولُهُ وآخرُهُ، وجعل ما هَجَمَ عليه من أوله فكذبَ به مُخْطِئاً، وما تَبَقَّى
عنده من آخره مُصِيباً لمقتله. والخبر الشنيعُ أولَ وروده تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَى تَأْمِيلِ الْكُذْبِ فِيهِ،

ولهذا قال "أبو الطيب" في خبر موت أختِ سيف الدولة: (4)

فَزَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكُذْبِ

= أَيْ كُلِّ عَامٍ مَا تَمَّ تَبَعْتُونَهُ

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح ديوان أبي تمام، ص 694.

(2) - البيت غير منسوب. أما صدره فقد جاء في مقاييس اللغة (عتب):

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 134.

(4) - المتنبى، ديوانه (شرح البرقوقى)، ج 1، ص 216. وصدرة:

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ.

ومن ذلك أيضا ما جاء في شرحه قول ابن زبابة التميمي من بني تميم الله بن

ثعلبة: (1)

والدِرْعُ لا أَبْغِي بِهَا ثَرْوَةً كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ
"الثروة" كثرة المال. أي لا أطلب غنى أكثر من السلاح، لأن المال عرض زائل

كالوديعة المسترجعة، وهذا كما قال الآخر: (2)

مَالِي سِوَى فَرَسِي وَالرُّمْحِ مِنْ نَشَبِ

ومن ذلك أيضا نجد شرحه قول بعض بني قيس بن ثعلبة وهم من بكر بن وائل: (3)

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
قوله "افتلينا" اصطفتينا واخترتنا، وهو من فلوت المهر عن أمه إذا فصلته عنها، لأن

الاختيار تفضيل الشيء مما اختير منه، وهو كما قال أبو الطمحان القيني (4):

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ

ونجد ذلك أيضا في شرحه قول الآخر: (5)

وَمَا يَكُ فِي مَن عَيْبٍ فَاتِي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
جعل كلبه جبانا لكثرة ما يزرجه عن الضيف أو لكثرة ما يعشاه الأضياف حتى يأنس

بهم فلا ينبخ، كما قال حسان بن ثابت: (6)

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 285.

(2) - البيت لزيد بن جندب الإيادي الخطيب الأزرق. ينظر: المبرد، الكامل، تح: محمد أحمد الدالي، ج 3، ص 1337. وصدرة:

إِنِّي لِأَهْوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُظْطَرًّا

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 368.

(4) - ينظر: المبرد، الكامل، ج 1، ص 68. وصدرة:

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 984.

(6) - ينظر: حسان بن ثابت، الديوان، ص 184. وعجزه:

لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

يُعْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابُهُمْ

ولتوضيح المعنى أيضا، استشهد "الأعلم" بأكثر من شاهد، ومن ذلك نجد شرحه قول

قيس بن زهير: (1)

بَنُو جَنِيَّةٍ وَوَلَدَتْ سُوَيْفًا صَوَارِمًا، كُلُّهَا نَكَرَ صَنِيعُ
أَرَادَ "بِالْجَنِيَّةِ" فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخُرْشُبِ أُمَّهُمْ، وَجَعَلَهَا جَنِيَّةً فِي جَمَالِهَا وَعَقْلِهَا وَدِهَائِهَا،

وإذا أرادت العربُ المبالغةَ في وصف الشيء جعلته جَنِيَّةً، كما قال زهير (2):

بِخَيْلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبَقْرِيَّةٌ

وعلى هذا قال "أبو تمام" في وصف امرأة (3):

جَنِيَّةُ الْأَبْوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

كما وظَّفَ "الأعلم" أنصاف الأبيات الشعرية للدلالة على مسألة نحوية، وذلك يظهر

في شرحه قول الآخر: (4)

فَمَا أَكْثَرَ الْأَخْبَارَ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بِشِيرٍ
وَأَعْمَلُ الْأَخْبَارَ وَهِيَ جَمْعُ خَبْرٍ، فِي "أَنْ" عَلَى إِرَادَةِ الْبَاءِ، وَذَلِكَ عَزِيزٌ فِي

المصدر إذا جُمِعَ، ونظيره: (5)

مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيْتَرِبِ

فَنَصَبَ الْأَخَّ بِالْمَوَاعِيدِ.

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 402.

(2) - زهير، الديوان، ص 48. وعجزه:

جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح ديوان أبي تمام، تح: ابراهيم نادن، ج 2، ص 170. هو من قصيدة مدح فيها عمر بن

طوق بن مالك التغلبي. صدره:

إِنْسِيَّةٌ إِنْ حَصَلَتْ أَنْسَابُهَا

(4) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 778.

(5) - ينظر: اللسان مادة (عرقب)، ومعجم البلدان مادة (يترب). وصدره:

وَعَدَتْ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً

ومن ذلك أيضا شرحه قول التيمي في منصور بن زياد: (1)

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَنْعَى جِوَارِكَ حِينَ لَاتَ مُجِيرٌ
يقول قد كُنْتُ تُغِيثُ الْمُهَوَّفَ حَتَّى لَا يَتْلَهَفَ، فَهَفِي عَلَيْكَ لِفَقْدِ ذَلِكَ مِنْكَ.
ومعنى "لَاتَ مُجِيرٌ" لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مُجِيرٌ لَهُ مِمَّا أَصَابَهُ، فَرَفَعَ "المُجِيرَ" بِلَاتٍ تَشْبِيهًا لَهَا بِلَيْسَ
وَحَدَفَ الْخَبَرَ لِعَلْمِ السَّامِعِ كَمَا قَالَ (2):

فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ

ونجد ذلك أيضا في شرحه قول الآخر: (3)

يَسْأَلُ الْغَنَى وَالنَّأْيُ أَدْوَاءَ صَدْرِهِ وَيُبْدِي التَّدَانِي غِلْظَةً وَتَقَالِيَا
وقوله "يَسْأَلُ الْغَنَى" يَكُونُ رَفَعًا عَلَى الْإِسْتِنَافِ، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ جِزْمٍ عَلَى
جَوَابِ الْأَمْرِ، وَيَتَّبَعُ الضَّمُّ الضَّمَّ كَمَا يَقَالُ لَمْ يَمُدُّ، فَاعْلَمْ، وَكَسْرُهُ عَلَى مَا يُوجِبُ النِّقَاءَ
السَّاكِنِينَ أَحْسَنُ هُنَا لِلْأَلْفِ وَاللَّامِ الَّتِي تَأْتِي بَعْدَهُ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ: (4)

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

ومن ذلك أيضا شرحه قول حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ يَمْدَحُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِ: (5)

فَلَا مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنَّكَ سَعْيُهُ وَإِلْضَافَةٌ وَلَا سَوْقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلًا

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 508.

(2) - البيت لسعد بن مالك. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، الحماسية 43، ص 170.. واللسان مادة (برح).
وينظر كذلك: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 58. وصدرة:

مَنْ فَرَّ عَن نَيْرَانِهَا

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 444.

(4) - جرير، الديوان، ص 821. والبيت من قصيدة في هجاء الراعي النميري وقومه. وعجز البيت:

فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

(5) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 917.

وقوله " ما يُدْرِكَنَّكَ " أدخلَ النَّونَ مؤكِّدةً في الخبر الواجب لدخول " ما " مؤكِّدة زائدة، تشبيهاً لها بلام التوكيد واليمين في قولهم والله لأفعلن، وقد أتى مثلُ هذا كثيراً في كلامهم، كقولهم: (1)

ومن عِضَةٍ ما يُنْبُتَنَّ شَكِيرُها

كما جاء توظيف "الأعلم" لأنصاف الأبيات الشعرية، لتوضيح صورة بيانية كالكناية، ويظهر ذلك جلياً في شرح قول مالك بن حريم الهمذاني: (2)

وَأَعْرُ مَنْخَرِقُ القَمِيصِ سَمِيدَعُ يَدْعُو لِيَعْرُو ظالِمًا فَيَجَابُ
"الأعْرُ" المشهور الكرم، وأصله الأَعْرُ من الخيل لشَهْرَتِهِ بِالغُرَّةِ. وقوله "مَنْخَرِقُ"
القَمِيصِ أي واسعٌ معروف، كما يقال هو عَمْرُ الرِّداءِ أي كثير العطاء، ويكون أيضاً كنايةً
عن تَبَدُّله لِلأضيافِ في الأسفار، حتى يُنْخَرِقَ قَمِيصُهُ، وهم يفخرون بذلك، كما قال الشماخ
بن ضرار الذبياني: (3)

طَبَّاحِ سَاعَاتِ الكَرَى زَادَ الكَسِيلِ

"والسَّمِيدَعُ" السَّيِّدُ المَوْطَأُ الأَكْنافِ. وقوله "يَدْعُو لِيَعْرُو ظالِمًا فَيَجَابُ" وَصَفَهُ بِالعِرَّةِ
والاستطالة على العدو، كما قال زهير (4):

سَرِيعًا وَالْأَيُّ بِئِدًا بِالظُّلْمِ يَظْلِمُ

(1) - هذا من الأمثال العريقة، وقد ذكر كذلك في صورة شطر شعري، بعدد من المصادر، فهو غير منسوب في اللسان مادة (شكر) و(عضه). والشكير ما يُنبُتُ حول الشجرة من أصلها، والعضة واحدة العضاء، وهي شجرة ذات شوك. وصدر البيت:

إِذَا قَامَ فِيهِمْ سَيِّدٌ سُرِقَ ابْنُهُ

(2) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص146.

(3) - الشماخ بن ضرار الذبياني، الديوان، تح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، 1968، ص390. وقد شرحه الأعلام في التحصيل، ص145، وصدرة:

رُبَّ ابْنِ عَمِّ لَسْلَيْمِي مُشْمَعِلٌ

(4) - زهير بن أبي سلمى، ديوانه، ص69، وصدرة:

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ

أما ما جاء من الاستشهاد بأنصاف الأبيات للدلالة على مسألة صرفية، شرحه قول

شُرِّحُ بن الأَحوص الكِلابِيِّ: (1)

وَمُسْتَبِحٌ يَبْغِي المَبِيتَ، وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ سِجْفًا ظُلْمَةً وَكُسُورَهَا
و"السَّجْفُ" السِّتْرُ، وَتَنَاهُ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ مُتَنًى، لِأَنَّهُ سِتْرٌ مَشْفُوقٌ الأَسْفَلَ يُدْخَلُ

بين تَنِيئِهِ وَيُخْرَجُ مِنْهُ كَالكَلَّةِ، كما قال النابغة (2):

وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَضَدِ

ومما جاء من الاستشهاد للدلالة على لفظة معينة، ما جاء في شرح قول المُنْخَلِ بِنُ

الحارث اليشكري: (3)

وَعَلَى الجِيَادِ المَضْمَرَا تِ فَوَارِسٍ مِثْلُ الصُّقْرِ —————
"والجِيَادُ" عِتَاقُ الخَيْلِ، واحِدُهَا جَوَادٌ، وَهُوَ يَقَعُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. "والصُّقُورُ" جَمْعُ صَقْرٍ،

وهو يقع على ما كان من جوارح الطير كالعقاب والبازي والشوذانق (4) ، قال العجاج: (5)

تَقْضِي البَازِي إِذَا البَازِي كَسَرَ

وقال أيضا: (6)

تَقْضِي البَازِي مِنَ الصُّقُورِ

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 979.

(2) - النابغة الذبياني، ديوانه، ص 15. وصدوره:

خَلْتُ سَبِيلَ أَتِيَّ كَأَن يَحْبِسُهُ

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 217.

(4) - الشوذانق والشوذانق، أيضا لغة وهو الصقر. وأصله بالفارسية سودانِه فَعَرَبَ ، وجمعه سُذُقٌ على غير قياس. ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 238.

(5) - العجاج، الديوان، رواية عبد الملك بن قريب الأصبغي، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، 1995، ص 83. من أرجوزة طويلة مدح فيها عُمر بن عبيد الله بن معمر أحد قواد عبد الملك بن مروان. وعجز البيت:

أَبْصَرَ حِرْبَانَ فَضَاءٍ فَانْكَدَرَ

(6) - المرجع نفسه، 229. وعجز البيت:

بَلْ خَلْتُ أَعْلَاقِي وَجَلْبَبَ الكُورِ

كما وظّف "الأعلم" نصف البيت الشعري للدلالة على مسألة عروضية، من ذلك ما جاء في شرح قول عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَازِيَةَ الطَّائِي: (1)

وَقَافِيَةٍ مِثْلَ حَدِّ السِّنَانِ نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا

شبه القافية بحدّ السنان في مضائها ونفوذها، وأراد بالقافية قصيدة هجو، كما قال

الأخطل: (2)

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ

والأمثلة على ذلك كثيرة، كلّها دلالة على ثراء ملكة "الأعلم" في مجال الشعر.

وعليه، نصل إلى أنّ إيراد الشاهد الشعري إنّما هو جزء من الشرح ووسيلة مفسّرة من وسائله الموضّحة للبيت المشروح بصورة أقرب إلى روح الشعر وأبلغ في التوصيل، لذلك أتت محلية الكلام ومساهمة في إيصال الغرض الشعري، جاءت في الصلب لا الحواشي واستطراداتها، فإذا كان الشرح لصيقاً بالنص فمن الواجب أن تكون أدواته قريبة أيضاً ولصيقة بالأصل.

أمّا بالنسبة للنصوص النثرية الأخرى (3)، فإنّ استعمالها يدخل أيضاً في توضيح

المعنى وتبسيطه (4)، يقول في شرح قول تَابُطُ شَرًّا: (5)

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْبَسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ

وقوله "أمّ النجوم" المجرّة، لأنّ معظم النجوم حولها، فكأنّها أمّ لها تجمعها، ويقال هي

شَرِّجُ السَّمَاءِ*، لأنها تضم النجوم. والمعنى أنّه يسري في الظلام، ويهتدي في الفلاة، ولا

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 273.

(2) - الأخطل، ديوانه، ص 150. من قصيدة يمدح فيها عبد الملك . و صدر البيت:

حَتَّى اسْتَكَانُوا، وَهُمْ مَنِّي عَلَى مَضَضٍ،

(3) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 106، 705، 576، 141، 476، 650، 691،

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 485، 326،

(5) - تابط شرا، ديوانه، ص 148.

* - شرح السماء أي مجرّتها.

يَعْرُجُ فِي الْقَصْدِ، كَمَا لَا تَعْرُجُ الْمَجْرَةُ عَمَّا قُدِّرَتْ عَلَيْهِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: "هُوَ أَهْدَى مِنْ نَجْمٍ"، كَمَا يَقُولُونَ: "هُوَ أَهْدَى مِنْ قِطَاةٍ".

ويظهر ذلك أيضاً، في شرحه قول زُقَرِّ بْنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ: (1)

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً لِيَالِينَا لِأَقِينَا جُدَامًا وَحَمِيرًا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بَعْضٍ، أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسَرَ
يقال لمن قاس شيئاً على شيءٍ فأخطأ قياسه" ما كُلُّ سَوْدَاءٍ تَمْرَةٌ وَلَا كُلُّ بَيْضَاءٍ
شَحْمَةٌ" أَي كُنَّا ظَنُّنَا بِهِم الظُّهُورَ عَلَيْهِمْ فَوَجَدْنَا هُمْ صُبْرًا عَلَى حَرِينًا مَقَاوِمِينَ لَنَا. وَقَوْلُهُ
وَقَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ" أَي أَصْلَنَا وَاحِدَ فَكَأَنَّا مِنْ نَبْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُمْ، فِي الشَّدَةِ
مِثْلُهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُمْ مُخْتَلِفًا" فَلذَلِكَ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فَيَقَالُ "النَّبْعُ يُفْرَعُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، كَمَا
يَقَالُ أَيْضًا "الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ".

أو كما جاء في شرح قول يزيد بن المهلب: (2)

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأُلَهَا: رُوَيْدِكَ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ (3)
يقول "الأعلم" و"الرأل" فَرَحُ النَّعَامِ، أَي لَمَّا طَارَتْ نَفْسِي فَرَعًا وَحَفَّتْ خِفَّةَ الرَّأْلِ الشَّارِدِ،
كَمَا قِيلَ "أَشْرَدُ مِنْ نَعَامٍ".

أو كما جاء في شرح قول بعض سِنْبِسٍ مِنْ طَيِّ: (4)

لَمَّا رَأَوْهَا مِنْ الْأَجْزَاعِ طَالِعَةً شُعْنًا فَوَارِسُهَا شُعْنًا نَوَاصِيهَا
لَادَتْ هُنَالِكَ بِالشَّعَافِ عَالِمَةً أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ بَلِيلٍ أَمْرَ عَاوِيَهَا
وقوله "أطاعت بليل" أي حين دبّر الأمر مُدَبِّرَهَا وَتَفَرَّغَ لَهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ تَدْبِيرُ
الْأَمْرِ لَيْلًا، وَلِهَذَا قِيلَ: "أَمْرٌ دَبَّرَ بَلِيلٌ".

(1) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 245.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 421.

(3) - ينظر: شرح المرزوقي الحماسية 124، ص 264. روي: مكانك لَمَّا تُشْفِقِي.

(4) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 440.

أو جاء توظيف تلك النصوص النثرية للدلالة على مسائل نحوية، كشرحه قول زُفر

بُنِ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ: (1)

أَفِي اللَّهِ أَمَا بَحْدَلٌ وَابْنُ بَحْدَلٍ فَيَحْيَا، وَأَمَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَيُقْتَلُ
يقول "الأعلم" وجعل قوله "أَمَا بَحْدَلٌ" جملة في موضع مبتدأ وخبره في المجرور
قبله حملاً على المعنى، كما قيل في المثل "تَسْمَعُ بِالْمُعَدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ"، فتسمع" جملة
في موضع اسم مبتدأ "وَحَيْرٌ" خبره، والمعنى "سَمَاعُكَ بِالْمُعَدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ، فَنَابَ
"تَسْمَعُ" منَابَ سَمَاعِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى مَصْدَرِهِ، وَقَوْلُهُ "فَيَحْيَا" أَخْبَرَ بِهِ عَنْ أَحَدِهِمَا،
وحذف خبر الآخر اختصاراً، لما في الكلام من الدليل على ما أراد، وهو مثل قوله جلّ
وعز: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ (2).

كما وظّف "الأعلم" النص النثري، من أجل تفسير اللفظ، كشرحه قول الآخر: (3)

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِخْوَانًا نَنَا ذَهَبُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ
يقول "الأعلم": و"الأبْدُ" الدهر، ومن أمثالهم "أَتَى أَبَدٌ عَلَى لُبْدٍ".

أو كما جاء في قول جَحْدَرُ بْنُ خَالِدٍ: (4)

وَلَكِنَّا نَأَيْنَا، وَاكْتَفَيْتُمْ وَلَا يَنَائِي الْحَفِيَّ عَنِ السُّؤَالِ
يقول الأعلام "والحَفِيُّ" البرُّ اللطيف، وهو فَعِيلٌ مِنَ الْحَفَاوَةِ وَهِيَ الْبِرُّ بِالْإِنْسَانِ،
وَاللُّطْفُ بِهِ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فَيَمُنُ يَتَمَلَّقُ بِحَاجَتِهِ: مَأْرَبٌ لَا حَفَاوَةَ، أَيِ إِنَّمَا بَكَ حَاجَتُكَ لَا حَفَاوَةَ
بي.

وكما جاء في شرح قول كعب بن زُهَيْرٍ: (5)

(1) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 275.

(2) - سورة التوبة الآية 62.

(3) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 495.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 302.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، ص 606.

كَأَنَّكَ كُنْتَ تَعْلَمُ يَوْمَ بُرْتُ ثِيَابَكَ مَا سَيَلْقَى سَالِبُهَا
يقال "بُرْتُ" الرجلُ أَبْرُهُ إذا سَلَبْتَهُ ومنه المثل "من عَزَّ بَرَّ، أي من غَلَبَ اسْتَلَبَ، كَأَنَّكَ
عَلِمْتَ حِينَ نَذَرْتَ وَأَقْسَمْتَ عِنْدَ قَتْلِكَ مَا سَيَلْقَى قَاتِلُكَ فَأَقْسَمْتَ عَلَى حَسْبِ عِلْمِكَ. ولتوضيح
المعنى أكثر، يشير "الأعلم" إلى ما قد يحمله هذا اللفظ من معاني أخرى، فيوظف "الكناية
مثلا" لتوضيح ذلك، يقول "وكنى بسلب ثيابه عن قتله لأنه إذا سُلِبَ قُتِلَ، كما جاء في المثل"
سواءً علينا قَاتِلَاهُ وسَالِيَاهُ".

أو كما جاء في شرح قول المُتَمِّمِ بن رِيَّاحِ بنِ ظَالِمِ المُرِّيِّ: (1)

وَقَتُودٍ نَاجِيَةٍ وَصَعْتُ بِفَقْرَةٍ وَالطَّيْرُ عَاشِيَةٌ الْعَوَافِي وَفَعَّ

يقول "الأعلم": "والعاشية" المُتَعَشِيَةُ، ومنه المثل "العاشية تَهَيِّجُ الأَبِيَّةُ".

فضلا عما سبق، نجد أن الشاهد الشعري استأثر بالمرتبة الأولى، من حيث الكثرة
والوفرة والموضوعية، لأنه أكثر ارتباطاً في معناه وموضوعه بالمادة المشروحة وهي القصائد
الشعرية ذاتها.

ومن كل ما تقدم، تتضح لنا ثقافة "الأعلم" في باب الاستشهاد، وما كانت تحفل به
شروحه الشعرية من مختلف الشواهد، حتى أضحت من الأسس الأولى في الاستشهاد
والاستدلال، فهو يبحث في تثبيت اللغة والقواعد النحوية واللغوية من مختلف الاستشهادات
التي كان يضعها جنبا إلى جنب.

9- الرواية في شرح الأعلام الشنتمري:

أما الرواية فإن "الأعلم" قد استعان بها في شرحه، مشيراً إلى ما اختلف منها محاولاً
استغلالها لخدمة النص والتعليق على بعضها وترجيح طرفاً على آخر، وقد استثمر ما صلح
منها للبت في نسبة الشعر أو نفيها أو ترجيح معنى على معنى أو استبعاد حالة إلى آخر ما
يشارك في تقويم النص على الوجه الصحيح، مع ربط ذلك بما صحَّ من العادات وتقرَّر من
الأوضاع على مستوى العلاقة المألوفة التي يطمح النص إلى تسجيلها.

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 1006.

ها هو يقول في شرح بيت رجل من بلعُبر بن عمرو بن تميم: (1)

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبِحْ إِبْلِي بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بِنِ شَيْبَانَا
إِذَا لَقَامَ بَنَصْرِي مَعْشَرَ خُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ ذُو لَوْتَةٍ لَأَنَا

و"اللوثة" ضَعْفُ المُنَّة، ومنه التَّاتُ الإنسان، ويُرْوَى "لَوْتَةٌ" بفتح اللام وهي القوَّة. ومعنى "لَانَ" انكسر حُدُّه ولَانَ شَرُّه، أي إذا ضَعَفَ القويُّ عن مقاومة عدوِّه فَهُمُ خُشْنُ الجوانب عليه قائمون بمدافعته، وهذا أبلغ من الرواية الأولى، ومخرج الرواية الأولى أَنَّ العرب تَقْصِدُ مرَّةً قَصْدَ الحَقِيْقَةِ وتَسْلُكُ مرَّةً طَرِيقَ الغَلْوِ والمبالغة، فنظير قوله "إِنْ ذُو لَوْتَةٍ لَأَنَا" و" اللوثة الضعف، قول توبة: (2)

نَرَى ضُعْفَاءَ القَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ دَعَامِيصُ مَاءٍ نَشَّ عَنْهَا عَدِيْرُهَا
فَقَالَ "ضُعْفَاءَ القَوْمِ" ولم يقل أقوياءهم، يصفُ فلاةً. ونظيرُ الرواية الأولى في

المبالغة قولُ أبي النجم: (3)

تَرَى الأشِدَاءَ بِهَا ضِعَافًا

لكل مقام مقال، وإن كان الشاعرُ أراد التعريضَ بضعف قومه عن نصره فالاختيارُ "ذُو لَوْتَةٍ" بالضم، وإن كان قَصْدَ المبالغة في مدح بني مازنِ "قَلْوْتَةٌ" بالفتح أجود.

أو ما جاء في شرح قول الفندُ الزماني، في حرب البسوس: (4)

شَدَدْنَا شَدَّةً اللَّيْثِ عَدَا وَاللَّيْثُ غَضِبَ _____ أَنْ (5)

يقول الأعلام: وقوله "عَدَا" أي شَدَّ وَحَمَلَ، وهو من العَدُوِّ في السَّيرِ، ويجوز أن يكون من العُدوان، ويروى "عَدَا" بالعين معجمة، وهو أبين، لأنَّ ذكر الشرِّ يَدُلُّ على العُدوانِ

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 357.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 358.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 358.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص 360.

(5) - روي هذا البيت في شرح المرزوقي، "مَشْنِيْنَا مِشْنِيَةَ اللَّيْثِ" ينظر: الحماسية 2، ص 29.

والعدو، وإذا قال "غداً" بالغين معجمة، ففيه فائدة لاستغنائه عن توكيد أول الكلام واتصاله بما بعده.

وفي مواضع أخرى كان "الأعلم" يُعلّل وجه تفضيله للرواية وفق المعيار الذي يراه،

ومن أمثلة ما أورده شرح قول جرّان العود النمرّي: (1)

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْدَعَتِي وَالْعَقْلُ مُتَلَّةٌ وَالْقَلْبُ مَشْغُولٌ
ثُمَّ انصَرَفْتُ إِلَى نِضْوِي لِأَبْعَثَهُ إِثْرَ الْخُدُوجِ الْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولٌ

يقول " هكذا وقع البيتان، والصواب أن يكون الأولُ ثانيًا لأنّه انصرف أولاً إلى نضوه فأرحله وذهب. وقوله " قبل بردعتي " يريد أنه لشغل باله واتلاه قلبه جعل إعداد الرّحل علا ظهر البعير قبل "البردعة" . ويروى "اغتررت برحلي " أي صرت في عزه . " والمثلة " الداهل المتحير، وهو من الواله أي الفاقد، ويروى مثله " بكسر اللام، والأول أجود، لقوله مشغول".

هذا، وقد يربط "الأعلم" عامل الجودة في الرواية بسلامة اللغة في التعبير. فبيبت

نُؤَيَّرَةُ بنِ حُصَيْنِ المازني يرثي أخاه، اثبت روايته على النحو التالي:»

وَلَا يَنْظُرُ الْإِيْسَارَ إِنْ نَالَ يُسْرَهُ وَلَا يَنْتَنِي عَنْ فِعْلِ خَيْرٍ لَدَى الْعُسْرِ
لقد أشار "الأعلم" إلى رواية أخرى لـ "وَلَا يَنْظُرُ الْإِيْسَارَ" بـ "وَلَا يَنْظُرُ الْإِيْسَارَ" أي لا ينتظرهم ولكنه يُتَمِّمُهُم بنفسه فيقوم مقام من غاب منهم، والأيسار المقامرون، واحدُهم يَسْرُ وَيَاسِرٌ، وفعله يَسْرُ يَبْسُرُ، ويقال نَظَرْتُهُ بمعنى انتظرتُهُ، والأول أجود وأحسن لنظم البيت»(2).

هذا، وقد لا يعلل "الأعلم" في رواية بعض الألفاظ، سبب روايتها، أو تفضيلها، بل

يقوم بشرحها بإيجاز واختصار. من ذلك ما جاء في شرحه قول بعضهم وهو ممّا يصلح لباب الأدب:»

(1) - ينظر: جرّان العود النمرّي، ديوانه، ص 9.

(2) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 527.

فَلَلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنِّي وَالْبِطَالَةَ جَانِبٌ

ويروى "فللمال مني" أي لا أضيع المال لأنه قوام المروءة والفنوة» (1).

أو ما جاء في رواية لفظ "على غد" الواردة في بيت أبو الطمّحان القينيّ:

وَقَبْلَ غَدٍ، يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَاحٍ

وقوله "على غد" أي نفسي، إذا مت في غد، وجعل التلهف على غد في اللفظ

اتساعاً، ويروى "من غد" وهو أبين» (2).

أما كلمة "آل مطرف"، فإن الصحيح تروى "آل مُصْرَفٍ" بالصاد. الواردة في بيت ليلي

الأخيلية: (3)

لَا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطْرَفٍ لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا (4)

وقد يكون الخلاف حول رواية مقطع، مثل ما جاء في قول قيس بن عاصم

المنقريّ:»:

إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يُفْنِدُهُ وَلَا أَفْنُ

قوله "لا يعتري خلقي دنس" أي لا يتشبت به، ويروى "لا يطبّي حسبي" أي لا يدعوه

إلى نفسه يقال طبّيته إلى كذا وأطبّيته إذا دعوته إليه وحملته عليه» (5).

وعليه نقول، أنّ عناية الأعم بالرواية في عملية الشرح، نظراً لفائدتها في تأكيد

المعاني ونفي الخطأ عنها (6).

إذا، إنّ "الأعم" في تناوله الرواية، قام بإيراد روايات أخرى لبعض الألفاظ والتراكيب

الواردة في شعر "أبي تمام"، مع الإشارة إلى أثر ذلك على المعنى أحياناً .

(1) - الأعم الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص1194.

(2) - المرجع نفسه ، ص753.

(3) - ينظر: المرجع نفسه ، ص931.

(4) - روي البيت في شرح المرزوقي: لا تُعْرَوْنَ . ينظر: الحماسية 700، ص1126.

(5) - الأعم الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص942.

(6) - ينظر: المرجع نفسه، ص743، 751، 754، 764، 979، 527.

ومن ثم، لا يفتأ "الأعلم" أن يتناول المعاني المختلفة التي من الممكن أن تدلّ عليها خصوصية تركيب النصّ منبّها على المتداول منها والمخترع مشيراً عند بعضها بعبارات مفادها "هذا معروف شائع" أو "ذلك قد أكثرت منه الشعراء" أو "وهو كثير في الشعر مطروق".

ها هو يقول في شرح قول رجل من يشكّر فيما كان بينهم وبين بني ذهل بن شيبان:»:

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي ذَهْلٍ رَسُولًا وَخُصَّ إِلَى سِرَاةِ بَنِي الْبِطَاحِ
بِأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا بِالْمَعَا عَتِيْبَةَ مِنْكُمْ وَأَبَا الْجُحْلِ لِحِاحِ

والرسول هنا بمعنى الرسالة، وذلك معروف في كلام العرب، ويجوز أن يكون هنا بمعنى مُرْسَل، أي أبلغهم مُرْسَلًا منّا إليهم. أمّا قوله "وخصّ إلى سراة" مبني على التقديم والتأخير. والتقدير أبلغهم رسالةً إلى سراةهم وخصّهم بذلك فحذف لعلم السامع»(1).

أو ما جاء في شرح قول حُرْقَةَ بنت النعمان:»:

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ نُتَنَصَّفُ (2)
فَأَفَّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بَنَا وَتَصْرُفُ

ومعنى "أفّ" الزجر والإبعاد، وهي اسم من أسماء الفعل، وجب لها البناء لوقوعها موقعه، وتقديره بُعدًا وسُحْقًا ، إلا أن بُعدًا مصدر جارٍ على فعله فانصب به، و"أفّ" صوت لم يؤخذ من فعل، وإنما هو كناية عنه، كما كانت هلمّ وإيه ونحوهما، فلم تعرب، وفيها لغات : تُضم، وتُفتح ، وتُكسر، وتُنون إذا أريد بها النكرة، وإذا أريد بها المعرفة لم تُنون ، وقد يقال فيها أفاً بألف وافّ مخففة كقط ونظيرها فيما جعل بدلاً من الفعل شتان لأنها في معنى افترق ولَبُّ لأنها في معنى أجبت...ومثل ذلك كثير في كلام العرب»(3).

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص174.

(2) - روي في شرح المرزوقي " إذا نحن منهم...نتنصف.ينظر: الحماسية 449، ص845.

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص721.

إنّ هذا الأمر، إنّما يدلّ على سعة الاطلاع على الشعر العربي والقدرة على تعاطي نوع من إحصاء المعاني المتشابهة مع الإحجام عن إلقاء عهدة السرقة وتجريد سيف الاقتباس أو المحاذاة أو الإتياع على رقاب الشعراء واقفا عند بعضها الآخر في إعجاب شديد مُحْتَفِيًا بما فيها من دقة أو جدّة لم يسبق إليها، وقد يقدّم بين يديّ بعض النصوص ما يمكن أن يُحتَضَنَ من توجيهات واحتمالات ويوازن بينها ويرجّح بعضها على بعض. من ذلك ما جاء في شرح قول كُثَيِّر: «(1)

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوِدَادَةُ أَنِّي بَمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالَمٌ
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تُلْمَنِي اللَّوَائِمُ
وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقْتُ فَرِيقَيْنِ، مِنْهَا عَاذَرُ لِي وَلَائِمٌ
فَرِيقٌ أَبِي أَنْ يَقْبَلَ الضَّيْمَ عُنْوَةً وَآخِرُ فِيهَا قَابِلُ الضَّيْمِ رَاغِمٌ

يقول: "وإن كان شرًّا لم تُلْمَنِي اللَّوَائِمُ" أي قطع ما بيني وبينها فارتفع عني الملامة فيها. ومعنى "إِلَّا تَفَرَّقْتُ" أي تَقَسَّمْتُ بين حالتين صلة أو قطيعة، وصرتُ إلى فريقين، فريق يُغْرِنِي بِحَبِّهَا وَيُحَسِّنُ لِي تَتَّبِعَهَا وَيَبْسُطُ لِي الْعَذْرَ فِي ذَلِكَ، وفريقٌ يُذَكِّرُنِي هَجْرَهَا لِي وَصُدُّوْهَا عَنِّي وَتَعَذِّبُنِي لِقَلْبِي فَيَلُومُنِي فِيهَا».

وفسر هذا البيت وأكده بالبيت الذي بعده، فجعل الفريق الذي يأمره من نفسه بحبها وتتبعها قابلاً للضيم راضياً بالخسف، والفريق الناهي له عن ذلك أياً لا يقبل الضيم ولا يرضى بالهوان.

ويظهر ذلك جلياً في شرحه قول عمرو بن مُعَدِي كَرَبَ الزُّبَيْدِي: (2)

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا كَ مُنَازِلٍ كَغَبَا وَنَهْدَا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّرُ عَ تَمَّ رَوْ حَاقًا وَقَدَا (3)

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص 823.

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، ص 177.

(3) - روي البيت في شرح المرزوقي " ...لَبَسُوا الْحَدِيدَ. ينظر: الحماسية 34، ص 131.

ومعنى " تنمروا" تتكروا لعدوهم، وأصله من النمر، لأنه من أعدى السباع وأنكرها، ومنه يقال ليس فلان لفلان جلد النمر إذا تكبر له. وأراد "بالحلق" حلق الدروع. و"القد" جلد كان يُلبس في الحرب، ونصبهما على التمييز، ومجازه أن تتكروهم لعدوهم بلبس الحلق والقد، فكأنه قال تتكر حلقهم وقدّمهم، فجعل الفعل لهما على السعة، إذا كان بسبب تتكر لابسهما، ثم جعل الفعل لهما فنصبهما على التمييز، كما تقول تتكرت أخلاق القوم، ثم تقول تتكر القوم أخلاقاً، ويجوز أن يكون التقدير وتنمروا ذوي حلقٍ وقدّ، يريد أشبهوا النمر لاختلاف ألوان القد والحلق في هذه الحال، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه على قوله جلّ وعزّ: ﴿وَسَعَلَ الْقَرِيَةَ﴾ (1) أي أهلها، ويجوز أن يكون التقدير: تتكروا حلقٍ، فحذف المصدر وأقام الحلق مقامه، ويجوز أن يكون على إسقاط حرف الجرّ وإعمال الفعل، أي تنمروا بخلق أو من حلق، ويروى "خُلُقًا وَقَدًّا" أي أخلاقاً ومناظر وأقدًا، لآته تمييز، كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ (2) أي أنفساً.

من هنا نصل إلى أن إيراد "الأعلم" لمختلف الروايات في شرحه، ما هو إلا دليل على تعمقه في دراسة شعر "أبي تمام" خاصة، وأنه كان تلميذ "ابن الإفليبي"، ذلك أن النسخة الأندلسية التي وضع عليها "الأعلم" شرحه مدينة بكثير من العرفان "لابن الإفليبي" الذي عني بشعر "أبي تمام" في الرواية التي أدخلها "أبو علي القالي" إلى الأندلس.

10- النحو في شرح الأعلام الشنتمري:

إلى جانب ذلك كله وإمعانا في خدمة النص لم ينس "الأعلم" الجانب النحوي الذي كان من المنتظر أن يكون الغالب على شروحه الشعرية، باعتباره من النحاة المبرزين في زمانه، كما يلاحظ في عدد من الشروح التي صدرت عمّن كان في مثل طبقتة، غير أنه لطبيعة المنهج الذي استخدمه وللحرص الذي أبداه في تنفيذ مراسيمه بدقة، كان يفرق فيما

(1) - سورة يوسف، الآية 82.

(2) - سورة النساء، الآية 4.

يأخذ في علاقة بين الثقافة النحوية الخالصة والثقافة الأدبية ويمزج بينهما بنسب متفاوتة بتفاوت مرامي الموضوع الذي يبحث فيه ويمنح الصدارة لما يُطلب منه من معلومات. لذلك فإنّ المرء يلاحظ في شرحه للحماسة لمسات شفافة من مظاهر تلك المعرفة النحوية العالية وأنّ تلك اللمسات لم تستخدم في هوج أو غنج وسوء تقدير، وإنّما كانت تُبثُّ بمقدار وفي الوقت المناسب، ومن أجل إقرار محتمل أو معنى شارد أو تدعيم حالة مُشاكس في وجودها أو انعدامها ممّا يجعل سقطاتها مسخّرة للكشف عن المضمون لا مجرد إقرار النظرية وتطبيقاتها أو سرد لبعض مظاهرها في غير مناسبة مع التشبّث الشديد بالموضوع الأساسي وإبداء قسط عظيم من البراعة في ربط المبنى بالمعنى وصهرهما في بوتقة واحدة، لتصاغ منهما الصورة المثلى التي تعلقّ بها فكر المبدع واشترأبت إلى معانقتها نفس المتلقي. ها هو يقول في شرح بيت عروة بن الورد:»

فُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنِيفِ تَرَوَّحُوا عَشِيَّةً بِنْتًا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحٍ
تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبَلَّغُوا بِنُفُوسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَّاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحٍ

يقول: وجزم "تنالوا" على جواب قوله "تروّحوا" (1).

أو ما جاء في شرح بيت قيس بن الخطيم الأنصاري:»

تَأَزَّتْ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ، فَلَمْ أُضِعْ وَصِيَّةَ أَشْيَاخٍ، جُعِلَتْ إِزَاءُهَا
و"الإزاء" ههنا القائمُ بالشيء السائسُ له، يقالُ هو إزاءُ مالٍ إذا كان حسنَ القيامِ عليه، ونصبه على المفعول الثاني لـ"جَعَلَ"، وليس بظرف، وأضافه إلى ضمير الوصية. أي لما قُتِلَ أَوْصِيَا إِلَيَّ بَطْلِبِ تَأْرِهِمَا ، لَمَّا عَلِمَا مِنْ حُسْنِ بِلَائِي فَأَدْرَكْتُهُ» (2).

ويقول في شرح قول بعض بني فقعس: (3)

فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوثًا شُجَاعٌ وَعَقْرَبٌ (1)

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 643.

(2) - المرجع نفسه ، ص 101.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 126.

وقوله "مَبْثُوثًا" نُصِبَ عَلَى الْحَالِ لِأَنَّهُ نَعَتْ نَكْرَةً مُقَدِّمٌ فَهُوَ مِنْ بَابِ فِي الدَّارِ قَائِمًا

رَجُلٌ، وَمِثْلُهُ: (2)

لَمِيَّةٌ مُوَحِّشًا طَلُّ

ويجوز رفعه بالابتداء، ويكون ما بعده بدلاً منه، وليس بوجه الكلام، لأن الإخبار

عن الصفة النكرة لا يحسن.

أو ما جاء في شرح قول قطري بن الفجاءة المازني: (3)

فَمَا فِي تَسَاقِي الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ سَبَّةٌ عَلَى شَارِبِيهِ، فَاسْقِنِي مِنْهُ وَاشْرَبَا

وقوله "واشربا" أراد واشربن بالنون الخفيفة فأبدل منها ألفاً للوقف، كما يفعل بالتوتين

في النصب. أو كما جاء في شرح قول المستوغر بن ربيعة وهو أحد المعمرين: (4)

يُلَاعِبُهُمْ، وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ مِنْ الدِّيفَانِ مُنْرَعَةً إِنَائِيَا

و"المنرعة" المملوءة، أي سمومًا منرعةً إناؤها، ونصب الإناء على التمييز، كما تقول

رَأَيْتُ امْرَأَةً مَضْرُوبَةً غُلَامًا، أَي مَضْرُوبًا غُلَامَهَا.

أو ما جاء في قول الأخرم السنبسي، من طي: (5)

وَعِزُّ الْمَحَلِّ لَنَا بَائِنٌ بِنَاهُ الْإِلَهِ وَمَجْدٌ تَلِيدٌ

و"التليد" القديم، وأصله ما ولد عندك، والتاء فيه بدلٌ من الواو كما أبدلت في تراث

ونحوه.

أما كلمة "تجهنا" بمعنى تقابلنا وصار بعضنا تجاه بعض، يقال تَجَّهَ يَتَجَّهُ تَجَاهًا،

والتاء بدلٌ من واو ، كما أبدلت في التراث. (1)

(1) - في شرح المرزوقي، جُعلَ عجز هذا البيت عجزًا للبيت الذي بعده، وعجز ذلك البيت عجزًا لهذا. ينظر الحماسية 50، ص 157.

(2) - ينظر: كثير عزة، الديوان، ص 5. وعجز البيت: يَلُوخُ كَأَنَّهُ خَلُّ

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام، ص 117.

(4) - المرجع نفسه، ص 1202.

(5) - ينظر: المرجع نفسه ، ص 204.

أو ما جاء في شرح قول جَحْدَرُ بْنُ خَالِدٍ، وَيُقَالُ حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ: (2)

لَعَمْرُكَ مَا أَلْيَاءُ بْنُ عَمْرٍو بِنِي لَوْنِينِ مُخْتَلِفِ الْفَعَالِ

"أَلْيَاءُ" اسم رجلٍ، ووزنه فَعِيلَاءُ كَقَرِينَاءَ وَعَجِيسَاءَ، واشتقاقه من أَلَوْتُ آلُو، ولأَمُهْ وَأُو، انقلبت لِيَاءِ فَعِيلَاءُ التي قبلها، ثم أدغمت الياء فيها، ويحتمل أن يكون اشتقاقه من الألاء، وهي شجرة بعينها، فكون لأَمُهْ همزةً حُقِّفَتْ وَأدغِمَتْ ياء فَعِيلَاءَ فيها، فيكون كحَطِيَّةٍ ونحوها، أي هو ثابتٌ على حالٍ واحدةٍ لا يتلون حُلُقُه ولا يخلف فعله.

أما كلمة "الليث" تعني الأسد، واشتقاقه من اللوث وهو القوة فقلب إلى الياء للفرق ،

ولأنَّ الياء والواو أختان، والياء أخفّ. وهذا ما جاء في قول ليلى الأخيلية: (3)

مُطِلٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ كَمَا يُزْجِرُ اللَّيْثُ الْهَزْبِرُ الْعَضْنَفِرُ

أما الإشارة إلى ما يسمى بجمع الجمع كان حاضرا في شرح الأعلام" يقول مثلا في

كلمة "أراهط" الواردة في بيت سعد بن مالك بن قيس بن ضبيعة جد طرفة": (4)

يَا بُوْسَ الْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَا حُوا

يقول الأعلام: "وأراهط" جمع رَهْطٍ على غير قياس، على هذا وضعه سيبويه، ويجوز

أن يكون جمع أَرَهْطٍ ، وَأَرَهْطُ جمع رَهْطٍ فيكون جمع الجمع.

أما كلمة "الأجهزات" بمعنى الأمتعة، وهي جمع أجهزة، وأجهزة جمع جهازٍ فهي جمع

الجمع، كما قيل أعطياتٌ وأسقياتٌ. (5)

إذا، نقول أن "الأعلم" إذا تعرض لمسألة ما تتصل بال نحو أو الصرف، عرضها فقط

من أجل إبراز المعنى لا غير بأقرب الطرق وأيسر السبل (6).

(1) - ينظر: الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص294.

(2) - ينظر:المرجع نفسه ، ص301.

(3) - ينظر:المرجع نفسه ، ص226.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص170.

(5) - ينظر: المرجع نفسه، ص1123.

(6) - ينظر الأمثلة التالية: ص1079، 645، 1151، 1130، 1106، 652، 981، 1180.

ومن خلال ما عرضناه من أمثلة يتّضح لنا مدى أهمية الجانب النحوي الذي استعان به "الأعلم". بحيث يمكن القول بأنه يعدّ من أهمّ الأدوات التي استعان بها في شرحه لحماسة أبي تمام.

11- علوم البلاغة في شرح الأعلام الشنتمري:

استعان "الأعلم" بمجموعة من المصطلحات التي تنتمي إلى علم البلاغة، وهي تأخذ صبغة عملية أكثر من بروزها في قواعد تتخلل الشرح، وتلك الصبغة تتجلى في كونها وسائل للتحليل والتمييز بين المعاني المعجمية الثابتة وبين المعاني الشعرية التي يرمي الشاعر إلى مقاصدها.

وتلك المصطلحات تنتمي أكثر إلى علم البيان، دون علمي المعاني والبديع. فقد كانت له وقفات عند الإستعارة والكناية والمجاز خاصة التشبيه، فمن أمثلة وقوفه في التشبيه ما جاء في شرح قول الآخر:»:

كَأَنَّ بِأَيْدِيهِمْ نُجُومًا طَوَالِغًا لَهَا فِي رُؤُوسِ النَّاكِثِينَ غُرُوبٌ
شَبَّهَ السُّيُوفَ بِالنُّجُومِ الطَّوَالِغِ فِي بَيَاضِهَا وَبَرِيقِهَا، وَجَعَلَهَا عِنْدَ مِثَالِهَا فِي الْهَامِ
كَالنُّجُومِ فِي غُرُوبِهَا»(1).

أو ما جاء في شرح قول تَابَطُ شَرًّا:»:

وَأَيَّامَنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرَّرٌ مَغْلُومَةٌ وَحُجُولٌ
أَرَادَ بِالْأَيَّامِ أَيَّامَ الْحُرُوبِ، يُقَالُ لِبَنِي فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ يَوْمٌ، أَيَّ ظَهُورٌ فِي يَوْمِ حَرْبٍ،
وَضَرِبَ الْغُرَّرَ وَالْحُجُولَ مِثْلًا لَشُهْرَتِهَا، لِأَنَّ أَشْهَرَ الْخَيْلِ مَا كَانَ أَغْرَّ مُحَجَّلًا وَالْحُجُولُ جَمْعُ
حِجْلٍ وَهُوَ الْقَيْدُ، شَبَّهَ بِهِ بَيَاضَ التَّحْجِيلِ لِأَنَّهُ يَحِلُّ فِي الْيَدِ وَالرَّجْلِ مَحَلَّ الْقَيْدِ»(2).

أو ما جاء في شرح قول شَبِيبُ بْنُ الْبَرِّصَاءِ الْمَرِيّ:»:

أَلَمْ تَرَ أَنَا نُورٌ قَوْمٍ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي الظُّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص148.

(2) - المرجع نفسه ، ص264.

يقول: وشبه قومه في شهرتهم والافتداء بصحة رأيهم بالنور في الظلام»(1).

أو ما جاء في شرح قول أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري:»:

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّهَ النَّدى أُنَيْفًا وَبُسْتَانًا ، مَنْ النَّورِ حَالِيًا

و"الحالي" لابس الحلي، شبه النور في البستان بالحلي على لابس»(2).

أو كما جاء في شرح قول الآخر يهجو ربيعة الجوع وهو ربيعة بن مالك بن زيد مائة

بن تميم:»:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُوعَ فِي مَاءِ زَيْبِهِمْ وَفِي الدَّلْوِ جُوعٌ لَازِمٌ مَا يُزَاوِلُهُ

لَهُمْ صُفْرَةٌ فَوْقَ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهَا بَقَايَا شَعَاعِ الشَّمْسِ وَالْأَفُقِ شَامِلُهُ

يقول "الزيب" البئر. يريد أن الجوع ظاهر في مائهم فكيف فيهم، وشبه صفته ببقايا

شعاع الشمس عند الغروب، ولذلك جعل الأفق، وهو جانب السماء شاملا له»(3).

أو كشرح قول الآخر:»:

كَأَنَّ سَنَا بَرَقِ تَأَلَّقَ وَمَضَهُ بِجَارِيَةٍ فِي زَمَجِرٍ يَتَحَرَّقُ

"السنا" الضوء. و"التألق" اللتمع. و"الومض" والوميض لمعان البرق. و"الزمجِر" صوت

البطن، و"الزمجرة" صوت يرددُه الأسد في صدره. و"التحرق" شدة لمعان البرق، وأصله في

النار إذا هاجت وأكل بعضها بعضًا، وهو مثل التاكل فشبه شدة لمع البرق به»(4).

أما الإستعارة فإتينا لم نجد لها إلا إشارات قليلة مقتضبة في شرح "الأعلم"، إلا ما جاء

في شرح قول أبو الغول الطهوي:»:

وَلَا تَبْلَى بِسَالَتُهُمْ ، وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

"البسالة" الشجاعة، وأصلها كراهة المنظر والعبوس، وهي من صفة الأسد فاستعيرت

للشجاعة تشبيهاً بالأسد، ويقال تبسل الشيء إذا كره منظره، أي لا تبلى شجاعته وتتغير،

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص663.

(2) - المرجع نفسه، ص863.

(3) - المرجع نفسه ، ص1073-1074.

(4) - المرجع نفسه ، ص1100.

وإن قاسوا الحربَ حيناً بعد حينٍ، أي لا يَكْسِرُهُمْ ذلك فيَحِيلُ شجاعَتَهُمْ وإقدامَهُمْ، وضربَ
اليلَى مثلاً»(1).

أو ما جاء في شرح قول المُستَوْغِرُ بن ربيعةَ وهو أحدُ المُعَمَّرِينَ:

ولَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ كَفَعَلَ الْهَرَّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا
وقوله "ولاعب" أي لَمَّا هَرَمَ وَأَهْتَرَّ رَجَعَ فِي مَرَجِهِ إِلَى الصَّيَّانِ يُلَاعِبُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى
وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ تَعَمَّرَهُ نَكَّسَهُ فِي الْخَلْقِ﴾ (2). و"العظايا" جمعُ عِظَاءَةٍ وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ
الْحَشْرَاتِ يُشْبِهُ سَامَ أْبْرَصَ. و"الإحتراشُ" صَبْدُ الضَّبِّ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْعِظَاءِ»(3).

ونفس الشيء ينطبق على الكناية، من ذلك ما نبه عليه في شرح قول الآخر: (4)

فَتَى حَنْظَلِيٍّ مَا تَزَالُ رِكَابُهُ تَجُودُ بِمَعْرُوفٍ وَتُنْكَرُ مُنْكَرًا
"الحَنْظَلِيُّ" من بني حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وقوله "ما تزال" رِكَابُهُ أي ما

يزالُ هو هكذا، فَعَبَّرَ بِالرِّكَابِ عَنْهُ، لِأَنَّ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ بِهَا، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ: (5)

فَدَى لِبَنِي دُهَلٍ بِنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي

فَكَئِي بِنَاقَتِهِ عَنِ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَرِدْ النَاقَةَ فَيَقْصِرَ بِهِمْ.

أو كما جاء في قول العَجِيزِ السُّلُولِيِّ:»

تَرَكْنَا أَبَا الْأَضْيَافِ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا بِمَرٍّ وَمِرْدَى كُلِّ خَصْمٍ يُجَادِلُهُ

قوله "تَرَكْنَا أَبَا الْأَضْيَافِ" أي الَّذِينَ يُلْمُونَ بِهِ وَيَأْوُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَأْوِي الْإِبْنُ إِلَى أَبِيهِ.

و"الصَّبَا" عند بعضهم من رياح الجَدْبِ، وعند بعضهم من رياح الخِصْبِ بِحَسَبِ الْفَطْرِ الَّذِي

تَهْبُ فِيهِ وَتَأْتِيهِ، بَرِّيَّةٌ أَوْ بَحْرِيَّةٌ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا هُنَا كِنَايَةً عَنِ شِدَّةِ الزَّمَانِ وَجَدْبِهِ»(1).

(1) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص362.

(2) - سورة يس، الآية 68.

(3) - الأعلام الشنتمري، شرح حماسة أبي تمام ، ص1202.

(4) - ينظر: المرجع نفسه ، ص516.

(5) - نُسِبَ الْبَيْتُ إِلَى مَقَاسِ الْمَعَانِذِيِّ . وَعَجَزَ الْبَيْتُ: إِذَا كَانَ يَوْمَ نَوَ كَوَاكِبَ أَشْهُبُ . يَنْظُرُ: شَوَاهِدُ الْكِتَابِ، ج1،

وكما جاء في شرح قول المُعَدَّلِ الْبِكْرِيِّ:»:

المُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزُبُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا
لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ عُدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهَوَّ كَافِيَهَا
يقول هو صحيح الرأي، فإذا حَزَبَ العَشِيرَةَ أمرٌ مُبْهَمٌ عَوَّلُوا على رأيه. وأرادَ بالهناتِ
حوادثَ الدهرِ ، والعربُ تُكْنَى بِالْهِنِ والهنَّةِ عن كُلِّ مَا فَطَعَ أو فَحَشَ إِبْهَامًا لِلْمُبَالَعَةِ، أو
كَرَاهَةً لِلتَّصْرِيحِ بِالتَّسْمِيَةِ»(2).

في حين نجد المجاز ما جاء في شرح قول أبو البرج القاسم بن حنبل المري في زفر

بن مسعود بن سنان:»:

أرى الخلان بعد أبي خبيب بحجرٍ في جنابهم جفاء
من البيض الوجوه بني سنان لو أنك تستضيء بهم أضوا
"حجر" قصبه اليمامة. و"الجناب" الفناء والناحية. "والجفاء" المجانية والقطيعة، وإنما

يريد أنهم يقطعون ويحفون من حل بفنائهم ، وجعل الفعل للفناء مجازاً»(3).

وجاء في شرح قول ابن المولى ليزيد بن حاتم:»:

وإذا صنعت صنيعاً أتممتها بيدين، ليس نداهما بمكدر
وإذا هممت لمعتيك بنائيل قال الندى، فأطعته، لك: أكثر
يا واحد العرب الذي ما إن لاه من مذهب عنهم، ولا من مقصر
"المعتفي" السائل. وقوله" قال الندى لك أكثر" أي حملك نذاك على الإكثار من

العطاء، وجعل ذلك قولاً على المجاز»(4).

أو كما جاء في شرح قول العكلي:»:

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص544.

(2) - المرجع نفسه، ص953.

(3) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام ، ص 870. أورد المرزوقي هذه الحماسية في باب الأضياف. ينظر: شرح

المرزوقي، الحماسية 728، ص1161.

(4) - المرجع نفسه ، ص909.

أَرَى إِبْلِي تَجْرِي مَجَارِي هَجْمَةٍ كَثِيرٍ، وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلًا إِفَالَهَا
مَتَاكِيلُ مَا تَنْفَكُ أَرْحُ لْ جُمَّةٍ تَرْدُ عَلَيَّ هُمْ نُوقُهَا وَجَمَالُهَا

و"المتاكيل" جمع منكال وهي التي نُحِرَتْ أَوْلَادُهَا فَتَكَلَّتْهَا. و"الجُمَّة" القوم يجتمعون في طلب الدية. أي تُعْطَى في الدياتِ فَتَرْدُ من المرعى على الطالبين لها. وأرادَ مَا تَنْفَكُ جُمَّةً تَرْدُ عَلَيَّهِمْ. وجعلَ الفِعْلَ "لَأَرْحُهِمْ" مجازًا واتِّسَاعًا لِتَشْبِيْهِهَا بِهِمْ»(1).

أو كما جاء في قول حُجْرُ بن حَيَّةَ العَبْسِيِّ:

وَلَا أَدْوَمُ قَدْرِي بَعْدَمَا نَضِبَتْ بُخْلًا لَتَمْنَعَ مَا فِيهَا أَثَافِيهَا
"التدويم" تَسْكِينُ القَدْرِ بالماءِ عِنْدَ الغَلْيَانِ، أي لا أَفْعُلُ هذا أُرِي أَنَّهَا لَمْ تُنْضِجْ مَا فِيهَا

بُخْلًا، وَجَعَلَ الفِعْلَ لِأَثَافِي مَجَازًا، لِأَنَّ القَدَرَ ما دَامَتْ عَلَيْهَا لَمْ يُؤْكَلْ مَا فِيهَا»(2).

وعليه، نصل إلى أن استعانة "الأعلم" بعلوم البلاغة(3) لم يكن أصلاً بارزاً يُعْتَدُّ به، أو يُمَثَّلُ جهداً كبيراً، فهي لا تعدو إلا أن تكون لمحات صغيرة نبه عليها تنبيهاً عابراً، محاولاً من خلالها تبسيط المعنى، وإن تلك الملاحظات البلاغية رغم قلتها، إلا أنها قدّمت فائدة معقولة للقارئ، حيث يفهم من خلالها وجهها من وجوه البيت الشعري.

وفي الأخير، ومما عرضناه من أمثلة، والتي تُبَيِّنُ لنا منهج "الأعلم" في شرح حماسة

أبي تمام، نتوصل إلى ما يلي:

- إن "الأعلم" أكد في خطته أنه سيشرح الكلمات الغريبة تمهيداً للدخول إلى البيت،

فوجدناه يشرحها، كتبيان الأصل الذي جاءت منه. والاشتقاقات التي يمكن أن

ترد عليه. ثم يعرض لمعانيها المختلفة، إذا كان احتمالها وارداً. ثم يراعي في

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص 990.

(2) - المرجع نفسه، ص 1014.

(3) - ينظر: المرجع نفسه على سبيل المثال: ص 219، 230، 240، 271، 275، 413، 395، 307، 306،

777، 891، 989، 1147، 1155، 1173، 1175، 1179، 1187، 1189.

توضيحه ضبطها الصحيح والاحتمال الممكن وراء كل ضبطٍ. وفي الأخير ينبّه في شرحه إلى الفرق بين معنى اللفظ اللغوي العام ومعناه في موقعه الخاص.

- بعد التفرد من إيضاح المعنى اللفظي، ينتقل "الأعلام" إلى تقديم المعنى الحرفي بصورته البسيطة الواضحة التعبير. مفتتا كلّ الجزئيات، مُزيلاً كلّ التباس وغموض. ليخرج بالقارئ بفهم جيد للبيت.

- أمّا الجوانب الأخرى من عناصر الشرح، ونعني بها النحو والبلاغة والتاريخ إلى غير ذلك من العلوم، فلم تكن محل اهتمام بارز إلا في أضيق الحدود، وقد ذكر في مقدمته أنّه سوف يعرض فقط لما غمض من الإعراب، دون أن يدخل في التفاصيل الدقيقة، مبتعداً عن الاستطرادات واللجوء إلى الشرح المتجه إلى الإعراب مع أنه كان من الذين لهم باع طويل في هذا الميدان، وهذا آت من إتباعه هدفاً محدداً في هذا الشرح.

هذا هو "الأعلام" ينطلق في منهجه من مفهومه لفائدة الشعر التي هي معرفة معناه ولغته، من أجل ذلك حرص كل الحرص على تحقيق خطته التي ذكر في مقدمة شرحه: "...تبيين معانيه، وتقريب أغراضه، وتفسير غريبه" (1) لذلك بدا أهم ما يميز هذا الشرح هو الإيجاز وتجنب الإطالة وتركيز الفائدة وتكثيفها حتى تبدو سهلة المآخذ قريبة المنال، ويبدو أنّ الأعلام قد استعان بتوجيه المعتضد له في باب التأليف، فإنه يقول في مقدمة كتابه "تحصيل عين الذهب": "...هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه وتهذيبه وتخليصه المعتضد بالله المنصورُ بفضل الله أبو عمرو بن عباد بن محمد... أمر باستخراج شواهد كتاب سيبويه وتخليصها منه، وجمّعها في كتاب يَخُصُّها ويفصلها عنه، مع تلخيص معانيها، وتقريب مراميها، وتسهيل مطالعها ومراقبها، وجلاء ما غمض وخفي منها من وجوه

(1) - الأعلام، شرح حماسة أبي تمام (المقدمة)، ص 93.

الاستشهادات فيها ، لِيَقْرَبَ عَلَى الطالِبِ تَنَاوُلُ جَمَلَتِهَا، وَيَسْهُلَ عَلَيْهِ حَصْرَ عَامَّتِهَا،
«...»(1)

ولعل في مقابلة بين عمله في شرح حماسة "أبي تمام" وما ورد في هذا النص، نجد تشابها في الهدف الذي سعى إلى تحقيقه في الكتابين، وغير بعيد لا نعدم أن نجد في كتب "الأعلم" تنويه عناية "المعتضد" بالعلم والأدب ، ولعلّ هذا أكثر ارتباطا بالقيمة التاريخية لشرح "الأعلم" للحماسة نظرا لارتباطه بالرعاية التي أولاها ملوك إشبيلية لمستوى الذوق الأدبي في شعر "أبي تمام الطائي" في وقت كان الصراع محتدما بين الأدباء حول سيادة أحد النمطين للقصيدة العربية في زيبها القديم والحديث.

من هنا إذا، يمكننا أن نشير إلى القيمة التي يحملها هذا الشرح سواء كان ذلك على المستوى التاريخي أو المستوى الأدبي:

1- القيمة التاريخية: إنّ هذه القيمة تتمثل في مستويات عدة ، منها ما يتّصل بالنسخة التي وضع عليها "الأعلم" شرحه، ومنها ما يتصل باهتمام "المعتضد" بشعر "أبي تمام"، وهي عناية قديمة عند ملوك الأندلس، إذ كلف "عبد الرحمان الناصر" لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، ومنها ما يمكن دراسته داخل إطار حركة الشروح الأدبية للبحث عن إيقاع التطور في شرح "الأعلم" باعتبار عمله يسير مواكبا للسلسلة التي كان "الصولي" أول حلقة في نشأتها.

وكانت النسخة التي جلبها "أبو علي الفالي" إلى الأندلس -وهي بخط يد أبي تمام- هي التي اعتمدها "الأعلم" في شرحه لديوان "أبي تمام"، فكانت ماثلة للأسلوب الأندلسي في تفسير النص الشعري عند "أبي تمام" وإبراز معانيه، ومن ثمّ اكتسب هذا الشرح أهمية لدى أهل العلم في الشرق والغرب.

(1) - الأعلام، تحصيل عين الذهب(مرجع سابق)، ص29-30.

ناهيك عن ذلك، فإنّ هذا الشرح مصدر لا غنى عنه للدارس الباحث في شعر "أبي تمام"، لأنّه يقدّم دراسة أدبية تركّز عنايتها وجهدها في إزالة العوبص ورفع الغموض على قارئ هذا الشعر ومنتذوقه، وهو في غرضه هذا لا يختلف عن أغراض الشراح الآخرين.

2- القيمة الأدبية: إنّ هذه القيمة برزت كعنصر مفيد وعامل أساسي في خدمة النص الأدبي ومساعدة دارسه على استنباط خصائصه ومكوناته والاهتداء إلى عناصر داخلية أخرى لم ينلها الدرس من قبل.

من هذا المنطلق تبدو لنا قيمة العثور على هذا الشرح وقيمة الاعتماد عليه في دراسة شعر "أبي تمام الطائي" الذي يعتبر موضوعا قابلا للدراسة باستمرار، نذكر من ذلك غزارة البحوث والدراسات التي ألّفت بخصوصه قديما وحديثا(1).

موازنة بين شرح "الأعلم" لديوان الحماسة وبعض الشروح الأخرى، كشرح "المرزوقي" وشرح "التبريزي":

لابدّ في نهاية هذا العرض، أن نشير إلى نوع من المقارنة بين شرح "الأعلم لحماسة أبي تمام، وبين شرح "المرزوقي" باعتباره من الشروح الناضجة، وشرح "التبريزي" باعتباره من الشروح المتأخرة عن "الأعلم"، وذلك بإعطاء أمثلة منها، بالرغم أنّ عملية المقارنة تستدعي عملا أكثر عمقا من ذلك.

ومن أجل ذلك، اخترنا أبياتا من غرض الحماسة، باعتباره أكثر الأغراض الشعرية تناولا في الديوان.

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبِحْ إِبْلِي	بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهَلٍ بِنِ شَيْبَانَا
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرَ خُشْنُ	عِنْدَ الْحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لُـوْثَةٍ لَنَا
قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ	طَازُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوَحْـدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ	فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ	لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

(1) - في هذا السياق نذكر مدى رغبة "عبد عزام" في الاطلاع على شرح الأعلام لديوان "أبي تمام" عند تحقيقه لشرح "الخطيب التبريزي"، إذ خصص مبحثا خاصا أثناء حديثه عن مصادر تحقيقه للديوان.

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِحْسَانًا
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَدُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكَبَانًا

والآن، لننظر في منهج هؤلاء الشراح في شرح هذه الأبيات:

في شرح "الأعلم" نجد أنّ هذه الأبيات "، تعود إلى رجلٍ من بلعنبر بن عمرو بن

تميم، ويقال أنّها لأبي الغول الطُّهوي، وطُهيّة من تميم أيضا. (1)

أمّا في شرح "المرزوقي"، فقد ذكر أنّ هذه الأبيات تعود لبعض شعراء بلعنبر (2).

في حين نجدها في شرح "التبريزي"، أنّها تعود إلى بعض شعراء بلعنبر: وأطلق على

الرجل: اسمُ قُرَيْطِ بْنِ أُتَيْفٍ. (3)

أمّا طريقة شرحها، فإنّها تتأرجح بين بيتين في شرح "الأعلم" (4)، في حين أنّها تُسرح

بيتًا بيتًا في شرح كلّ من "المرزوقي" و"التبريزي". (5)

لنأخذ البيتين الأولين من القصيدة لنرى كيف شرحهما "الأعلم":

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبِحْ إِبْلِي بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشْنٌ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةِ لَنَا

يفتتح "الأعلم" قوله بـ"بنو مازن" بأنّه حيّ من تميم، أي يذكر نسبهم قائلاً "وهم مازن

بن عمرو بن تميم، وهم أشراف وأد عمرو بن تميم" فلذلك تمنّى هذا الشاعر أن يكون منهم.

أمّا عن "ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ" فهو حيّ من بكر بن وائل. وذكر أنّ الحرب كانت بين تميم

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص357.

(2) - ينظر: المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، ص20.

(3) - ينظر: التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، ص14.

(4) - ينظر: شرح الأعلام، ص357-359.

(5) - ينظر: شرح المرزوقي، ص20-26. وينظر: شرح التبريزي، ص14-21.

وبكر. وجعل أمهم "لقيفة" مبالغةً في الهجو. وفي الأخير يقدم شرح "اللقيفة" وهي المنبوذة الملقوطة. (1)

ينتقل إلى البيت الثاني منتهجاً الطريقة ذاتها مع ملاءمة حاجة البيت وجوانبه التي تحتاج إلى إيضاح، فنجده يقدم معنى البيت مُستعينا "بأي"، يقول: "أما قوله" إذا لَقَامَ أي لو كنتُ منهم لنصروني ومنعوا من إبلي، وقد كان استتجد قومَه حين أُغِيرَ عليه فلم ينجدوه فاستغاثَ بني مازن فساروا معه حتَّى أوقعوا ببني شيبان وردّوا عليه إبلاه، فمدحهم وذمّ قومه". ومن ثمّ يقدم شرح الألفاظ، مُرتكزا على مختلف الصيغ اللغوية، كلفظ "الخُسنُ" جمع خشين وهو الشديّدُ الجانبِ على العدوِّ. و"الحفيظة" والحفيظةُ الغضبُ للحرمةِ. هذا ونجده يقوم برواية بعض الألفاظ مثل "اللوثة" وهي ضعف المنة ومنه التاثُ الإنسانُ. ويُروى "لوثةٌ" بفتح اللام وهي القوة. أمّا "لان" بمعنى انكسر حدّه ولان شرّه. (2)

وفي الأخير يحاول "الأعلم" تقديم معنى البيت بصورة بسيطة وموجزة، بعد أن أزال الغموض عن بعض الألفاظ، يقول: "إذا ضعف القويّ عن مقاومة عدوّه فهُمُ خُسنُ الجوانب عليه قائمون بمدافعته، وهذا أبلغ من الرواية الأولى، ومخرجُ الرواية الأولى أنّ العرب تقصد مرّةً قصدَ الحقيقة وتسلُّكُ مرّةً طريقَ الغلوّ والمبالغة". (3)

ومن وسائله المقربة لمعاني الأبيات استخدام المقارنة من خلال بعض الأبيات المقربة للمعنى، وطريقة إيرادها إنّما جاءت لتوضيح معنى البيت الكلّي، أو إحدى الجزئيات. فيقول "ونظير الرواية الأولى" إن ذو لوثةٍ لانا" قول توبة(4):

نرى ضُعفاءَ القومِ فيها كأنّهم دَعَامِيصُ ماءٍ نَشَّ عَنْهَا غَدِيرُهَا
فقال "ضُعفاء القوم" ولم يقل أقوىاءهم.

(1) - ينظر: الأعلام شرح حماسة أبي تمام، ص357.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص358.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) - ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص280.

ونظير الرواية الأخرى" في الغلو والمبالغة" قول أبي النجم (1):

تَرَى بِهَا الْأَشِدَّاءَ ضِعَافًا

وعليه، فإن هذه الشواهد الشعرية، جعلها "الأعلم" نظيرة للبيت المشروح موضحاً فيها

المعنى المراد تجسيده .

يختم البيت بقوله" لكلّ مقام مقال، فإن كان الشاعر أراد التّعريض بضعف قومه عن

نصره"فالاختيارُ "ذو لوثةٍ بالضمّ، وإن كان قصد المبالغة في مدح بني مازن" فلوثةٌ" بالفتح

أجودُ. (2)

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَمْ يَهُمُّ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بِزُرْهَانَا

أما بقية الأبيات، فإنها لا تخرج عن هذا النطاق، من شرح للفظه الغريبة، كقوله"

وَالنَّاجِدُ : آخر الأضراس. و"الزرافات" الجماعات. و"الوحدان" جمع واحد كراكبٍ ورُكبانٍ.

ومن ثمّ تقديم للمعنى، يقول" والفائدة في ذكر " الوحدان" أنّهم يُسارعونَ إلى إجابة الصّارخِ

فَيَجيبونه على الحالة التي تَبْلُغُهُمْ فيها الصّيحة من اجتماع أو انفراد، ولذلك قال " لَا يَسْأَلُونَ

أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ عَلَى مَا قَالَ بِزُرْهَانَا" ، أي قد عرفوا أنّ المستصرخ طالبٌ لنصرتهم، فهم

يبادرون نَحْوَهُ وَلَا يبالون سبب استصراخه ولا يطلبون برهاناً وَحُجَّةً على ما ادّعاه من

ذلك. (3)

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

(1) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص358.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص359.

في هذه الأبيات، يقدّم "الأعلم" المعنى الحرفي لها، بصورته البسيطة الواضحة، ولم يأت بشيء جديد، مُبتعدًا عن الإسراف، يقول "هذا هزؤٌ منه لقومه، يقول عددهم كثير إلاّ أنّهم يضعفون عن مدافعة الشرِّ، فليسوا منه في شيء ، وإن كان الشرُّ هينًا. (1) ثمّ أكّد ضعفهم بالبيت الذي بعده فجعلهم للينهم وضعفهم عن العدوّ يُجازون من أذنب إليهم مغفرةً لذنبه، ومن أساء معاملةً لهم إحسانًا إليه.

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِيهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَدُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكَبَانًا

ثمّ يواصل "الأعلم" في تقديم المعنى في هذه الأبيات، فيقول "هذا مؤكّد لما قبله، من وصفه لقومه بالضعف ولين الجانب وقلة المعرفة بالشرِّ، كأنهم مفردون بعبادة الله وخشيته فلا يعرفون الشرِّ ولا يرومون دفعه. ثمّ تمّنى أن يكون بدلًا من قومه هؤلاء القوم من بني مازن. (2)

هذا، ويعتمد "الأعلم" جانبًا آخر من الجوانب المكتملة لمنهج الشرح عنده، وهو الوقوف على بعض الملاحظات النحوية، حين يكون المقام ملحقًا، دون الدخول في التفاصيل الدقيقة، بالرغم من أنّ له باع طويل في هذا الميدان، وهذا بالطبع آت من إتباعه هدفًا محددًا في هذا الشرح. يقول: "شدّوا الإغارة" أي شدّوا للإغارة، أي حملوا، ثمّ حذف اللام وأوصل الفعل ونصب، ويجوز أن يكون المعنى أحكموا الإغارة وبالغوا فيها، فتكون منصوبة بالفعل نصب المفعول به. (3)

هذا هو "الأعلم" في شرحه، لا نقول أنّه حوى إبداعًا خاصًا، لكنه استطاع أن يحقق هدفه، فقد جلا غوامض البيت بهدوء وروية وبأوضح السبل فشرح ما احتاج إلى شرح أو بيان وحدد العلاقات واتجاهاتها في أداء المعنى.

(1) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) - ينظر: الأعلام، شرح حماسة أبي تمام، ص359.

والآن، لننظر في طريقة "المرزوقي" في شرح هذه الأبيات.

لكن، قبل ذلك، نذكر أنّ "المرزوقي" من أصحاب المنهج الإبداعي الذي يقوم على تعابير أدبية إبداعية علمية فنية تبرز فيه شخصية صاحبه بروزاً واضحاً، لاعتماده في الغلبة المطلقة من شرحه على العقل والدراسة أكثر من اعتماده على النقل والرواية. كما أنه منهج تُوظف فيه العلوم المعينة على شرح الشعر من رواية ولغة ونحو وبلاغة ونقد توظيفاً يخدم المعنى في جلاء وإيضاح. (1)

وقد تبنّى "المرزوقي" هذا المنهج الذي جاء مغايراً لكل من سبقوه وعاصروه، فكان أوّل ما يثير اهتمامه "المعنى"، يريد أن يقدّمه أولاً قبل أي شيء آخر. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف، طرق مجموعة من الأبواب، منها باب الرواية، باب اللغة، وباب النحو، وباب النقد، وباب البلاغة.

والآن، لنحاول أن نتلمس هذه الأبواب في شرح الأبيات التي عرضناها سابقاً.
يفتح "المرزوقي" شرحه لهذه الأبيات، بأنّها تعود إلى بعض شعراء بلعنبر، موضّحاً المرادّ منهم، يقول: "المُرَادُ بني العنبر، ولهذا وجب ألاّ يصحبَ الكسرة التي في الراء التنوين، وإنّما حذف النون من "بني" لاجتماعه مع اللام من العنبر، وتقاربهما في المخرج، وذلك لأنّه لما تعذّر الإدغام فيه جُعِلَ الحذف بدلاً من الإدغام..." (2).
ومن ثمّ يعرف "العنبر" في اللغة يقول: "هو الثُّرْسُ والطَّيْبُ. وَعَنْبَرَةُ الشِّتَاءُ: شِدْنَةٌ. وَعَنْبَرَةُ الْقَوْمِ: خُلُوصٌ أَنْسَابِهِمْ. وَيُقَالُ: رَأَيْتَهُ بِهَذَا الْبَلَدِ عَنَبْرِيًّا، يُضْرَبُ بِهِ مَثَلًا فِي الْهَدَايَةِ، وَبَنُو الْعَنْبَرِ أَهْدَى قَوْمٍ." (3)

(1) - ينظر: محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام، ص 121.

(2) - ينظر: المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، ص 20.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 20. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عنبر، ص 3120.

إنّ "المرزوقي" في هذا الشرح، حاول فهم النص الشعري واستكناه غوامضه واستجلاء دقائقه، مستعينا بقضايا لغوية بحثية، وكلها دلالة على أنّ "المرزوقي" قدم راسخة في مجال اللغة.

هذا بالنسبة لما يسمى بعبارة الإنشاد، بعد ذلك، يشرح الأبيات وفي ذلك تتلخص رؤيته لوحدة البيت من جهة، وإلى ارتباطه بغيره من جهة أخرى، فإذا كان البيت قائماً بذاته دالاً بمفرده على المعنى قام بشرحه وتحليل معناه منفرداً وإلاّ ربط بينه وبين غيره من الأبيات التي تلتقي معه في الفكرة التي رمى إليها الشاعر. يقول:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبَحْ إِبْلِي بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهَلٍ بِنِ شَيْبَانَا
يفتح "المرزوقي" الشرح التعريف "ببني مازن"، "ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم، هُم بَنُو أَخِي الْعَنْبَرِ بِنِ عَمْرُو بِنِ تَمِيمٍ"، ولهذا مدحهم الشاعر، وبالتالي افتخر بهم، ذلك أنّ في "بني مازن" عصبية شديدة قد عُرفوا بها، وحُمدوا من أجلها. ولتقريب المعنى أكثر، يسوق "المرزوقي" شواهد شعرية مختلفة، وإنّ جلّها من الشعر العربي، تلتقي في معناها مع معاني بعض الأبيات التي يشرحها. يقول أحد الشعراء موبّخاً لغيرهم(1):

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عَصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَايَ فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
كَأَنَّ دَنَائِيرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقِوَاءِ
قصد الشاعر في هذه الأبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه وتهيجهم وهزهم، لا دَمَّهم. وكيف يذمهم ووبالُ الذمّ راجع إليه؟. ثمّ إنّ الشاعر في هذا المعنى سالك لطريقة كبشة أخت عمرو بن معد يكرب في قولها(2):

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَغْفُلُوا لَهُمْ دَمِي

ثم يواصل الاستشهاد، فيقول: "ألا ترى أنّها قالت في جملة هذه الأبيات:

وَدَعُ عَنكَ عَمْرًا إِنَّ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِ غَيْرُ شِبْرِ لِمَطْعَمِ

(1) - البيتان لمحرز بن المكعب الضبي، ينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 611، ص 1017.

(2) - ينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 52، ص 159.

يقول " لا يجوز أن يُتَوَهَّم أنها كانت تهجو أباها عمراً أو تنسبُه إلى العَجَزِ والتقصير في طلب ثأر أخيه، وعمرو هو الذي كان يُعَدُّ بألفِ فارسٍ، لكن مرادها بَعْنُه وتَهْيِيجُه. وهكذا يواصل "المرزوقي" ذكر ما جادت قريحته من الشواهد الشعرية، وكلها تصبّ في هدف واحد وهو تثبيت المعنى الذي يسعى إليه. يقول: "ومعنى البيت لو كنتُ مازنياً لم تُغِرْ بنو اللَّقِيْطَةِ على إبلي" (1).

ومن ثمّ يسعى إلى شرح ألفاظ البيت، يقول: "و" اللقيطة" "قد أُحِقَّ بها الهاء وإن كان فعلاً في معنى مفعولة، لأنّه أُفْرِدَ عن الموصوف وجُعِلَ اسماً. وهذا كما يقال النشيطة والذبيحة ، والبنية في الكعبة" (2).

أما كلمة "الاستباحة" فقد اكتفى بذكر معناها المعجمي، يقول: "هي التخليّة بين الشيء وبين طالبه، والاستباحة اتخاذ الشيء مباحاً للنفس، وكأنّ الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناولَه من شاء ومنه باح بسرّه بوحاً وبؤوحاً" (3).

نرى "المرزوقي" في تحليله اللغوي هذا، يهدف إلى إيضاح المعنى أكثر من أن يهدف إلى الاستقصاء والإطالة. لكن، نجد عكس ذلك في البيت الموالي، كوقفته في " جواب إذا" ، يقول:

إِذَا لِقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ حُشْنٌ عِنْدَ الْحَفِيْظَةِ إِنْ نُو لُوْتَةٌ لَنَا

في هذا البيت، تظهر لنا غلبة المسحة الإعرابية عليه، وكأنّ "المرزوقي" في عرضه يكاد يكون شارحاً لدرس من دروس النحو وبالذات جواب إذا ، إذ نجده يفتتح الشرح بـ"اللام جواب يمين مضمرة، والتقدير إذا والله لقام بنصري". فإن قيل: فأين جواب لو كنت؟ قلت: هو لم تستبح إبلي. وفائدة "إذا" هو أن أخرج هذا البيت الثاني مخرج جواب قائل قال له: ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذا لقام بنصري معشر حشن. قال سيبويه: "إذا

(1) - ينظر: شرح المرزوقي ، الحماسية 1، ص22.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جوابٌ وجزاءً، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاءً على فعل المستببح. ويجوز أن يكون أيضاً إذا لقم جواب "لو"، كأنه أجيب بجوابين. وهذا كما نقول: لو كنت حرّاً لاستقبحت ما يفعله العبيدُ، إذا لاستحسننت ما يفعله الأحرار". (1) ونفس الشرح النحوي، ينطبق على "إنّ ذو لوثّةٍ لآثا" (2). ليصل بذلك إلى معنى البيت، يقول "إنّ ذو لوثّةٍ لآثا" هو تعريض منه بقومه ليغضبوا ويهتاجوا لئصرتّه، وهو في البعثِ والتهيج أحسنُ من التصريح، كما أنّه في الذمّ والهجو كذلك". ويشير في ذات السياق، إلى تصحيح رواية بعض الألفاظ، كـ "لوثّةٍ" ويروى "لوثّةٍ" وزعم أنّ ذو لوثّةٍ ليس بجيدٍ لأنّ الضعيف أبداً مهينٌ، والواجب أن يقول إنّ القويّ لأنّ، و"اللوثّةُ هي القوّة. والرواية الصحيحة هي ضمّ اللام من اللوثّة" ليقول في الأخير "والفائدة ما ذكرتُ من التعريض بقومه".

إنّ الإسهاب الذي لمسناه فيما كان يثيره الشرح النحوي في شرح "المرزوقي"، إنّما كانت الغاية منه شرح التراكيب للوصول إلى إيضاح معنى البيت وإظهار مضمونه. أمّا "المعشّر" اسم للجماعة، لا واحد له من لفظه. وقال الخليل: هو اسم لجماعةٍ أمرهم واحد. ويقال جاؤوا معشّر معشّر، أي عشرة عشرة. و"خشنٌ": جمع خشنٍ وأخشن. و"الحفيظة": الخصلةُ يُحفظُ لها، أي يُغضبُ. فقد قيل "أهلُ الحفائظِ أهلُ الحفاظِ، وذلك أنّ ذا الأنفِ يحترسُ من العارِ، فلا يزالُ يتحفظُ ويحافظُ حتى يسلمَ منه. وكأنّ الأصل في الكلّ الحفظ الذي هو نقيض النسيان (3).

يتوصل في الأخير إلى أنّ الشاعر قد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعة به، وجاد البيت له، كأنه قال: معشّرٌ خشنون عند الحفيظة إن كان ذوو اللوثّة لئيين عندها. إنّ استعانة "المرزوقي" بما سبقه من علماء، ما هو إلا دليل على قدرته على استدعاء معلوماته المستقاة من هؤلاء بصورة تغذي المادة التي يتكلم فيها بالوضوح والإبانة.

(1) - ينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 1، ص 22-23.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا

في هذا البيت، يواصل "المرزوقي" تقديم المعنى يقول: "هم قومٌ إذا ظهر لهم الشرُّ واشتدَّ سارعوا إليه غير متوقعين لتَجَمُّع، وَلَا مُعَرَّجِينَ عَلَى تَأَهُّب، لكنهم يتبادرون أفرادًا وثباتًا، وأشتاتًا وجماعاتٍ" (1). ثم يأخذنا في رحلة إلى عالم اللغة، فيشرح كلمة "الناجذ"، و"وُحْدَانًا"، و "زرافات". أمَّا "النَّاجِذُ" فهو ضِرْس الحِلْمِ وهو مثلٌ لاشتداد الشرِّ، ومن ذلك قول عنتره: (2)

إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَن وَضَحِ الفَمِ

ومنه أيضا: قول الأعشى: (3)

سَعَةُ الشَّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلْحُ

ويقال أيضا: عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ، إِذَا صَبَرَ عَلَى الأَمْرِ. وَنَجَذْتَهُ الأَمْرُ: أَحْكَمْتَهُ، لقول الشاعر: (4)

وَنَجَذَنِي مُدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ

وقال بعضهم: النواجذُ : الضواحك، واحتجَّ بحديث النبي "ص" أنه ضحك حتى بدت نواجذُهُ. قال: وأقاصي الأسنان لا يُبديها الضحك. والصحيحُ الأول، فأما الخبر فمحمول على المبالغة وإن لم تبدُ النواجذُ.

أمَّا " وُحْدَانًا" هو جمعٌ واحد، وواحدٌ صِفَةٌ، كصاحبٍ وصُحْبَانٍ، وَرَاعٍ وَرُعْيَانٍ. و"الزرافاتُ": الجماعاتُ، واشتقاقه من الزَّرْفِ، وهو الزيادة على الشيء. ويقال زَرَفْتُ القَوْمَ

(1) - ينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 1، ص 24.

(2) - ينظر: عنتره، الديوان، شرحه الخطيب التبريزي، ص 180. وتاج العروس "قاص" و صدره:

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى

(3) - ينظر: الأعشى، الديوان، ص 161. و صدره:

وله المقدم في الحرب إذا

(4) - البيت لسحيم بن وثيل الرياحي في اللسان (نجد، دور)، وأساس البلاغة (دور). و صدره:

أخو خمسين مجتمعا أشدي

قُدَامِي، أَي قَدَّمْتُهُمْ فِرْقًا. وَحُكِي فِي الزَّرَافَةِ تَشْدِيدُ الْفَاءِ، يُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمَ بَزَرَافَتِهِمْ، أَي بجماعتهم، وهو غريب. والمعنى أنهم لحرصهم على القتال وجرأتهم، لا ينتظر بعضهم بعضًا، لكن كلاً منهم يعتقد أن الإجابة تعينت عليه إذا تشدد الشرُّ لهم.

لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

يواصل "المرزوقي" شرحه اللغوي، فيقول "الأصل في النَّدْبَةِ: الدَّعَاءُ" فتوسعوا فيه فقالوا: نُدِبَ فُلَانٌ لَكَذَا وَكَذَا، إِذَا نُصِبَ لَهُ وَرُشِّحَ لِلْقِيَامِ بِهِ. وَيَقُولُونَ: تَكَلَّمَ فُلَانٌ فَانْتَدَبَ لَهُ فُلَانٌ، إِذَا عَارَضَهُ. وَالْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ يَعْنِي بَنِي مَازِنَ، لِحَسَنِ مَحَافِظَتِهِمْ وَقُوَّةِ تَنَاهِيهِمْ فِي نُصْرَةِ الْمُتَنَسِّبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُعَلَّقِ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِمْ، لَا يَسْأَلُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا دَعَاهُمْ حُجَّةً عَلَى دَعْوَاهُ، وَلَا يَرَاغِبُونَ فِي كَيْفِيَّةِ مَا أَلْجَأَهُ إِلَيْهِمْ، لَكِنْهُمْ يُعَجِّلُونَ الْإِغَاثَةَ لَهُ. وَهَذَا تَعْرِيفٌ مِنْهُ بِمَا لَحِقَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَوْ رَأَى مِنْ عَادَتِهِمْ عِنْدَ الْإِسْغَاثَةِ بِهِمْ (1).

وفي هذا المقام يشير "المرزوقي" إلى أن بني مازن، قد وصفوا من قبل شعراء كثير، من ذلك قول بعضهم: (2):

نَفْسِي فِدَاءً لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شَمْسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالِ

وقول الآخر: (3)

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عَصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَايَ فِي الْوَفَاءِ سَوَاءً

إنَّ اسْتِحْضَارَ الشَّوَاهِدِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالشَّعْرِ لَدَى "المرزوقي" فهي تلتقي في معناها بمعاني النص وذلك خدمة لما قرره من قول.

يواصل "المرزوقي" شرح المعنى، فيقول:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

في هذا البيت يكتفي "المرزوقي" بحصر معنى البيت، وربطه بما سبق، ذلك أن الشاعر رجع إلى التذكير بصفة قومه بما يأنفون منه عنده، وليس القصد ذمهم فقال: "إنَّ

(1) - ينظر: المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية 1، ص 25.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، الحماسية 18، ص 97.

(3) - المرجع نفسه، الحماسية 611، ص 1017.

قومي وإن كان فيهم كثرة عددٍ وعدة ليسوا من دفع الشر وإنكاره، وقصده وارتكابه في شيء، وإن كان فيه خفة وقلة". وبضيفاً قائلاً: أن الشاعر قد استخدم الشرط بالشرط في الصدر والعجز، وطابق العدد والكثرة بالهون والخفة في هذا الكلام. ويريد أن يصفهم بأنهم يؤثرون السلامة والعفو عن الجناة ما أمكن، ولو أرادوا الانتقام لقدروا بعددهم وعدتهم لكن المراقبة والتقوى تدعوهم إلى إثبات الحسنى. (1)

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
في هذا البيت، يشير "المرزوقي" إلى رواية " مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ " يقول: "والظُّلْمُ بالفتح المصدر وبالضمّ الاسم" وهذه الرواية عندي أحسن وقد بينت ما في المغفرة والإحسان من الدلالة على أنهم كانوا يقدرون على إثبات ضدهما. و"الظُّلْمُ": انتقاص الحظ والنصيب. وقيل: هو وضع الشيء في غير موضعه، ونقيضه العدل. (2)

إذا هنا "المرزوقي" علل سبب تفضيله لرواية " مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ " .

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
كانت علوم اللغة حاضرة في شرح هذا البيت . فقد استعان "المرزوقي" بمصادر الألفاظ في تحديد لفظة " الحَشِيَّةُ والحَشِيُّ والمَحْشَاءُ: مصدر حَشِيَ. ويربط ذلك بالجانب النحوي، فيقول: "هذا المكان أَخْشَى من ذلك، وهو نادرٌ لأنَّ المكان يُحْشَى فهو مفعول. ليحدّد بعد ذلك الميزان الصرفي لها، يقول " ورجلٌ حَشِيَانٌ وامرأةٌ حَشِيَانَةٌ. (3) من ثم يواصل "المرزوقي" شرحه نحويًا وذلك في قوله " سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ " هو استثناء مقدّم، ولو وقع موقّعه لكان الكلام لم يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ إِنْسَانًا سِوَاهُمْ، فكان يجوزُ في سِوَاهُمْ البَدَلُ والاستثناء والصّفة، فلما قدّم بطل أن يكون بدلاً وصفةً لأنّهما لا يتقدّمان على الموصوف والمبدل منه، فبقي أن يكون استثناءً. والمعنى من كلّ هذا الكلام "أنّ احتمالهم لاحتساب الأجر على

(1) - ينظر: شرح المرزوقي ، الحماسية 1، ص26.

(2) - ينظر: المرجع نفسه ، الحماسية 1، ص26.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

رَعْمِهِمْ، وإِبْقَاءَهُمْ فِي الْإِنْتِقَامِ لِخَشْيَةِ فَوَاتِ الذُّخْرِ فِي دَعْوَاهُمْ، فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ لَخَوْفِهِ غَيْرَهُمْ. (1)

وعليه نقول أنّ استعانة "المرزوقي" بعلوم اللغة والنحو، قد أضفى على شرحه الأدبي قيمة علمية يحسّها القارئ من خلال الفوائد الجمة التي يخرج بها في هذا الجانب.

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَدُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

وهذا البيت لا نجد له إشارة في شرح "المرزوقي".

وهكذا نخلص من جميع ما عرضناه إلى أنّ "المرزوقي" بمنهجه الأدبي الفني قد كان معلمًا بارزًا في عمله الذي قام به في الحماسة، فشرحه يُعدُّ نسيجًا وحده بالقياس إلى الشروح التي وصلت إلينا.

وأخيرًا، لننظر في طريقة "التبريزي" في شرحه هذه الأبيات. لكن قبل ذلك نحدّد المنهج الذي تبناه "التبريزي"، وهو "المنهج الانتخابي التهذيبي التكميلي"، والمقصود منه ذلك المنهج الذي يعتمد على جمع وتحصيل الشروح السابقة، ثم الانتخاب منها، والتنسيق بين العناصر المنتخبة بما يكمل شرحًا من مجموعها يفي بغرضها، ويغني عن جميعها، لاشتماله على جميع العناصر التفسيرية المتاحة التي يطلبها القوم (2).

وعليه، فإنّ "التبريزي" وجدّ بين يديه شروحًا عدّة، مختلفة المناهج، متنوعة المذاهب، أخذ يقلبها ويختار منها ما يوافق هواه، وفي بمنهجه الذي حدده بنفسه في صدر الشرح، وهو استيفاء حقّها في الشرح، وتلافي قصورها، واستكمال جوانبها المتعددة، بشرح أبياتها" بيتًا بيتًا على الولاء، وتبيين أساس شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجري ذكره في الكتاب، وتفسير ما في كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى، وذكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها، وإيراد الأخبار في أماكنها" (3).

(1) - ينظر: شرح المرزوقي، الحماسية 1، ص 26.

(2) - ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج 2، ص 271.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 290.

وفي شرح "التبريزي" لحماسة "أبي تمام" الكثير من النماذج والشواهد التي تدلّ على أسلوبه وطريقته في النقل من الشروح السابقة. وحسبنا الاكتفاء بهذه الأبيات، والتي يقول فيها: وقال بعض شعراء بلعنبر، واسمه قُرَيْطُ بن أُنَيْف (1).

يضيف "التبريزي" إلى بعض شعراء بلعنبر، اسم قُرَيْطُ بن أُنَيْف. وقدّم فيه تعريفا لغويا بسيطا، يقول: "قُرَيْطُ: تصغير قُرْط، وأُنَيْفُ: تصغير أنف، وأنف كلّ شيء مُقَدَّمه. ومن ثمّ راح يشرح "بلعنبر" لغويًا مستفيضًا في ذلك، مستعينا بأمثلة من الشعر العربي. (2)

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تُسْتَبِحْ إِبْلِي بَنُو اللَّقَيْطَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
امتاز الشرح عند "التبريزي" بتحديد وزن البيت وقافيته، يقول: هو "من الضرب الثاني

من البسيط، والقافية متواتر" (3). ومن ثمّ شرح لفظة "المازن" في اللّغة، يقول: "هو بيض النمل، وقد يكون الذهابُ في الأرض من غير أن يُعرَف له أثر، ومَزَنَ الرَّجُلُ مُزُونًا: إذا ضاء وجهه، ومَزَّنْتُ فُلَانًا: فَضَّلْتُهُ، وفلان يَتَمَزَّنُ على أصحابه: أي يَتَفَضَّلُ عليهم" ثم قال إنّ الموازن في العرب أربعة: مازن قيس، مازن اليمن، مازن ربيعة، مازن تميم" والمراد في البيت مازن تميم. أمّا "اللقيطّة": فهي فعيلة بمعنى مفعولة، ودخلت الهاء فيها لأنّه أراد بها الاسم، فإذا أردت الصّفة كانت بغير هاء. كقولك: جاريةٌ لقيطٌ، ثمّ بيّن أصلها "فهي من التقطت الشيء إذا وجدته مطروحا فأخذته، ولا يسمى لقيطًا حتى تأخذه، وهو ما دام على الأرض منبوذ، كأنه يعيرهم أن أمهم بنت أمّة لقيطة فزيتت كما يُفَعَلُ بالولد إذا كان لغير رِشْدَةٍ". وقال أيضا في اللقيطة "ههنا نسب وليس بشتم، وزعم أبو محمد الأعرابي أنّ الرواية:

.....لم تُسْتَبِحْ إِبْلِي بَنُو الشَّقِيقَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
قال: الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان، وهي أمّ سيار وسُمَيْرُ وعبد الله وعمرو بن اسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهم سيّارة مَرْدَة ليس

(1) - ينظر ترجمته: السيوطي، شرح شواهد المغني، ص25.

(2) - ينظر: التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، ص14-15.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص15.

يأتون على شيء إلا أفسدوه. وقال أيضا في "اللقطة": "هي أم حصن بن حذيفة وإخوته، وهم خمسة، واسمها نُضيرة بنتُ عَصِيم بن مروان بن وهب بن بَغِيضَ بن مالك بن سعد بن عدي بن فَرَزَةَ، وإنما أُلْحِقَ بها هذا الاسم أن أباهَا لم يكن له ولد غيرها، والعرب ذلك الدهر كانت تتد الجواري فلما رآها انتشرب نفسه عليها ورق لها وقال لأمها: استرضعها وأخفيها من الناس..."(1).

أما "الذهل": فهو قطعة من الليل، وإنما سُمِّيَ به لأن النوم يُذهلُ الناس فيه، وكذلك دَهْلٌ - بالدال وفتحها - وفي ذلك قال الشاعر يصف ناقه: (البيسط): (2)

مَضَى مِنَ اللَّيْلِ دَهْلٌ وَهِيَ وَاحِدَةٌ كَأَنَّهَا طَائِرٌ بِالذَّوِّ مَذْعُورٌ
أما "شيبان" فهي على وزن فعلان، من شاب يشيب، وقد أجاز قوم أن يكون من شاب يشوب فبني على شيبان بالتشديد، كما قالوا رجل هيبان: أي جبان، ثم خفت الياء كما قالوا ربحان، وهو من الروح، فإن قيل: لو كان شيبان من شاب يشوب إذا خلط لكان شوبان كخوذان وخولان، فالجواب أنه يمكن أن يكون فَيَعْلَانُ كَهَيِّبَانَ وَنَيَّحَانَ وكان أصله شَيُوبَانَ فلما اجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء فصار شيبان، ثم إن العين حذفت تخفيفاً كحذفهم إياها من هين وميت فبقيت شيبان"(3).

أما "الاستباحة فقد قيل في معناها: هي أخذ الشيء مباحاً، والإباحة التخلية بينه وبين من يريده، يقال: أبحته لك فاستبحته، ومثله أُنْحَتُ البعير فاستنأخ، وأمَرَزْتُ الشيء فاستمر، وكان الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناوله من شاء، ومنه باح بسرّه بَوْحًا وَبُؤُوحًا(4).

(1) - ينظر: التبريزي، شرح حماسة أبي تمام، ص15.

(2) - البيت لأبي جهمة الذهلي في لسان العرب مادة "ذهل".

(3) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص16.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما قوله " لو كنت من مازن"، لو: حرفٌ يدلُّ على امتناع الشيء لامتناع غيره، فإن قيل: فما الذي امتنع في قوله: "لو كنت من مازن لم سبح إيلي". والاستباحة واقعة، قيل له: إن قوله "لم تستبح" نفي الاستباحة، وإذا امتنع هذا النفي وقعت الاستباحة، فكأنه إنما امتنع ترك الاستباحة لامتناع كونه من مازن. (1)

إنَّ الملاحظ عليه، في هذا الشرح، أنه منقل بالاستطرادات اللغوية من تأويلات وتحليلات، الأمر الذي يجعل الباحث يستخرج معجماً ضخماً في معاني الألفاظ، وآخر للاشتقاقات، ومحصولاً وفيراً للآراء النحوية على اختلاف مذاهبها.

وعليه، فإنَّ هذه الملاحظ تتكرر في جميع الأبيات التي نحن بصدد شرحها.

إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرَ خُشْنٍ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ إِنْ ذُو لُوْثَةٍ لَنَا

يقول "التبريزي": "إذا من الحروف اللازمة للفعل العاملة فيه النصب، ويقع على الفعل المستقبل وما كان في معنى المستقبل، نحو "إِذَا لَقَامَ" ونحو قول النابغة: (البسيط): (2)

إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوَاطِي إِلَيَّ يَدِي

و"الحفيظة" والحفيظة: الغضب في الشيء الذي يجب أن يحفظ. أما قوله " وإِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي"، و"ذو لوثة لانا" و"لقام بنصري". فإنَّ التبريزي نقل لنا شرح "المرزوقي" (3). أما "اللوثة" فهي الضَّعْفُ، وقيل اللَّيْنُ والاسترخاء، ومنه يقال: هو مُلْتَأَتْ، ورجلٌ أَلُوْتُ: مسترخٍ، وامرأةٌ لَوْتَاءُ، فأما اللُّوْثُ فالقوة والغلط، يقال: ناقة ذات لوث، قال الأعشى: (البسيط): (4)

بِذَاتِ لُوْثٍ عَفْرَنَاءٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالْتَعَسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا
ومن ثمَّ سمي الأسدُ لِيَبْتَأَ لِقَوْتَهُ وَغَلْظَهُ.

(1) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص16.

(2) - ينظر: النابغة، الديوان، ص25. وصدوره:

ما إِنْ أَنْتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ

(3) - ينظر: المرزوقي، شرح الحماسة، ص22-23.

(4) - الأعشى، الديوان، ص153.

أما " المعشر " فهو اسم لجماعة لا واحد له من لفظه، و"الخُشْنُ" جمع أحسن. والمعنى: لو لم أكن من بني العنبر وكنت من بني مازن ثم نالني من بني اللقيطة ما نالني من استباحتهم غبلي لكان فيهم مَنْ ينصرني عليهم، ويأخذ بحقي منهم، ويدافع عني بقوة إذا لأنّ ذو الضّعف والوهن فلم يدفع ضيماً ولم يحم حقيقة.

ومن ثم يواصل "التبريزي" شرحه، فيقول: "ومن روى اللوثة بالفتح قال: إذا لأنّ ذو القوة، وكان أبلغ في المعنى، إلا أنّ الرواية الضمّ، وقد طابق الخشونة باللين، كأنه قال: معشر خشنون عند الحفيظة إن كان ذوو اللوثة ليينين عندها، وصف بني مازن بالشجاعة ووصف قومه بالخشية والإحجام، فدلّ اختلاف الصّفتين على أنّ أحد الموصوفين غير الآخر" مُستدلاً بذلك بما قدّمه "المرزوقي" من شواهد شعرية. (1)

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَفَاتٍ وَوُحْدَانًا

و"النَّاجِدُ": ضرس الحلم، وهو أقصى الأضراس، ومن ثمّ قيل "رجلٌ مُنَجَّدٌ" إذا

أحكّمته التجارب، قال سُحَيْمٌ: (الوافر): (2)

وَمَاذَا يَدْرِي الشَّعْرَاءُ مَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الأَرْبَعِينَ
أَخُو خَمْسِينَ مَجْمَعِ أَشْـذِي وَنَجْدَنِي مُدَاوِرَةَ الشَّـوُونَ

وقال بعضهم: النَّوْاجِدُ الضَّوْاحِكُ.... (3). أما "وُحْدَانًا" فهو جمع واحد، وواحد

صفة، ، كصاحب وصُحْبَان، وراكب ورُكْبَان، وذلك إذا جعلته بمعنى الفرد، فتغير حكمه

وتنقله عن أصله، وقد جاء عن العرب واحد بمعنى فرد، وهو قول النابغة: (الطويل): (4)

لَكَ الخَيْرُ إِنْ وَارَتْ بِكَ الأَرْضُ وَاحِدًا وَأَصْبَحَ جَدَّ النَّاسِ يَظْلَعُ عَائِرًا

أما "الزارافات": الجماعات، واحدها زَرَاة بفتح الزاي، وقد حُكِيَ في الزرافة تشديد

الفاء ، ويقال: جاء القوم بزرافتهم: أي جماعتهم، واشتقاقه من الزرف وهو الجمع والزيادة

(1) - ينظر: المرزوقي، شرح الحماسة، ص21.

(2) - ورد البيت في سر صناعة الإعراب، ج2، ص627.

(3) - ينظر: المرزوقي، شرح الحماسة، ص24.

(4) - النابغة الذبياني، الديوان، ص68. والزمخشري، أساس البلاغة" مادة (عثر).

على الشيء، ومنه زَرَفَ فلانٌ في حديثه، إذا كذب، لأنه زاد فيه وجمع إليه ما ليس منه، ويقال: زَرَفْتُ القومَ قُدَّامِي: أي فرقتهم فرقاً. ومعنى البيت أنهم لحرصهم على القتال لا ينتظر بعضهم بعضاً لأنَّ كلاً منهم يعتقد أنَّ الإجابة تعيَّنت عليه، فإذا سمعوا بذكر الحرب أسرعوا إليها مجتمعين ومتفرقين. (1)

والأمثلة التي ساقها في ذلك هي ما نجده في شرح "المرزوقي". (2)

لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

أفاد "التبريزي" في شرح هذا البيت من شرح "ابن جنى"، وذلك في كلمة "الندبة" والتي تعني في الأصل "البكاء على الأموات". بقولهم: وافلانا. وهذه الكلمة في اللغة جاءت من: نُدِبَ فلانٌ لكذا: أي نُصِبَ ورُشِّحَ للقيام به، وندبته للأمر فانتدب له، ورجلٌ ندبٌ: ينتدبُ للأمور إذا نُدِبَ إليها. وقيل تكلم فلان وانددب له فلانٌ، إذا عارضه. والبرهان: البيئنة. وقال بعضهم: برهان فعلان من البره: وهو القطع. وقال أبو الفتح: برهان عندنا فعلان كقُرطاس وفُرئاس، وليست نونه زائدة، يدلّ على ذلك قولك: برهنتُ له على كذا: أي أقمعتُ الدليلَ عليه. وقدّ النظرير وهو: دِهْقَان، هو فِعْلَان، وذلك بدليل قولهم: تدهقنت، وليس في الكلام تفعلن، وقد كان القياس في نون بُرْهَانَ وِدِهْقَانَ أن تكونا زائدتين حملا على الأكثر، ولكن ردّ السماع بما أرغب عن القياس، فترك لذلك. (3)

أمّا معنى البيت فهو "أنهم إذا دُعُوا إلى الحرب أسرعوا إليها غير سائلين مَنْ دَعَاهُمْ لها، ولا باحثين عن سببها، لأنَّ الجبان ربّما تعلّل بذلك فتباطأ عن الحرب، من ذلك قول سلامة بن جندل: (البيسيط): (4)

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارْخٌ فِرْعُ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيبِ

(1) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص 20.

(2) - ينظر: المرزوقي، شرح الحماسة، ص 25.

(3) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص 20.

(4) - سلامة بن جندل، الديوان، ص 123. ولسان العرب (ظنب). والظنوب: عَطْمُ السَّاقِ. يقال: قرع لهذا الأمر ظنوبه إذا جدّ فيه.

بمعنى إذا دعانا إلى إعانتة أجبناه إليها مُجِدِّين.

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
في هذا البيت، نجد البساطة والوضوح في تقديمه من قبل "التبريزي". فقد أشار إلى أنّ كلمة "عَدَدٌ" هي فَعَلٌ بمعنى معدود، كقَبْضٌ بمعنى مَقْبُوضٌ، وحَسَبٌ بمعنى محسوب". وهذا يحتمل معنيين ، أمّا الأول، فإنّ الشاعر فقد وصف قومه بأنهم يهجومهم ويعيّرهم بالجبين. والثاني أنهم يؤثرون السّلامة والعفو عن الجُنَاةِ ما أمكن، ولو أرادوا الانتقام لَقَدَرُوا بِعَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ. فقد قابل الشَّرطَ بالشَّرطِ في الصدر والعجز وطابق العدد والكثرة بالهون والخفة.

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
يشير "التبريزي" في هذا البيت، إلى تصحيح رواية " مِنْ ظُلْمِ " ، فإنّها تُروى بفتح الظاء وضّمّها، والفتح أحسن لأنّ الظلم بالفتح المصدر، والظلم بالضمّ الاسم. أمّا شرح كلمة "الظلم" فإنّه ينقل لنا شرح "المرزوقي" يقول: " والإحسان من الدلالة على أنّهم كانوا يقدرّون على إيثار ضدّهما. و"الظلم": انتقاص الحظّ والنصيب. وقيل: هو وضع الشيء في غير موضعه، وينتصب "إحساناً" بيجزون مضمراً، كأنه قال: ويجزون من الإساءة إحساناً، وجاز حذفه لأنّ الفعل قبله دلّ عليه".(1)

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
لم يضيف "التبريزي" أيّ شيء يُذكر بخصوص شرح هذا البيت، وإنّما كان نقلاً عمّا شرحه "المرزوقي"(2).

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَدَّوْا الإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
هذا البيت، لم نجد له ذكرًا في شرح "المرزوقي"، ولكن أثبتناه في شرح "الأعلم". وفيه يشير "التبريزي" إلى رواية "شَنَوْا الإِغَارَةَ" أي فَرَّقَوْهَا. وراح يعلل ذلك: بأنّه لو قلنا شَنَّ عليهم

(1) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص21.

(2) - ينظر: المرزوقي، شرح الحماسة، ص26.

الغارة بالشين مُعْجَمَةً، وسَنَّ عليه درعه بالسَّين، إِذَا صَبَّهَا عَلَيْهِ، وكذلك سَنَّ الماء على وجهه، إِذَا صَبَّهُ عَلَيْهِ. ومن روى "شَدُّوا الإِغَارَةَ" فليس الإِغَارَةُ هنا مفعولاً به ولا انتصابها على ذلك، ولكن انتصابها انتصاب المفعول لهن أي شَدُّوا للإِغَارَةَ، كقولنا حملوا للإِغَارَةَ فرساناً وركباناً، وهذا كقول الآخر (الوافر):

شَدَدْنَا شَدَّةً فَفَتَلْتُ مِنْهُمْ

أي حملنا حملةً.

وشَدَدْنَا هذه غير متعدية، وَإِذَا أُريدَ تَعَدِّيَّتُهَا وَصِلَتْ بَعلى، وهذا كقول: العباس بن

مرداس: (الوافر): (1)

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُم سِوَاهَا
والمعنى: أَنَّ الشاعر يقول عن قومه حتَّى وإن كان عددهم كثير، فهم لا يختارون الإِضْرَارَ بالأعداء، فتمنى أن يبدلهم الله بقوم لهم نجدة وبأس يركبون فيغيرون. وأمَّا معنى قوله "فرساناً وركباناً، أَنَّ قومه كانوا يقاتلون على الخيل والإبل. وفي ذلك حديث يروى في يوم القادسية، أَنَّ عمر سأل سعد بن أبي وقاص فقال: "أخبرني أيُّ فارس كان أشجع؟ وأيُّ راكب كان أشدُّ غناء؟ وأيُّ راجل كان أصبر؟ فذكرهم له وميَّزهم (2).

وفي الأخير يقدم لنا "التبريزي" ميزة لم نعر عليها في الشرحين السابقين، وهو تحصيل حاصل معنى كلِّ الأبيات، فيقول: "وخبر هذه الأبيات، أَنَّ أبا عبيدة معمر بن المثنى التَّمِيَّ من تَيْم قُرَيْشٍ مَوْلَى لَهُمْ قَالَ: أَعَارَ نَاسٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَلْعَنْبَرٍ يُقَالُ لَهُ قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ فَأَخَذُوا لَهُ ثَلَاثِينَ بَعِيرًا، فَاسْتَجَدَّ أَصْحَابُهُ فَلَمْ يَنْجِدُوهُ، فَأَتَى بَنِي مَازِنٍ فَرَكِبَ مَعَهُ نَفْرًا فَاطْرَدُوا لِبَنِي شَيْبَانَ مِائَةَ بَعِيرٍ، وَدَفَعُوهَا إِلَى قُرَيْطٍ وَخَرَجُوا مَعَهُ حَتَّى صَارَ

(1) - البيت للعباس بن مرداس، ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ج2، ص438. و المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص158.

(2) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص22.

إلى قومه، فقال فُريطُ هذه الأبيات، والخبرُ يدلُّ على أنه يمدحُ بني مازن ويهجو قومه، كما تقدّم". (1)

هذا هو "التبريزي" في الحماسة، شارح حاول أن يبتكر منهجًا مغايرًا لسابقه في شرح الشعر، لكنّه وجد سابقه قد شرحوا الحماسة، وكل واحد منهم ركّز على ناحية دون الأخرى. فقام إذا بجمع هذه النواحي في شرح واحد، ومن ثمّ جاء عمله جامعًا بين مناهج مختلفة. إذا كانت هذه، مجموعة من الأبيات حاولنا الوقوف عندها في شرح كلّ من "الأعلم" والمرزوقي" و"التبريزي". وهي تعطينا تصورًا عن البناء المنهجي الذي كان يحكم عمل كل منهم، أمّا "المرزوقي" فإنّ شرحه كان أدبيًّا فنيًّا تذوقياً، شرح حاول أن يربط بين الشاعر والقارئ، شرح يجعل القارئ يعيش تجارب الشاعر ويمسّ أحاسيسه، لذلك كان شرحه أقرب الشروح إلى نفس القارئ والسامع وذلك لما يتّسم به من فنية التوضيح وعمق التحليل. أمّا "الأعلم" فإنّه ينطلق من مفهومه لفائدة الشعر التي هي معرفة معناه ولغته، والحرص على تحقيق خطته التي ذكرها وهي شرح معانيه، وتبين أغراضه، وتقريب مراميه وفتح مغالقه. وأهمّ ما يميزه الإيجاز وتجنب الإطالة وتركيز الفائدة وتكثيفها حتى تغدو سهلة المأخذ قريبة المنال.

أمّا "التبريزي"، فإنّه أوّل من تناول الشرح بطريقته التجميعية الانتخابية التكميلية، وأوّل من اختصر وهذّب، فقد كان يستمدّ تحليل أسماء الشعراء واشتقاق أسماء الأعلام من شرح "أبي هلال العسكري" و"ابن جني" و"أبي العلاء المعري" و"أبي رياش". ويعتمد رواية "ابن جني" و"المرزوقي" غالبًا، وكثيرا ما كان يقارن بينهما. وينقل أخبار الشعر وأحداثه التاريخية من "أبي رياش"، و"أبي هلال العسكري" و"أبي محمد الأعرابي". وينقل اللغة والنحو، والتحليلات والتصريفات من "أبي العلاء المعري" و"ابن جني"، ويصحّح نسبة الشعر إلى قائله عن طريق "أبي رياش"، وينقل معاني الشعر من "النمري" و"المرزوقي"، وأخيرًا،

(1) - ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص22.

يحدّد مفاهيم علوم البلاغة ومضامين الكلام والقيم التصويرية عن طريق "المرزوقي". أمّا عناصر النقد، فمصدرها الأول "المرزوقي"، ثم "أبو محمد الأعرابي" و"أبو هلال العسكري". من هنا إذا تبدو لنا بعض الاختلافات في مناهج هؤلاء الشّراح في شرح حماسة "أبي تمام"، وهذا الاختلاف راجع إلى الطريقة التي اتّبعها كل واحد منهم والتي ورد ذكرها في مقدمات كتبهم. وإلى الرواية التي اعتمدوا عليها .

ومن ثمّ، فإنّ تلك الاختلافات، ما هي إلاّ اختلافات لفظية، كأن يتوسع شارح في الاستشهاد، أو يستطرد في تخريج لغوي أو يدخل مصطلحات بلاغية مع اعترافه بانتمائها لميدان غير ميدان الشرح الأدبي، أو أن يحدد الأوزان الشعرية للقصيدة وغيرها. وبصنيع هؤلاء كانت عملية شرح شعر "أبي تمام" منسجمة الحلقات، متواصلة الأطوار، الأمر الذي أتاح لأهل صناعة الأدب أن يستخلصوا الخصائص الأدبية الشاملة لشعر "أبي تمام"، وأن يناقشوا بجدل مكانة "أبي تمام" الشعرية، وأن يؤلفوا في ذلك المؤلفات والكتب التي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية.

خاتمة

- حاولت هذه الدراسة أن تُقيم تصوّرًا عامًا لمنهج "الأعلم الشنتمري" في شرح ديوان الحماسة "لأبي تمام"، وقد توصلنا فيها إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:
- إنّ شعر "أبي تمام" كان ظاهرة جديدة في المسيرة التطورية للشعر العربي، خلّفت حركة نقدية نشطة، استمرّت طويلاً في مناقشة هذا الاتجاه الجديد في الشعر بين مؤيّد ومُنكر. وقد انتقل صدى هذه الحركة النقدية إلى الشروح الشعرية، فخلّف شروحا كثيرة لشعر "أبي تمام"، وقد تأثرت هذه الشروح بالمواقف النقدية منه.
 - إنّ اختيارات "أبي تمام" الشعرية لديوان الحماسة وصنّيعه فيه، جعلته يتميز عن سائر الشعراء الذين سبقوه.
 - جعل "أبو تمام" مختاراته في عشرة أبواب، يختصّ كل باب منها بأحد الأغراض المعروفة في الشعر العربي، وضَمَّنَ كُلَّ باب أجود ما قيل في هذا المضمون. وسمّى هذا المجموع الشعري بأول باب وهو "الحماسة".
 - حكم "أبو تمام" ذوقه الفني ومعيّار الجمال الفنّي في اختياراته الشعرية، فهي تعكس اختيارات الشاعر الفنان، ولم تكن اختيارات عالم اللغة أو المحدث.
 - عمد "أبو تمام" في شعره إلى الغموض والتعقيد وتوليد المعاني في الصياغة الشعرية، فنال شعره الاهتمام الأكبر من نقّاد عصره ونقّاد العصور التالية، حتى أصبح مجال مناقشات وخصومات نقدية ممتدة عبر العصور.
 - لقد وصلت رواية ديوان الحماسة "لأبي تمام" إلى أيدي العلماء الشّراح -أولاً- عن طريق النسخة التي خلّفها "أبو تمام" في دار آل سلمة بهمذان، والتي حُمِلت فيما بعد إلى علماء أصبهان. وقد أخذها عنه و رواها مشافهة "أبو المطرف الأنطاكي"، وأنشده لكلّ من "أبي رياش أحمد بن ابراهيم"، و"الحسن بشر بن الأمدي"، وعن طريق هذين العالمين أخذ العلماء ديوان الحماسة، وتواترت الرواية عبر الأجيال بعدهم.

- كانت لثقافة "أبي تمام" المتنوعة التي اكتسبها، والرصيد الضخم من الشعر الذي كان يحفظه، إسهاما في تكوين شاعريته المبدعة، وهو الأساس الذي أعانه على تصنيف مختاراته، و أبعد عنها تهمة السرقة.
- رغم وجود بعض المختارات الشعرية التي ظهرت قبل "أبي تمام"، مثل "المفصليات" و"الأصمعيات"، إلا أن مختاراته نالت الريادة و الشهرة، إذ اعتمد منها واضحا في تقسيم الشعر المختار إلى أبواب حسب المعاني والأغراض، و هو منهج تميّز به ديوانه.
- قد اتّسع مفهوم الحماسة عند "أبي تمام"، ولم يتوقف عند الشعر الذي يُعبّر عن معاني الشجاعة والأنفة والشدة، بل امتدّ ليشمل العواطف الملتهبة، والشعور الجياش، سواء أكان ذلك أثناء التعبير عن نشوة انتصار في الحرب أو زهو بالنفس، أو افتخار بها، أو في التعبير عن خلجات النفس بالغزل، وعن آهات الأسي والحزن بالرناء.
- إنّ "الأبي تمام" منهاجا أقام عليه الاختيار، يعتمد الجودة والاستحسان، وأنّه لم ينبثق في اختياره عن مذهب الشعري، الذي يُعنى أكثر ما يُعنى بالغوص في المعاني وتصيّد ألوان البديع.
- لقد كان لمنهج "أبي تمام" في شرح ديوان الحماسة الأثر الكبير في الشراح الذين جاؤوا بعده، فاستتاروا بمنهجه، مع شيء من التوسع في أبواب الشعر .
- أولى "أبو تمام" عنايته بالشعراء المُقلّين والمجهولين، عكس الشعراء المكثرين أو المعروفين الذين تداول الناس دواوينهم قبله، واهتمّت بهم كتب الاختيارات. و كان اختياره للشعراء من مختلف العصور، و إن مالت الغلبة إلى الجاهليين و المخضرمين. و من هنا كانت أهمية الاختيار بالنسبة لعلماء اللغة الذين وجدوا فيه معينا لا يتضبّب في الاستشهاد لما فيه من شعر في تفسير اللغة والاحتجاج بصحتها. و هذا الاختيار كان نتيجة ثقافته ومعرفته بالقديم، وتمثّله للجديد، الذي انعكس على شعره ومذهبه الفني.

- إنَّ الشروح الشعرية لم تتشكل من فراغ بل إنَّها وليدة عمل مضمّن، وترصد شاق، ينطلق من خلفية فكرية، وتتراوح وظيفتها و الغاية منها حسب العصور. لم يتميز العصر الجاهلي بشرح الشعر و ذلك لأسباب موضوعية منها عدم حاجة الناس إليها، لأنَّ الشاعر في ذلك الزمان لم يكن مفصولاً عن متلقّي شعره بفاصل زمني أو مكاني إلا في حالات خاصة وذلك حين يعمد الشاعر إلى استخدام تركيب أو تصوير فنيّ يتجاوز فيه حدّ المألوف لديهم، فيتولى توضيحه وتفسيره أو يتولى عنه ذلك رواة شعره.
- أمّا في عصر صدر الإسلام فكانت الحاجة إلى شرح الشعر مثل سابقتها في الجاهلية، لم تتجاوز في مطلبها تفسير لفظة أو تركيب غير مألوف أو خبر مُتصل بالشعر ذاته أو قائله، غير أنّه لما بدت عناية المسلمين بالقرآن وحاجتهم إلى فهم لغته ومعانيه بدأت عناية خاصة بالشعر لحاجتهم إليه في تفسير القرآن والحديث الشريف. ثم إنَّ هذه العناية صحبتها عناية أخرى من قبل القبائل العربية حين استقرت في الأمصار الإسلامية، وبدأت مراجعة رواية أشعارها التي قالتها في الفترة الجاهلية، فاهتمت بتفسير الأحداث التي صاحبت هذه الأشعار لأنّها تمثل جانبا من حياتهم، إلى جانب تفسير بعض ألفاظه ومعانيه.
- ظهرت عناية أخرى على أيدي علماء متخصصين في رواية الشعر وتدوينه، تجاوزت الرواية ما فيها من اختلافات وذكر مناسباته وأخبار قائله، إلى خطوة نقدية تبحث في عيوبه والحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم.
- اتّسمت شروح الجيل الرائد- جيل أبي عمرو بن العلاء- بسمة البساطة والأخذ من كلّ مجال بطرف، بمعنى أنّ كل عالم كان يجتهد في وضع نبذة عن كلّ لون ، بينما اتّسمت شروح الجيل الثاني بالتخصص، وحاولوا التركيز على ناحية معينة، وأصبحت لونا ظاهرا من ألوان اهتمامه التي قد لا ينازعه فيها غيره. فإذا كان للجيل الأول فضل السبق والجمع والريادة، ولفت الأنظار نحو المنبع، وكان لهم أيضا فضل التدوين والتعليم وبث الرواية العلمية، فإنّ للجيل الثاني فضل

الاستيعاب والدرس والبحث والتمحيص. فعلى أيادي هذين الجيلين أُلِّقَت أبرز الأعمال الأدبية في مجال الشعر، وكلّ ما يتّصل به من روايات ودراسات وكان صنيع هذين الجيلين هو العمود الفقري لكلّ الأعمال الأدبية الضخمة.

و من خلال جهود هذين الجيلين، تطوّرت حركة الشروح الأدبية تطوّراً ظاهراً وملموساً من حيث الشكل والمضمون، وهذا التطور اتّخذ صورتين اثنتين:

الأولى: أنّ أكثر العلماء قديماً كانوا يثبتون أو يملون القصائد، أو المقطوعات الشعرية كاملة، ثم يتبعونها بتفاسيرهم وتوضيحاتهم. ولما كان هذا المنهج عسيراً على الكثيرين، خاصة طلاب العلم وهواة الأدب، رأى العلماء تخفيف العبء على تلاميذهم و تبسيط ذلك، فاستحدثوا منهجاً يزيل العسر على أفهام تلاميذهم، فعمدوا إلى تثبيت تحت كل بيت من الشعر تفسيره.

والثانية: فهي التي تتمثل في هذا الشكل النهائي الذي وصل إلينا من المصنفات وكتب الشروح المختلفة. و هي الشروح التي صنعاها العلماء بروايات مختلفة، وآراء متباينة رغم أنّ مصدر روايتها عالم واحد.

وأهمّ ما امتاز به تلامذتهم ، هي رصف مختلف الآراء والأفكار والتفسيرات التي قيلت في الشروح جنباً إلى جنب، كما اتّصفوا بالأمانة العلمية في تسليط الضوء عليها وتحليلها، مبرزين مدى توافقهم مع هذا الرأي أو تعارضهم لها، فما اقتنعوا به أخذوه وأثبتوه، وما لم يقنعهم ضعفوه وتركوه.

- و من السمات التي اتّصف بها علماء الجيلين السابقين ،هو اهتمامهم بالجزئيات، والالتفات في البيت الشعري إلى لفظة، أو اسم علم أو خبر، أو ظاهرة نحوية، أو لفظة نقدية، كثيراً ما تلهيهم عن تناول بقية النص، فجاءت شروحهم محتفظة بسمة البساطة القائمة على الإيجاز والدقة والإجمال خلال ما يورد أحياناً من أخبار مطولة مسهبة.

و عندما ظهرت شروح الحماسة إلى الوجود، جاءت متأثرة بجميع ما طرأ على شرح الشعر عامة، لأنّ الشراح الذين تصدوا لشرح ديوان الحماسة لم يكونوا

بمعزل عن حركة شرح الشعر، كما أنهم تأثروا بآراء العلماء السابقين أمثال "الخليل" و"الأصمعي" و"أبي عبيدة" و"ابن الأعرابي" و"الأخفش" وغيرهم، فكل واحد منهم شيء من التخصص في عنصر من العناصر التي يقوم عليها شرح الشعر، فمنهم من يهتم بالغريب في اللغة مثل "أبي العلاء المعري"، ومنهم من يهتم بالنحو مثل "أبي الفتح ابن جني". ومنهم من كان يهتم بالأخبار ومناسبات الشعر وما يتصل بذلك من أيام وأنسب مثل "أبي رياش". ومنهم من كان يهتم بالمعاني وما فيها من تأويلات مثل "أبي عبد الله النمري"، ومنهم من حاول أن يجمع بين هذه العناصر جميعها في تفاوت ملحوظ مثل "أبي علي المرزوقي".

لما بدأ ظهور شروح الحماسة، واکبها توسع الثقافة المساعدة لشرح الشعر وفهمه ونقده، وبرز ذلك في تعدد أعمال العلماء عبر طبقات عدة، وهي أعمال شملت الكثير من علوم العربية، من لغة ونحو وبلاغة ونقد ورواية وأخبار تاريخية، وكان من الطبيعي أن تسهم هذه الأعمال المتشعبة في علو ثقافة الشارح وارتقائها.

ويعتبر "أبو بكر الصولي" أول من أخذ على عاتقه شرح شعر "أبي تمام" في غمرة الصراع بين أنصار مذهبه ومعارضيه، وأهم ما يميز شرحه هو اعتماده على نفسه لأنه لم يسبق إلى هذا العمل.

وتبعه آخرون أمثال "أبي علي المرزوقي"، ويُعدُّ مبدعا ومستقلا بآرائه وأفكاره في الشرح، عكس من كان ناقلا عن الشروح السابقة، مثل "التبريزي" و"الطبرسي"، و"أبي الرضا الرواندي". و اختلف منهمج هؤلاء في تناول الحماسة، فمنهم من عني باستجلاء ما في أشعار الحماسة من دقائق معنوية، ولفات نقدية، ونكات أدبية، و يأتي في مقدمة هؤلاء "أبو علي المرزوقي". ومنهم من ركز على الجانب اللغوي، مثل "أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني"، و"أبي العلاء المعري"، ومنهم من اتجه

إلى إعراب أشعار الحماسة وبيان ما فيها من نكات إعرابية ونحوية من مثل "ابن جني" في "التنبيه"، و"العسكري" في "إعراب الحماسة".

و أبا نبت دراستنا لحركة شرح الأندلسيين للشعر المشرقى عن خصوصيات الذوق النقدي الأندلسى، وكشفت عن بعض اتجاهات الدارسين واهتماماتهم الأدبية واللغوية و على رأس هؤلاء "الأعلم الشنتمرى". الذى ركز فى شروحه، على استخراج المعانى وإيضاحها بأقرب طريق وأجزه.

- لقد تفوق "الأعلم الشنتمرى" فى شرحه لشعر "أبى تمام"، فمقارنة بسيطة بينه و بين غيره من الشراح تفيد أن إدراكه للمعانى الشعرية عند "أبى تمام"، وأنه كان أكثر انسجاما فى فهمه لها، وكان يتوسع فى الاستشهاد و يستطرد فى تخريج لغوى، و غيرها مما يستوجب المعنى.

فجاء شرح "الأعلم" فى الكثير من العلم والذوق، و فيه من الاتساق مع منهجه وتأديته للغرض الوافى، كما أنه احتوى كل تلك التفصيلات الكثيرة التى تعارف عليها الشراح من قبل، فجاء شرحه وافيا بالقصد من دون إفراط أو تفريط، فحقق حاجة النص الشعرى التوضيحية بأسلوب يوحى بأن النص أصل وحوله تدور كل الملاحظات تنبع منه وإليه تعود.

- لقد استطاع "الأعلم" بشرحه، الذى تصرف فى روايته، أن يحقق خطوة فى المنهج الاختصارى التسهلى، بعد "زيد ابن على الفارسى"، وهو فى التزامه بهذا المنهج كان أكثر اهتمامًا بعنصر المعنى، وإذا أشار إلى عناصر الشرح الأخرى كان الإيجاز والتيسير سبيله، وربط ما يناقشه من عناصر بعنصر المعنى بحيث يمكن القول أنه وظّف العناصر الأخرى لخدمة عنصر المعنى، فتمثلت غاية التأليف فى شرح "الأعلم" فى كشف الغامض عن العبارات وتبيان الأغراض والمرامى، وتجليه الحقائق وإيضاح المعانى.

من خلال ما توصلنا إليه من نتائج، يمكن القول فى الأخير أن شرح "الأعلم" لديوان "أبى تمام" يعدّ مصدرا مهمًا فى منهجه و مضمونه ينهل منه الدارس

الباحث في الشعر ومختلف علوم العربية، وهو يقدّم لنا مادة ثرية في مختلف الموضوعات النحوية والصرفية وغيرها.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش بن نافع.

1- قائمة المصادر:

- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى النحويّ الشنتمري ، شرح حماسة أبي تمام" تجلّي غرر المعاني، عن مثل صور الغواني، والتحلّي بالقلائد، من جوهر الفرائد، في شرح الحماسة، تح: علي المفضل حمودان، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992.

2- قائمة المراجع:

1- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، ط2، مصر، دت.

2- ابن بشكوال، الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، مج:2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008 .

3- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س. كولان، وليقي بروفنسال، ج3، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.

4- ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، ج1، دار المعارف، القاهرة، دت.

5- ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير" في أبيات المعاني"، صححه: سالم الكرنكوي، ج5، دار النهضة الحديثة، بيروت، 1953.

6- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف مصر دت.

7- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، المصون في الأدب، تح: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط2، الكويت، 1984.

8- أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تح: عبد العزيز أحمد، ملتزم الطبع والنشر (مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر)، القاهرة، 1963.

- 9- أبو البركات أحمد بن المستوفي، النظام في شرح شعر أبي تمام والمنتبي، تح: خلف رشيد نعمان، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989.
- 10- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان محمد ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، ط3، الأردن، 1985.
- 11- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري، تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1994.
- 12- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، "شرح ديوان علقمة"، تعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، ج1، ملتزم، الطبع، ط3، مصر، 1963.
- 13- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، تح: درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية، ط2، بيروت، 2000.
- 14- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعم الشنتمري، شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تقديم: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993.
- 15- أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- 16- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، مج:3، دار الثقافة، بيروت، 1997.
- 17- أبو الحسن علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1953.
- 18- أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، انباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986.

- 19- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع، ط2، المملكة العربية السعودية، 2000.
- 20- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تح: طاهر أحمد الزاوي، أحمد محمود الطناحي، ج3، المكتبة الإسلامية، دمشق، 1963.
- 21- أبو السعادات هبة الله ابن الشجري، الحماسة الشجرية، تح: عبد المعين الملوحى وأسماء المحصي، القسم الأول، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970.
- 22- أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، ديوان المفضليات، شرح: محمد بن بشار الأنباري، مطبعة الآباء، بيروت، 1920.
- 23- أبو العباس شمس الدين محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج: 2، دار صادر، بيروت، دت.
- 24- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1984.
- 25- أبو الفتح عثمان بن جني، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، تح: حسن محمود هنداوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2009.
- 26- أبو الفتح عثمان بن جني، الفسر "شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي"، تح: رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، 2004.
- 27- أبو الفتح عثمان بن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، شرحه مروان العطية، وشيخ الراشد، دار الهجرة للطباعة والنشر، بيروت، 1988.
- 28- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس، ج5، دار صادر، ط3، بيروت، 2008.
- 29- أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي ابن الإفيلي: شرح شعر المتنبي، تح: مصطفى عليان، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

- 30- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، ج1، دار المعارف، ط4، مصر، 1960.
- 31- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- 32- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تفسير الكشاف، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت، 2009.
- 33- أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، صححه عزت العطار الحسيني، ج1، مطبعة المدني، ط2، القاهرة، 1988.
- 34- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1988.
- 35- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1973.
- 36- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، إجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1954.
- 37- أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، الفهرسة، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- 38- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، أخبار أبي تمام، تح: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت، دت.
- 39- أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، المعمرين من العرب وطُرفٍ من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، تعليق: أحمد بن الأمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر، 1950.
- 40- أبو سعيد بن قريب بن عبد الملك الأصبغي، الأصمعيات، تح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، ط3، مصر، 1955.

- 41- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، تقديم: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2004.
- 42- أبو عبد الله القضاعي البنسي ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995.
- 43- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ضبطه، مصطفى ديب، ج3، دار القلم الأولى، دمشق، 1981.
- 44- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس وآخرون، مج:4، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012.
- 45- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
- 46- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- 47- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للطباعة والنشر، ط5، دمشق، 1981.
- 48- أبو علي النمري البصري، معاني أبيات الحماسة، تح: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، مطبعة المدني، 1983.
- 49- أبو مالك غياث بن غوث التغلبي الأخطل، الديوان، صنعه السكري "روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، ط4، دمشق، 1996.
- 50- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر للطباعة، ط6، مصر، 2004.

- 51- أحمد الودرني، شرح الشعر عند العرب"من الأصول إلى القرن 20/14م(دراسة سانكرونية)، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، 2009.
- 52- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج4، دار صادر، بيروت، 1988.
- 53- أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، العقد الفريد،تح: عبد المجيد الرحيني، ج3، دار الكتب العلمية،بيروت، 1983.
- 54- اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين"أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"،ج2، مؤسسة التاريخ العربي، استانبول، 1951.
- 55- الإمام أحمد بن حنبل، المسند للإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد زهير، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- 56- امرؤ القيس: الديوان، شرحه: عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2004.
- 57- امرؤ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط5، مصر، 1958.
- 58- امرؤ القيس، الديوان، جمعه وحققه: حسن السندوبي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1990.
- 59- أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط17، بيروت، 1989.
- 60- البحتري، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، مج: 3، دار المعارف، ط3، مصر، 1964.
- 61- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، دت.
- 62- تأبّط شرّاً، الديوان، اعتنى به عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، 2003.

- 63- جران العود النميري، الديوان، رواية أبي سعيد السكري، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، 1931.
- 64- جرير، الديوان، بشرح محمد بن حبيب، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط3، القاهرة، دت.
- 65- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1، دار الفكر، ط2، دب، 1979.
- 66- حاتم الطائي، الديوان، شرحه أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
- 67- حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، شرحه عبد أمهتًا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1994.
- 68- الحطيئة، الديوان، اعتنى به وشرحه، حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2005.
- 69- حماسة أبي تمام، رواية أبي منصور موهوب بن أحمد الجوالقي، تح: عبد المنعم أحمد صالح، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد، 1980.
- 70- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تح: محمد عبده عزام، ج4، دار المعارف، ط3، مصر، 1964.
- 71- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، ج2، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1994.
- 72- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنتر، قدّم له: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996.
- 73- الخنساء، الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004.
- 74- ذو الرمة، الديوان، شرحه، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2006.
- 75- الراغب الأصفهاني، مقدمة التفسير، مطبعة الجمالية، مصر، 1969.

- 76- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه حمدو طماس، دار المعرفة، ط2، بيروت، 2005.
- 77- سيد بن علي المرصفي، أسرار الحماسة، مطبعة أبي الهول، القاهرة، 1912.
- 78- الشماخ بن ضرار، الديوان، شرحه أحمد بن أمين الشنقيطي، مطبعة السعادة، مصر.
- 79- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، 1977.
- 80- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.
- 81- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط11، مصر، 1960.
- 82- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، ويدوي طبانة، القسم الثاني، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، القاهرة، دت.
- 83- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب" من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري"، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 2004.
- 84- طه حسين، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، مصر، 1936.
- 85- عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها"دراسة وتحليل"، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دت.
- 86- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، ولب أبواب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997.
- 87- عبد الله باقازي، النهج الشعري في العصر العباسي الأول، الدار السعودية، 1988.

- 88- عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي: تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1، ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1988.
- 89- العجاج، الديوان، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، 1995.
- 90- عزّ الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار غريب للنشر، القاهرة، دت.
- 91- علي بن الحسين الشريف المرتضى، آمالي المرتضى، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، القسم الثاني، دار إحياء الكتب العربية"عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1945.
- 92- عمر الدقاق، مصادر التراث العربي"في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم"، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط3، بيروت، 1972.
- 93- عمر فروخ، أبو تمام" شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله"، دراسة تحليلية، دار الكتب، بيروت، 1964.
- 94- عنتر بن شداد، الديوان، عني بتصحيحه أمين سعيد، المطبعة العربية، مصر، دت.
- 95- الفرزدق، الديوان، شرحه إيليا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.
- 96- القطامي، الديوان، تح: ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، 1960.
- 97- كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية، تح: سامي مكّي العاني، دار القلم، ط2، دمشق، 1990.
- 98- كوركيس وميخائيل عواد، رائد الدراسة عن المتنبي، دار الرشيد بغداد، 1979.
- 99- المتنبي، الديوان، شرحه عبد الرحمان البرقوقي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.

- 100- محمد ابن شريفة، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- 101- محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- 102- محمد رضوان الداية، تيارات النقد الأدبي في الأندلس " في القرن الخامس الهجري"، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1984.
- 103- محمد عثمان علي، شروح حماسة أبي تمام "دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها"، دار الأوزاعي، الدوحة، 2011.
- 104- محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، تح: السيد كلانتر، مج1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت.
- 105- محمد نجيب البهيتي، أبو تمام الطائي، حياته وحياته شعره، دار الثقافة، ط2، 1982.
- 106- محمود خليف خضير الحياني، التأويلية مقارنة وتطبيق " قراءة في شعر فاضل العزاوي، دار غيداء للنشر، الأردن، 2013.
- 107- مسلم بن الوليد، ديوان صريع الغواني، تح: سامي الدهان، دار المعارف، مصر، دت.
- 108- المفضل الضبي، أمثال العرب، ويليه "أسرار الحكماء" لياقوت المستعصي، ويليه أيضا " الأمثال الحكمية من كلام بعض مشاهير الفلاسفة الأولين"، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1300.
- 109- النابغة الجعدي، الديوان، حققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، 1998.
- 110- النابغة الذبياني، الديوان، شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة ، ط2، بيروت، 2005.

- 111- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، ط4، مصر، 1969.
- 112- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- 113- الواقدي: مغازي رسول الله، مطبعة السعادة، مصر، 1948.
- 3- قائمة المجلات:
- 114- نور الدين علوش، الترجمات حول الهرمنيوطيقا، مجلة دراسات فلسفية، العدد 10، الجزائر، 2014.
- 115- وناس بن مصباح، ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية، مجلة الحياة الثقافية، العدد 41، تونس، 1986.
- 4- قائمة المعاجم:
- 116- ابراهيم محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.
- 117- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، 1979.
- 118- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله عبد الكبير، محمد أحمد حسب الله، وآخرون، دار المعارف، مصر، دت.
- 119- إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقوافي وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.
- 120- عادل نويهض، معجم المفسرين " من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر"، قدّم له الشيخ حسن خالد، ج2، مؤسسة نويهض للنشر والترجمة، ط3، بيروت، 1988.

- 121- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، البُلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972.
- 122- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، وبهامشه تعليقات وشروح، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1306هـ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1980.
- 123- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.
- 124- يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، 1984.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر

مقدمة.....ص2

مدخل : تحديد المفاهيم ونشأة الشروح الشعرية وتطورها.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم: الشرح والتفسير التأويل :

1- بين الشرح والتفسيرص11

2- بين التفسير والتأويل.....ص13

3- بين الشرح والتفسير والتأويل.....ص16

المبحث الثاني: نشأة الشروح الشعرية في التراث العربي:

1- في العصر الجاهلي.....ص19

2- في صدر الإسلام.....ص22

3- في العصر الأموي.....ص25

4- في العصر العباسي.....ص30

5- في الأندلس.....ص57

الفصل الأول: نشأة شروح حماسة أبي تمام وتطورها.

المبحث الأول: أبو تمام ومذهبه في الشعر

1- اسمه وكنيته ،مولده ونسبه.....ص66

2- نشأته وثقافته.....ص69

3- وفاتهص78

4- آثاره.....ص80

5- مذهبه الشعري.....ص82

المبحث الثاني: أبو تمام وحماسته

1- أسباب تأليف الحماسة ومنهج الاختيار.....ص89

2- أقسام الحماسة.....ص97

3- سبب تسمية الديوان بالحماسة.....ص104

4- شروح ديوان الحماسة.....ص106

المبحث الثالث: نشأة شروح الحماسة وتطورها

- 1- أبو بكر الصولي.....ص115
- 2- أبو علي المرزوقي.....ص122
- 3- أبو الفتح ابن جني.....ص129
- 4- أبو هلال العسكري.....ص135
- 5- التبريزي.....ص138
- 6- الشرح المنسوب إلى أبي العلاء المعري.....ص143

المبحث الرابع: حماسة أبو تمام في الأندلس

- 1- على مستوى الرواية.....ص148
- 2- على مستوى الإقراء والتدريس.....ص151
- 3- على مستوى الشرح.....ص152

الفصل الثاني: منهج الأعلم الشنتمري في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام

المبحث الأول: الأعلم الشنتمري في ظل دولة بني عباد ملوك إشبيلية

- 1- اسمه وكنيته، نسبه ومولده.....ص157
- 2- ثقافته.....ص159
- 3- شيوخه.....ص161
- 4- تلاميذه.....ص164
- 5- آثاره.....ص167
- 6- وفاته.....ص171

المبحث الثاني: منهج الأعلم الشنتمري في شرح الشعر

- 1- دوافع الشرح وأهميته.....ص172
 - 1-1- الاتجاه العام للشرح.....ص177
 - 1-2- منهج الأعلم في الشرح.....ص178
- 2- وصف كتاب الحماسة الأعلمية.....ص178
 - 1-2- المتن.....ص179
 - 2-2- الشرح.....ص184

المبحث الثالث: عناصر الشرح عند الأعلم في شرحه ديوان الحماسة لأبي تمام

- 1- ترتيب الموضوعات.....ص188
- 2- عبارة الاستهلال (التعريف بالشعراء).....ص192
- 3- شرح الأبيات الشعرية.....ص197
- 4- افتتاح الشرح بكلمة يقول.....ص200
- 5- علوم اللغة في شرح الأعلام.....ص201
- 5-1 - شرح الكلمات الغامضة.....ص201
- 5-2 - شرح الأسماء المختلفة.....ص215
- 6- الاقتصاد في استعمال المعاني.....ص223
- 7- العروض والقوافي.....ص228
- 8- الشواهد في شرح الأعلام.....ص231
- 8-1 - القرآن الكريم.....ص231
- 8-2 - الحديث النبوي الشريف.....ص238
- 8-3 - الشعر.....ص241
- 8-4 - النثر.....ص263
- 9- الرواية في شرح الأعلام الشنتمري.....ص266
- 10- النحو في شرح الأعلام الشنتمري.....ص272
- 11- علوم البلاغة في شرح الأعلام الشنتمري.....ص276
- أهمية شرح الأعلام لديوان الحماسة.....ص282
- موازنة بين شرح الأعلام لديوان الحماسة، وبعض الشروح الأخرى كشرح "المرزوقي" و"شرح" التبريزي.....ص283
- خاتمة.....ص306
- قائمة المصادر والمراجع.....ص314
- فهرس الموضوعات.....ص327